مجلة الأزهر
شعبان ١٣٨٤ هـ — يناير ١٩٦٥ م
لا إله إلا الله محمد رسول الله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر،
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء السادس - السنة السادسة والثلاثون - شعبان سنة ١٣٨٤ هـ - ديسمبر ١٩٦٤ م

من رحلة الأندلس :

من روائع فردوسنا المفقود

بقلم : أحمد حسن الزيات

كان آخر من ودعت في القاهرة العالم الجليل الأستاذ : أحمد حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر ، وكان أول من لقيت في برشلونة القسيس الحر : الأب أنخيلي جومز راعي كنيسة سرقسطة ، وكان بين وداع الأول ، ولقاء الآخر رحلة طويلة تحت النجوم ، وفوق الغيوم ، ابتدأت على طائرة مصرية سبحت بنا من سمائنا العربية الضاحية إلى سماء روما المضببة في ثلاث ساعات وبعض الساعة ، ثم انتهت على طائرة إيطالية ساحلت بنا فوق البحر الأبيض إلى نيس ثم إلى برشلونة في ساعتين .

وكان بيني وبين الإمام العربي حديث ، ثم كان بيني وبين الحبر الأسباني حديث . ولم يكن هذان الحديثان وحدهما هما اللذين جمعا بينهما في ذهني ، وإنما كان الجامع مشابه كثيرة من قسامة الوجه ، واستواء القامة ، وحلاوة النغمة وبراعة الذهن ، ولطافة الحس ، وطلاقة الفكر وخصوصية الزي ، وخلوص العقل من شوائب التقليد ، ورواسب الماضي ، وخوادع الرأي .

كان آخر ما بقي في سمعي من حديث الباقوري روايته عن أحد المفسرين الظرفاء في تفسير قول الله تعالى حكاية عن سليمان : « وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من الغائبين . لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين » ، إذ فسر العذاب الشديد الذى توعد به سليمان الهدهد بأن ينتف ريشه ويهاض جناحه ثم يترك بين جماعة من الطير ، لا هى من أهله ، ولا هى من شكله ، حتى إذا نفرته لايجد الريش الذى يقى ، ولا الجناح الذى يدفع ، ولا المنطق الذى يبين ، وكانت حالى وأنا بين المرضى فى بهو الانتظار من عيادة الدكتور (براكير) التى تضم ثلاثين طبيبا وعشرين طبيبة ومائتى ممرضة غير الموظفين والخدم ، أشبه بحال الهدهد لو أن سليمان أنجز فيه هذا الوعيد : كنت أجلس فى قوم من أشتات الناس والأجناس لا يتكلمون غير الأسبانية أو ما يشبهها ، فاذا تحدثوا لا أفهم ، وإذا حيوا لا أرد . نعم إنهم لم ينقرونى كما تنقر جماعة الطير الغريب عنها ، فان الإنسان من الأنس ، والوحش من الوحشة ، ولكنهم صدوا بوجوههم عنى صدود الدمية عن الدمية فى المتحف العظيم .

وكان من توفيق الله أن جلس إلى جانبى ذلك القسيس الكريم ، ففطن إلى أننى لا أعرف الأسبانية ، فقلب على أذنى بعض اللغات حتى قال بالفرنسية : لعلك من الجزائر ، فقلت له : أنا عربى من مصر ، فهش بى وأهل ثم قال فى ابتسامة رقيقة : نحن إذن إخوة ، أنا من مواليد (طليطلة) ولا يزال بين أسرتى ، وبين العرب نسب شابك . وأن أسرتى تعرف إلى اليوم بأسرة (المولى) وهى لا تزال تعتز بهذا النسب ، وتحتفظ بهذا اللقب ، فقلت له وأنا أطالع فى محياه سحنة الباقورى وسمرته : لشد ما يسعدنى أن يكون أول من ألقى فى برشلونة رجل تنزع نفسه ونفسى إلى عرق واحد ، ثم أفضنا فى حديث العرب وما خلفوا فى الأندلس من آثار ، وفى حديث الإسلام وما نقل إلى الفرنج من ثقافة .

وجاء دور القس فدعته ممرضة إلى لقاء الطبيب ، فقام وهو يربت بكفه اليسرى على كتفى ويقول : سأرجع . ثم عاد فاستأنفنا الحديث الشائق العذب ، وشققناه إلى معانى شتى ، وكان بين دوره ودورى وقت طويل فسألته : ألا يزال رجال الكنيسة يعتقدون فى العرب والإسلام ما كان يعتقده أسلافهم من قبل ؟ فأجاب فى غير مداراة ولا مماراة : لقد درس المؤرخون المنصفون والعلماء المخلصون مآثر العرب ، ومبادئ الإسلام على المنهج الواضح والمنطق الصحيح ، والنية الحسنة ، فوجدوا أن خمسة عشر مليونا من المسلمين عمروا أسبانيا ثمانية قرون وعمهم الدين والأدب والفن والعلم والحضارة والعمارة ، قد نقلوها من الظلام إلى النور ، ومن الفوضى إلى النظام ومن الهمجية إلى المدنية ، حتى أصبحت فى عهد الناصر والمستنصر مهوى الأفئدة ومنتجع العقول ، وملتقى الشرق والغرب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويجتمع القيادة الروحية والمادية فى أوربا والعالم كله . ثم أدركو أن ما أعمى المستكبرين عن رؤيه النور إنما هو الجهل والتعصب ، فإن الأمر يومئذ كان الكنيسة فى سياسة الدين والدنيا ، ولم تر الكنيسة فى فتح العرب للأندلس إلا استبدال دين بدين ، وشعبا بشعب ، ولغة بلغة ، وسلطانا بسلطان ، فحاربت الإسلام بالشبه والأضاليل ، وحاربوا العرب بالخيانة والتفرقة ، ولو علموا كما يعلمون اليوم أن الإسلام طريق سماوى يؤدى إلى الله ، وأن المسلمين إخوة مؤمنة تتعاون على الخير لنعمت أسبانيا فى ظل التعايش السلمى بالنعيم الدائم ، والوحدة الشاملة .

أنا أعلم عن يقين أن الله نقطة فى مركز الكون يوصل إليها بطرق كثيرة ، مختلفة البدء متفقة النهاية ، والاعتقاد بأن طريقا بعينه من هذه الطرق هو وحده الذى يؤدى ، كان مصدر الشر على الناس جميعاً ، كل الطرق تؤدى إلى روما كما يقول المثل ، وما دام الطريق واضحاً مستقيما تبينه حدوداته ، وتهدى إليه أعلام الحق ، فهو لا محالة واصل ، ولا يضير سالكه أن يكون هناك طرق أخرى لكل منها اسم ورسم ، وأنا بهذا الاعتقاد أخدم الكنيسة التى أرعاها ، باعتبارها أحد هذه الطرق ، لا هى أكلها ولا هى أمثلها ، والإسلام الذى نقل البداة الجفاة من رعاة إبل وغنم ، إلى رعاة دول وأمم ، وحول أسبانيا الممزقة المستضعفة الجاهلة من عهد الفوضى والانحلال إلى عهد الناصر وابن رشد ، لا يمكن أن يكون هو الإسلام الذى زعم الجاهلون أنه قام على السيف ، وحكم بالتعصب ، وساد بالاستعمار ، وأن ما خلف فى الأندلس من الحضارة والعمارة والثقافة لدليل ناهض على سمو مبادئه وبلوغ وسائله وعدالة حكمه ، وإن الرأى الكنسى ليميل اليوم إلى التوفيق بين المذاهب المسيحية المختلفة ، ولعله يميل بعد ذلك إلى التقريب بين الأديان جميعا . فقلت له وأنا أنظر فى عجب إلى المسح الذى يلتف على بدنه ، وإلى الصليب الذى يتدلى من عنقه : أو يوافقك إخوان الكنيسة على هذا الفهم ؟ فقال وهو يهز رأسه : لا أزعم ذلك ولكل رأيه .

وكان دورى فى الدخول على الطبيب قد حان فودعته وفى نفسى ونفسه أن نتلاقى كلما واتت الفرصة .

لبثت فى برشلونة عاصمة أسبانيا بعد مديد تسعين يوما مصوب العينين ، مرفوع الجنبين ، أسمع ولا أرى ، وأحس ولا ألمس ، وأتخيل ولا أتمثل . فإذا سألتنى عما رأيت من آثار فردوسنا المفقود قلت لك : لم أر إلا بعض المعالم من قطلونية فى أواخر أيام العلاج بعد أن كشف عنى الغطاء ، وخرجت من محبس أبى العلاء ، فجلت فى شوارع برشلونة الشجر ، ووقفت فى ميادينها الفيح ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وجلست فى جدائقها الغُنّ . وركبت الطريق الصاعد من ساحل البحر الأبيض إلى ربوة (تيبدابو) وهى قطعة من الروض سقطت من الجنة ، واستقرت على جبال (مالاس) و (مونت جويك) ، وشقت بينهما وادى (بيزوس) ، وهو متنزه الناس فى أيام الآحاد والأعياد والمواسم .

فيما بين ذلك كنت أرسل طرفى العبران فى الأفق الضاحى فأرى الشمس التى أشرقت على قرمى زهاء تسعين سنة منذ فتح برشلونة موسى بن نصير سنة ٧١٣ م إلى أن استردها لويس بن شرلمان سنة ٨٠١ م واستنشق الهواء الذى استنشقه أجدادى الفاتحون المعمرون لحضرود فلأوا به رئاتهم ثمانية قرون ، ثم نفثوه فى أقطار أسبانيا ، والبرتغال وفرنسا : دينا وأدبا وعلما وحكما وعمارة وحضارة ، ولكنى وا أسفاه لا أرى الأعـــلام الخضر التى تخفق ، ولا المآذن الشم التى تنادى ، ثم أرد طرفى إلى الأرض فأرى الشمائل العربية ولا أرى العرب ، وأجد الخلائق الإسلامية ، ولا أجد الإسلام وتتراءى فى خيالى أطياف الأمويين والمرابطين والموحدين هائمة فى الضباب ، تنوح على ملك دال ، وحكم زال ، ومجد ذهب ، وما أدال هذا الملك ، وأزال هذا الحكم ، وأذهب هذا المجد إلا ما أصابهم من تفرق الكلمة ، وتعارض الهوى ، وتخاذل القوى ، وتحاسد الأنداد وعمالأة العدو ، وتلك هى أدواء زعماء العرب فى كل حين ، من يوم السقيفة إلى يوم فلسطين .

* * *

لم أر إذن فراديس الأندلس ، ولكنى شممت عبيرها ، ووجدت رياها فى ثلاث أوانس من حسان الجنوب كن يمرضننى : أولاهن من طليطلة ، وتسمى سلطانة ، وثانيتهن من قرطبة ، وتسمى فضيلة (فاديلا) ، وثالثتهن من بلنسية وتسمى الثريا (إلسرية) وكان هؤلاء الأوانس الممرضات قد علمن أنى عربى من مصر ، فكن يتسابقن إلى خدمتى ويتنافسن على غرفتى ، ؛ ويبتغين الوسائل إلى الوقوف طويلا بجانب سريرى يحدثننى عن أرومتهن العربية . وما بقى منها فى دمائهن من الحنين إلى العرب ، والنزوع إلى الشرق . فإذا حدثتهن عن الإسلام - وقد كان دين أجدادهن - غمغمن بالكلام المغلق ، أو أبن عن الجهل المطلق .

ونشأت بينى وبين الأوانس الجميلات على طول الأيام ودادة قلب ، أو صداقة نفس ، تقول إنها مواصلة القريب ، أو مؤانسة الغريب أو مخالصة الحب ، فكن يطمئننى على سير العلاج ويصبرننى على احتمال العيش فى الظلام ، وطول النوم على الظهر ، وضيق النفس من الأرق ، ويشعرننى - بأنسهن المرح ، وحديثهن العذب - أنى فى بيتى وبين أهلى ، ويفضين إلى بأخبار المستشفى وبخاصة أخبار العرب النازلين به ، وكان حديثهن عن العرب قصيدا من المدح

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على ما يظهرون لهن من عطف ، وما يفضلون عليهن من كرم ؛ إلا حديثهن عن عربي كبير كان يعمل في ديوان ملك سابق ، فقد قلن : إنه دخل المستشفى وعلى كتفه منصبه لم يحطه عنه ، فهو يأمر وينهى كأنه في ديوانه ، ويعامل الممرضات والسعاة معاملته لجواريه وغلمانه ولا يكاد الجرس المضيء ينطفئ من فوق بابه فإذا طلبوه إلى الطبيب في أسفل الدار أصر على أن يصعد الطبيب إليه . وإذا أخبروه أن ذلك محال نزل في بيجامته من غير رداء ، وصمم على أن يدخل قبل دوره من غير نداء . أما معاركه على الطعام في كمه وكيفه فهي حديث الجيران والذم . وهو مع هذه المنجية كلها كز الأنامل سليط اللسان ، لا تسقط (البيزيتة) [1] الهينة من كفه ، ولا تخرج الكلمة اللينة من فيه.

زارني حين علم من الممرضات أني في المستشفى لأن من خير ما فيه أنه يقرأ الرسالة ، فمكث طويلا لا يدير بين فكيه إلا كلاما ثقيل اللهجة ، خطل المنطق عن معاونة مصر لليمن . ومعاذ الله أن أغشى فصلك بسماعه وأنت صائم .

هذا لقاء القسيس وحديث الأوانس . وحديث الأوانس يتصل ولا ينقطع ، وينشط ولا يفتر ويطول ولا يمل ، ولقد ذكرت بصحبتهن ومودتهن أوانس الرشيد الثلاث : ضياء وسحر وخنث . ومن اللاتي أنطقنه بهذه الأبيات :

ملك الثلاث الآنسات عناني
وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها
وأطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى
وبه قوين أعز من سلطاني

غير أن أوانسي لم يكن منهن عصيان ، ولم يكن لي عليهن سلطان .

كذلك ذكرت أوانس (جيان) الثلاث اللاتي وصفهن الشاعر (مانويل ماتشادو) بقوله في قصيدته المشهورة :

ثلاث سمراوات
شغلن قلبي من جيان .
عائشة وفاطمة ومريم .
ثلاث سمراوات رائعات الجمال
ذهبن ليجنين الزيتون
فوجدنه قد جنى ...

ولكني لا أذكر أوانس ابن أبي ربيعة الثلاث اللاتي اتخذ منهن مجنا يتقي به عيون القوم:

فكان مجني دون من كنت أتقي
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فإن الحديث بريء ، وإن رمضان كريم !

أما حديث الأندلس فسأعود إليه بعد أن أعود إلى برشلونة لإتمام العلاج ، فأعيش في رياضها مع أول بني أمية إلى آخر بني سراج !

أحمد حسن الزيات

(١) عملة أسبانية تساوي ثمانية مليمات .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الناحية العلمية من إعجاز القرآن

للأستاذ أحمد محمد الغمراوى

— ٢ —

هناك جوانب عدة ينبغى أن يتناولها من يريد النظر فى الإعجاز العلمى فى القرآن عن طريق المطابقة بين القرآن والعلم الحديث فيما هو مشترك بينهما :

هناك جانب العلم الأساسيان : جانب موضوع العلم ، وجانب الطريقة العلمية فى دراسة الموضوع . ثم هناك جانب ما كشف عنه العلماء فى ميادين العلم المختلفة من حقائق خاصة يسميها العلم : دقائق، ويسميها القرآن آيات ، ومن حقائق عامة يسميها العلم قوانين طبيعية ، ويسميها القرآن سنن الله فى الفطرة .

هذا الجانب الأخير هو الذى يهتم به الناس ويقع منهم فى الإقناع موقعا ، وهو أنفع الجوانب وأعونها على الدعوة إلى الله إذا تبين التطابق فيه بين ما كشفه العلم ، وما نزل به القرآن . لكن لا ينبغى أن يقلل من أهمية التطابق فى جانبى العلم الأولين ؛ فإنها الطريق إلى تلك الحقائق التى هى أقرب وأعجب إلى الناس .

أما طريقة العلم فى دراسة موضوعه فلها ركنان : ابتغاء الحق بالبرهان الوثيق فى المجال الذى اختاره العلم الحديث لنفسه ، مجال عالم الشهادة سوى الإنسان ، وركن التجربة الصحيحة ، والمشاهدة الدقيقة اللتين لا بد منهما فى الكشف عن الوقائع أولا ، واختبار صحة تعليل الوقائع المتشابهة ثانياً . وفى الكلمة السابقة [1] بيان كاف للتطابق التام فى الركنين كليهما . وهذا التطابق بناحيتيه من أكبر الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم .

وليس يضعف من دلالة التطابق فى الركن الأول أنه ركن ضرورى فى كل بحث ، علمى أو غير علمى ، فاشتراكه بين الفلسفة والعلم مثلا يقلل من دلالته فيما نحن بصدده ما دام ضرورياً للوصول إلى الحق فى العلم ، وما دام العلم الحديث ، والفلسفة لم يكونا معروفين حين نزل القرآن .

---

(١) عدد جمادى الآخرة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على أنه إن كانت عمومية هذا الركن شبهة قد يتعلق بها منكر إعجاز القرآن من ناحية العلم ، فخصوصية الركن الثانى - من وجوب استعمال الحواس تحت إشراف العقل لاكتساب العلم اليقينى - بعيدة من كل شبهة ، ولا سبيل إلى إنكار الإعجاز العلمى فيه .

غير أن هناك دقيقة تحسن الإشارة إليها ، ودفع شبهة قد نبنى عليها ، هى أن آية سورة الإسراء : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ، لم تذكر من الحواس إلا السمع والبصر ، والعلم فى طريقته يستعمل كل الحواس ، وقد يكتفى فى رد هذه الشبهة بالتنبيه إلى أن السمع والبصر هما أهم الحواس ، وبدونهما لا يتيسر بحث علمى ، وبهما يتم الانتفاع ببقية الحواس ، لكن هذه البقية لم يخل القرآن الكريم من إشارة إليها ، وكثير من أسرار الكون يأتى فى القرآن عن طريق الإشارة إلى سنن اللغة التى نزل بها ليحيط بالفطرة من جميع أقطارها ، ولتظل أسرارها مكنوزة فيه حتى يأذن الله فى ظهورها على توالى العصور بإظهار كل عصر من آيات الله فى الكون على القدر الذى يتيسر به فى فهم بعض تلك الإشارات فى كتابه ، ويتجدد بذلك من إعجاز القرآن ما يكون حجة جديدة له على الناس ، وسنلقى من الله فيما نستقبل من الكلمات المثل بعد المثل مما يوضح هذا الإجمال ، وإذن فما هى الإشارة القرآنية إلى كسب المعلومات عن طريق العقل والحواس جميعا ؟

تلك الإشارة نجدها فى الآية الكريمة . آية سورة النحل : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »[1] هذه الآية أعم وأشمل فى معناها من الشطر الثانى لآية الإسراء إذ هى تشمل حياة الإنسان كلها منذ يولد ، من حيث نمو عقله باكتساب المعلومات عن طريق السمع والأبصار والعقل جميعا ، فى حين أن آية الإسراء تتعلق بحياته بعد أن يبلغ رشاده ، وتهديه إلى طريق العلم اليقينى ، وتحمله التبعة فى سلوك ذلك الطريق أحسن أم أساء .

والسمع والبصر والفؤاد ورد ذكرها فى الآيتين جميعا ، إلا أن السمع ورد على صيغة المفرد فى كلتيهما ، وورد البصر والفؤاد على صيغة الجمع فى آية سورة النحل فهل لذلك من حكمة ؟

إن الفخر الرازى فى موقف كهذا فى تفسيره آية (إنا منجوك وأهلك) من سورة العنكبوت تساءل : لماذا قالت الرسل

---

(١) الآية ٧٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هنا « إنا منجوك » فى خطابهم لوطا ، وقالوا قبلها لإبراهيم (لننجينه وأهله) بصيغة الفعل فهل فيه من فائدة ؟ وقبل أن يجيب بجوابه المذكور فى صفحة ٦٦٨ من الجزء السادس من تفسيره ، قال - وهو المراد من هذا الاستطراد - : « ما من حرف ولا حركة فى القرآن إلا وفيه فائدة ، ثم إن العقول البشريه تدرك بعضها ، ولا تصل إلى أكثرها وما أوتى البشر من العلم إلا قليلا » ورضى الله عن الفخر الرازى ، فقد أصاب بقوله هذا وجه شبه أساسى بين القرآن الذى هو من عند الله لهداية البشر على مر العصور ، وبين الفطرة التى هى من خلق الله ومظهر قدرته وحكمته ؛ لا يختلف فيها شىء عن قرينة أدنى اختلاف إلا كان لذلك الاختلاف مغزى عند أهله من أولى العلم ، فلنلتمس الآن مغزى لجمع الأبصار - والأفئدة - وإفراد السمع فى آية النحل ، فقد التمسنا ذلك عند الزمخشرى والفخر الرازى فلم نجدهما تناولاه .

أما الأفئدة : فيكفى فى مجيئها على صيغة الجمع أن العقول تنشأ مختلفة فى الخصائص والقدر ليتمم بعضها بعضا فى الحياة ، والسمع فى وظيفته واحد قل أن يختلف فيها بين الناس ولذلك أفرد ، والبصر الذى آلته العين كالسمع الذى آلته الأذن ، وظيفته بين الناس واحدة ومع ذلك فهو لم يفرد فى الآية ، وتفاوت الناس فيه من حيث القوة لا يصلح تفسيرا لمجيئه على صيغة الجمع ، وإلا جاء السمع مجموعا كذلك ، لأن الناس يتفاوتون فيه أيضا من حيث القوة ، والأبصار بمعنى البصائر يغنى عنها ذكر الأفئدة فلم يبق إلا أن الأبصار جاءت بصيغة الجمع على المجاز لتدل على حواس الإدراك غير السمع الذى سبق ذكره فى الآية ، مادام موضوع الآية هو تذكير الناس بفضل الله عليهم فى تمكينهم من علم الأشياء بعد أن ولدوا لا يعلمون منها شيئا ، ومن العجب ذى الدلالة أن السمع جاء دائما مفردا ، والبصر جاء دائما مجموعا فى جميع الآيات التى اقترن فيها بالسمع عدا آية الإسراء .

وآيات النظر فى ملكوت الله فى السموات والأرض كثيرة فى القرآن ، بل هى أكثر من آيات الأحكام ، وما ذلك ألا لأن الكون وآيات الله فيه ، هو دليل وجود الله سبحانه ومظهر جلال صفاته وكماله ، ولقد قام المسلمون بما أمر الله ، من هذه الناحية لما استتب لهم الملك بعد الفتوح ، فكانوا هم من بدأوا عصر العلم الذى نصفه الآن « بالحديث » ظنا منا أنه لم يبدأ إلا فى الغرب ، وغفلة عما كان لأسلافنا من أثر فى هداية الغرب إليه لما اتصل أهله بالمدنية الإسلامية فى الأندلس وفى الشرق فى الحروب الصليبية ، ثم كان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما كان مما أدى إلى غفوة المسلمين، وقعودهم عن العمل بما أمر به القـــرآن فى هذا وفى غيره ، فسخر الله غير المسلمين فى الغرب للكشف عن أسرار الفطرة ، وآيات الله فيها ليتم ما وعد الله به فى قوله سبحانه :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . والقرآن مخاطب به الناس فى جميع العصور بفهم أهل كل عصر من آياته على قدر ما أتوا من الفهم، ومن العلم . والضمير فى قوله تعالى (أنه الحق) راجع إلى القرآن وإن لم يذكر فى الآية المذكورة آنفا من سورة (فصلت) تشهد لذلك الآية التى قبلها : « قل أرأيتم إن كان من عند الله، ثم كفرتم به ، من أضل ممن هو فى شقاق بعيد» والشقاق الذى كان فيه مشركو العرب كان فى القرآن حيث ينكرون إنه من عند الله، وهو من عند الله، فإن احتيج إلى بيان فوق هذا أن الضمير فى الآيتين إنما يراد به القرآن كان تمام البيان فى أن القرآن كان موضع الحجاج قبل الآية السابقة بنحو سبع آيات ؛ إذ يقول الله سبحانه « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا: لولا فصلت آياته، أأعجمى وعربى ؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر، وهو عليهم عمى، أولئك ينادون من مكان بعيد » ويقول سبحانه قبل هذه بآية : « إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ، وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » والذكر هو الكتاب العزيز . والكتاب العزيز هو القرآن الذى أغنى التصريح به فى هـــذه الآيات قبيل اختتام السورة عن التصريح به فى الآيتين فى خاتمتها ، اكتفاء بالضمير الذى يدل على مرجعه السياق طبق الأسلوب البلاغى فى العربية . ولعل هذه الإطالة فى إثبات أن الضمير فى قوله تعالى «حتى يتبين لهم أنه الحق» راجع إلى القرآن لم يكن لها داع لولا أهمية ما سيترتب على هذا من الارتباط بين آيات الله فى الآفاق التى وعد الله بإظهارها لخلقه ، وبين القرآن الكريم الذى سيتبين الناس أنه الحق بظهور تلك الآيات ، وفى هذا ما فيه من الندب إلى تبين ما يمكن تبينه من تمام التطابق بين ما يكشفه الله على أيدى العلماء من أسرار الفطرة ، وبين ما أنزل الله فى كتابه العزيز من آيات متعلقة بتلك الأسرار ، والسين فى قوله تعالى (سنريهم آياتنا) ينبغى أن تنبهنا إلى أن المراد بالآيات فى الآية الكريمة ليست هى مجرد هذه الظواهر الطبيعية البادية للناس منذ القدم ، ولكن هى أسرار مودعة فيها أو متعلقة بها إذا ظهر منها بعض على يد العلم فى أى زمن كانت دليلا على أنه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القرآن حق من عند الله إذا وجدت من يحسن المطابقة بينها وبين ماجاء فى موضوعها من آيات القرآن .

فالعلم الحديث بموضوعه وطريقته قرآنى من غيرشك ، لكن العجيب حقا أن ترد مادة علم فى القرآن الكريم متصلة بالظواهر الطبيعية التى جعلها العلم ميدان بحوثه، وجعل دراستها شغله الشاغل ، فكان ذلك دليلا على أن العلم الحديث ليس يضاد الدين كما يزعم الملحدون بل إن حقائقه فى الإسلام من صميم الدين . فبهذا المعنى وردت مادة (علم) بصيغة الفعل فى قوله تعالى من سورة يونس : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عـــدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » الآية ٥ ، وبنفس الصيغة أيضا وردت فى قوله تعالى من سورة الأنعام « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » الآية ٩٧ ، ووردت بصيغة اسم الفاعل مجموعا فى قوله تعالى من سورة الروم : « ومن آياته خلق الســموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن فى ذلك لآيات للعالمين » الآية ٢٢ ، كما وردت فى سورة فاطر أيضا بصيغة الاسم مجموعا فى قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها، وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ؛ إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور » ٢٧ ، ٢٨ ، وواضح أن العلماء والعالمين هم الذين يعلمون ما أودع الله من آيات قدرته وجلاله وعظمته وحكمته فى هذه الظواهر التى ذكر فى هذه الآيات وفى غيرها من كتابه ، وأن العلم بها يزيد المؤمن يقينا بالله وخشية له سبحانه ، والعلوم التجريبية كلها سخرها الله للكشف عن أسرار هـذه وأمثالها فى كتابه ، فلم يبق إلا أن يتعاون أولو الكفاية فى العلم والدين من المسلمين على المطابقة فى دقة واحتياط : بين آيات العلم وآيات القرآن ؛ ليعلم من لم يكن يعلم أن القرآن هو كتاب الله الحق ، وأن العلم الحـــديث بطريقته وموضوعه وحقائقه لا يجافى القرآن ، بل هو فرع من القرآن أو هو علم من علوم القرآن ؟

محمد أحمد الغمراوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القيمة الأدبية في الأدب الصوفي

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

يستقبل دارس الأدب الصوفي للوهلة الأولى من النظر فيه مشاعر مختلطة غائمة لا يدري معها ماذا يحمل هذا الأدب في كيانه من معطيات.. أهو كلام له مفهوم ومضمون ووراءه شيء، أم أنه تخبطات متخبطين، وشعوذات مشعوذين، وصيحات مخابيل ومتوصين.. لا تحمل ثمرا، ولا زهرا، ولا ورقا:

ولهذا المظهر الغائم الغامض الذي يظهر فيه هذا الأدب لعيني لم يلم به إلماماً عارضا أو يلقاه على نية مدخولة غير خالصة.

لأجل هذا كانت تلك الحنوة التي يجدها هذا الأدب من كثير من العلماء والأدباء، الذين يمرون به مروراً عجلا ويلقونه أو يلقاهم على غير قصد أو نية.. في ثنايا الدراسات الأدبية أو العقائدية...

وحقيقة هذا الأدب - شعره ونثره - ليست على تلك الصفة التي تدعو إلى مجافاته وتحمل على الزهد فيه.. وأنه إذا كان لغير الأدباء وجه لأن يعتزلوا أدب المتصوفة، أو أن يتحرجوا أو يتأثموا من الوقوف عنده والنظر فيه، التماساً للعافية في دينهم، والسلامة لمستقدم - على حسب ما يظنون ويقدرون - ! نقول: إذا كان لغير الأدباء من علماء وفقهاء، أن يجفوا هذا الأدب، وأن يزهدوا فيه ويلووا وجوههم عنه، لأمر أو لآخر - فإن في أعناق الأدباء حقا لهذا الأدب، واجب الأداء، لا تبرأ منه ذمة الأديب حتى يؤديه على الوجه الأمثل، فيختبر هذا الأدب اختبارا محايدا، ويدرسه دراسة خاصة خالصة للأدب، لا ينظر فيه إلى شيء غير ما تقضي به الأصول المقررة في فن القول: ثم ليكن الرأي - بعد هذا - في هذا الأدب، حمداً أو ذماً، رضاً أو سخطاً، فهو - على أي حال - رأي واجب الاحترام، صالح للنظر فيه، والاطمئنان إليه، لأنه صدر من جهة اختصاص، كما يقولون.

وقد كان لنا قول كهذا القول كما كتبنا في أعداد سبقت من الرسالة فاتهمنا أحد الفضلاء بأننا من «المتصوفة»، وأنه وجد ريح التصوف عالقاً فيما كتبت! وعلى الرغم من أنني حددت موقفي تحديداً واضحاً منذ أول حديث لي في هذه الدراسة، وقلت في صراحة صريحة لا تحتمل تحميلا ولا تأويلا:

إن هذه الدراسة للأدب الصوفي لا تمس الجانب العقدي من هذا الأدب، ولا تعرض له بخير أو شر، إذ هي دراسة أدبية خالصة للأدب وحده - على الرغم من هذا القول

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الواضح الصريح فقد وقع ما خشيت أن يقع . وأبى لبعض الناس فهمهم إلا أن يحرفوا الكلم عن مواضعه ، وإلا أن يجدوا فى هذا القول ستاراً أستر به الدعوة أو الدعاية للتصوف عن طريق الإعلان عن أدبه ، والترويج له بهذه الدراسة ! وليس بين يدى من اللغة وأساليبها ما يقدرنى على الإبانة أكثر مما فعلت لتحديد موقفى من هذا الأدب ، والقصد الذى قصدت إليه من تلك الدراسة !

وأقولها صريحة : إننى لست صوفيا ، ولا متصوفا ، وإنما أنا واحد فى آحاد المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف شيعهم ونحلهم ومذاهبهم ... وإنه لو كان لى صبر على مجاهدة النفس ، وقدرة على مغالبة أهوائها ، وكظم نزعاتها لدخلت مدخل التصوف - كما أفهمه - ولعددت نفسى أهلا للحق بغبار السلف الكريم من صحابة الرسول وتابعيهم . ولكن كيف ؟ والزاد قليل ، والسفر طويل ، والطريق موحش ، كما يقول المثل الأعلى للتصوف ، على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه ؟

أنا لا أفهم التصوف الإسلامى إلا على أنه أسلوب حياة قوية نقية ، مستقيمة استقامة الإسلام . . ولست أفهم التصوف على أنه طائفة ، أو طوائف مرتبة المنازل والدرجات ، ذات شارات وطقوس ، ومراسم . كلا ، فإن التصوف عندى سلوك شخصى فردى يصير بالمرء إلى حال من الاستقامة والصفاء والإشراق ، ثم إنه لا يعنينى بعد هذا أى اسم من الأسماء يحمله هذا الضرب من السلوك ، ليكن تصوفا ، أو زهدا ، أو جهاداً أو أى وصف يكون سمة للسلم المستقيم على شريعة الإسلام ، فى غير انحراف أو ضعف !

وبعد ، فلنعد إلى موضوع حديثنا .

ماذا فى الأدب الصوفى من قيم أدبية يستأهل بها هذا الأدب أن يدرس ، وأن يضاف إلى الأدب العام . ويأخذ مكانه فيه ؟ ونستطيع أن نقول للإجابة على هذا : إن الأدب الصوفى إذا جمع جمعا سليما ، ودرس دراسة صادقة واعية منصفة - لو درس هذه الدراسة لتكشفت لنا منه جوانب ذات خطر فى تقييم الأدب العربى وخاصة ما يتصل منه بالشعر .

إن تهمة الأدب العربى عند الغربيين هى أنه - فى جملته - أدب حسى ، جسدى ، سطحى ، يعنى بالظاهر المحسوس من الأشياء دون أن يتعمقها أو ينفذ إلى لبابها وصميمها . .

ولا أدل على ذلك - كما يقولون - من أن النفس الإنسانية - هذا العالم الرحيب وما يدور فيه - لم ينفذ إليها الأدب العربى ، ولم يتعامل معها ، بل ظل يلعق مما يفور على السطح من زبدها وغثائها دون أن يقع على شئ مما فى الصميم منها . . تلك تهمة الأدب العربى التى يرمى بها الغربيون فى وجه هذا الأدب ، ويتابعهم فيها كثيرون من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المستغربين من موالید العرب، وأبناء العروبة. تلك التهمة التى يحملونها أم النقائص فى الأدب العربى، ويحملون إليها السبب الأول فى تخلفه عن اللحاق بالأدب الأوربى أو التعلق بغباره!

وأحسب أن لو كان الأدب الصوفى قد أخذ مكانه فى الأدب العربى، وامتزج به، ولم يعزل عنه هذه العزلة المحكمة، حتى أنه ليكاد يصفى حسابه من الأدب العربى ليضاف إلى المقولات المذهبية.. فيما يتصل بالدين والعقيدة - أحسب لو أن هذا الأدب الصوفى خالط الأدب العربى، وأضيف إليه باعتباره عملا أدبيا خالصا - كما حدث ذلك فى الأدب الشيعى، وأدب الخوارج - لتغير بهذا وجه الأدب العربى، ولما وجد فيه ناقدوه هذا التخلف الذى نسبوه إليه، ورموه به، من القول بأنه أدب حسى سطحى، ولكان فيما يقام من الأدب الصوفى من نظرات بعيدة عميقة فى أغوار النفس الإنسانية ما يسقط هذه التهمة من أفواههم قبل أن تقع على أقلامهم!

فى الأدب الصوفى ثروة عظيمة نفيسة من الدراسات النفسية العميقة، التى نضجت فى «بوتقة» الرياضة الصوفية، التى أساسها مراقبة النفس، ورصد التيارات المتدفقة المتدافقة فيها ... من رضى وسخط، ورجاء ويأس، وأمن وخوف.. إلى غير ذلك مما تتقلب فيه نفس الصوفى، وتنضج على دخانه ولهيبه، حتى تصفو وتسكن.. وهيهات!

لقد أقام التصوف من النفس كائنا مستقلا بذاتيته وبوجوده، يعيش إزاء الإنسان، بدوافعه ونوازعه، وبهذا استطاع المتصوف أن يلقى النفس لقاء مواجها، وأن يكشف كل خافية منها، وأن يتعرف على موطن القوة والضعف فيها خلال هذا الصراع الطويل المحتدم بينه وبينها، وفى أثناء تلك المراقبة الطويلة المتصلة لحركاتها ونزعاتها واتجاهاتها.. ثم كان الأدب الصوفى - وخاصة الشعر - معرضا مصورا لهذه المراقبة النفسية العميقة أتم تصوير وأوضحه، حيث يمكن أن يعتمد على هذا الأدب اعتمادا وثيقا إلى حد كبير كمرجع من مراجع علم النفس التجريبى. ولا أى حديث للنفس فى هذا الأدب ليس من خطرات الشعراء، ولا من نظرات الحكماء، وإنما هو تجارب إنسانية ناضجة، عاشها أصحابها، ونقلوها فى عبارات جرت على ألسنتهم. وهم متلبسون بهذه التجارب قبل أن تبرد، ويبوخ حميها..

فالنفس الإنسانية واقعة فى عين صوفى، وفى خاطره أبدا. إن لم ترها عينه عيانا تمثلها خاطره ذهنا مشخصا، يقاربه حينا وينابذه فى أكثر الأحيان.. وبهذه المراقبة المحكمة لا تفلت النفس من بين يدى الصوفى، ولا تنفلت من قبضته!

ومن عجب أن بعض فقهاء الغرب يعرف للأدب الصوفى هذه الميزة، ويقدر أثرها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وخطرها فى الأدب العربى - على حين يأبى أكثر علمائنا وأدبائنا على هذا الأدب أن يحسب فى الأدب العربى، أو يضاف إليه، ولا ينظر أكثر هؤلاء وهؤلاء إلى الشعر الصوفى بوجه خاص إلا على أنه من متون النظم للعقيدة الصوفية، كألفية ابن مالك فى النحو، والشاطبية فى القراءات، وما أشبه ذلك .. وفى هذا ظلم عظيم للأدب العربى قبل أن يكون ظلما للشعر الصوفى نفسه .

يتحدث المستشرق (فون جى وينياوم) عن الأسس الجمالية فى الأدب العربى ويعلل لقصور الخيال فى هذا الأدب - حسب تصوره - فيقول : « استسلم الأدب العربى إلى ما كتبته عليه طبيعته الأصلية، فأصبح معرضا للتنويع فى موضوعات متشابهة، والتلذذ بالصور التى تثيرها الكلمات لا التجارب ... وقد أفضى هذا كله إلى ما شاع فى العصر العباسى الأول من رفاهة ودقة فى الإحساس، ومن هذه الصفة انبعث الاهتمام بالناحية اللفظية فى الأدب . ولم يبق إلا التصوف يهدد بقاء المجادلات العقلية، ويؤخر انحدار الأدب العربى إلى الأفول ... إن التصوف يقوم بدور مناقض فإن تلك النظرة الصوفية الحافزة التى ترى الإنسان قادراً على أن يسمو فوق ذاته، وأن يفصح عن مشاعره لا سيما الرموز والصور - هى ذات الشأن الأول فى استمرار شعر التصوف، وجعله شكلا فنيا للتعبير عن الذات - حين كان دافع الخلق فى الفروع الأخرى من الأدب العربى قد أخذ يضمحل».

ونقول : إن فى الأدب الصوفى دعوة قوية جادة، تدعو الإنسان إلى التحليق والسمو وإلى شحذ الهمة، واستفاض العزيمة حتى يعلو على نزعات نفسه، ويتغلب على تيارات أهوائه، ثم لا يزال هكذا فى مصابرة ومجاهدة حياته كلها ... يريد أن يعلو على هذا الوجود الأرضى، وأن يسامت الملأ الأعلى، ويحيا فيه ... ذلك أن الصوفى يدخل التصوف، ومعه رصيد كبير من الإيمان الوثيق، والأمل القوى فى أن ينتزع وجوده كله من هذا العالم الترابى إلى عالم الإشراق والنور، وأنه سيبلغ هذه الغاية يوما، ما دام على الطريق، وما لم تفتر عزيمته، أو تضعف همته ! وسواء أصدقت الأيام آمال المتصوف أو كذبته، فإن هذا الأمل من شأنه أن يقيم فى كيانه مشاعر الثقة بوجوده كإنسان يمكن أن يعلو، وأن يترقى فى درجات الكمال إلى غير حد.

وكل هذه الحيرات التى يحياها الصوفى، وهذه الآمال والمنازع التى تملأ كيانه - كل هذا قد صوره الأدب الصوفى - شعره ونثره - أدق تصوير وأجله، وأصدقه .

فالأدب الصوفى - فى صميمه - دعوة إلى القوة فى أتم صورها، وأكمل مظاهرها ... قوة تقهر المستحيل، وتستعلى على كل صعب، وتستهين بكل خطب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإذن فالقول بأن أدب التصوف أدب انسجام من الحياة ـ قول لم يصدر من إدراك عميق صحيح لهذا الأدب ، ولعل مرد هذا الفهم يرجع إلى ما يشيع فى هذا الأدب من استخفاف بكثير مما يهتم له الناس ، ويحفلون به ... إذ يرى الصوفى أن ذلك دون همته ، وأهون عنده من أن يلتفت إليه ... كما يرجع هذا الفهم أيضا إلى نظرة قاصرة محدودة لا تقع إلا على حواش المتصوفة وشذاذهم ، من أولئك الأمساح الفارغين . أما رجال التصوف وأعلامه وشيوخه فقد كانوا نماذج عالية للقوة والتعالى على الشدائد والآلام .

وفى الأدب الصوفى أيضا مشاهد رائعة معجبة للحب المطلق . الحب لكل شىء ، الحب البالغ غاية ما يمكن أن تحتمل النفس البشرية فى سبيل الحب من مواجد ، وحرق ، وآلام ، وظمأ ، وحرمان .

وسواء أنظرنا إلى هذا الحب نظرة صوفية ، أم أخذناه كما هو ، فإن ما فيه من طاقات الحب ليروى كل عاطفة ، ويخصب كل جديب من تلك النفوس الصلدة المتحجرة ، لو أنه أصابها بوابل ، أو مسها بطل منه .

وهذا ولا شك كسب كبير للأدب باعتباره دعوة إلى تجاوب الإنسان مع الحياة وتفاهمه مع الوجود ، وفى هذا كسب عظيم للإنسانية بما يشيع فيها من نفوس مشرقة متفائلة مقسامية ، متسامحة تسع الوجود كله ، وتبتسم فى وجه كل جميل وقبيح منه ...

يقول ابن عربى :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى
إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
فأصبح قلبى قابلا كل صورة
فرعى لغزلان ، وبيت لأوثان
ودير لرهبان ، وكعبة طائف
وألواح توراة ، ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه ، فالحب دينى وإيمانى !

ولا نحاسب ابن عربى هنا ولا نحاكمه فى ساحة الدين ... فليكن دينه أى دين ، ولكننا ننظر إليه كأديب وسعت نفسه الوجود كله ، وخفق قلبه بحب كل شىء فيه .

إننا ننظر إليه هنا كشاعر يترجم عن عواطفه ، وليس كناظم يؤلف متنا فى عقيدة أو مذهب .

ثم لماذا لا يكون شأن ابن عربى كشأن المعرى مثلا ؟ لماذا لا يعد فى الأدباء أو الفلاسفة ؟ ولماذا يجره غرماؤه جرا إلى ساحة الدين ؟ ويعدونه صاحب دعوة ورسالة فيه ؟ لماذا لا يطلق سراحه ليكون فى جماعة الأدباء أو الفلاسفة ، فيحتمل منه هنا ما لا يحتمل منه هناك ؟ وبذلك ينقطع هذا الجدل الكثير المتصل فيه ، وفيمن كان على شاكلته ؟ إنه شاعر ، وقد قبل الأدب العربى من هم أكثر منه شطحا ، أو تجديفا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو زندقة - إن كان يرى فى أصحاب الشطح أو التجديف أو الزندقة - كأبى نواس، وبشار وحماد عجرد ، ومطيع بن إياس ... ثم أبى العلاء المعرى ! . لماذا لا يقبل ابن عربى وأمثاله من شعراء المتصوفة فى الشعراء كما قبل هؤلاء ؟ أو على أقل تقدير : لماذا لا يأخذ الأدب حظه من شعره ونثره ، كما أخذ الدين بنصيبه من عقيدته ومذهبه ؟ فالرجل إن يكن رجل دين ، فهو قبل هذا رجل أدب وفلسفة وكذلك شأن كثير من الشعراء الذين حسبوا فى المتصوفة ، ولم يكن لهم حساب فى الأدب وحسب شعرهم فى عداد المقولات الدينية ، وكان عكس هذا أقرب إلى الحق وأهدى سبيلا ... لأن الشاعر إنما يصور مشاعر وعواطف ووجدانات تتكون بها الحقائق وتتخفى بين ظلالها وأطيافها .. ولهذا لم يكن الشعر صالحا لتقرير القضايا الفقهية، أو الحقائق العلمية - إلا أن يكون نظم متون كما قلنا - وذلك لما يلتبس به من مشاعر ذاتية ، وما يعلق به من تمويهات الخيال وتهاويله . إن الشاعر - أى شاعر - هو صوفى فى مشاعره ووجداناته، بمعنى أن كلا منهما - الشاعر والصوفى - ملتهب العواطف ، مهتاج المشاعر تغلى فى كيانه لهفة طاغية إلى الوجود كله ، يريد أن يضمه إليه، ويحويه بين جوانحه .. ومن هنا كان هذا التعاطف القوى الوثيق بين الشعراء المتصوفة وغير المتصوفة ، وبين الوجود وموجوداته كلها . . .

يقول الشاعر المهجرى رشيد خورى (الشاعر القروى) :

لم يعن هذا الشعب أنى شاعر
حر يحب بلاده متفانى
بل كل ما يعنيه هل أنا مسلم
فقه ، أم أنا لم أزل نصرانى
إنى على دين العروبة واقف
قلبى على سبحاتها ولسانى
إنجيلى الحب المقيم لأهلها
والذود عن حرماتها قرآنى
يا مسلمون ... ويا نصارى دينكم
دين العروبة . . واحد لا اثنان

ويقول الشاعر المهجرى أيضا رشيد أيوب :

أصلى لموسى ، وأعبد عيسى
وأتلو السلام على أحمد

فأى فرق بين هذا وذاك ، وبين قول « ابن عربى » الذى نقلناه آنفا ؟ أليس لنا أن نقول إن الحال التى كانت مسئولية على ابن عربى وهو يقول شعره - هى حال الشاعر وليست حال العالم ، ولا الفقيه ، ولا الصوفى ، إن ذلك هو القول الذى ينبغى أن يقال فى هذا المقام ولا أقول غيره . ؟

عبد الكريم الخطيب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فرق مسيحية تقول بوحدانية الله وموقف الإسلام منها

للدكتور على عبد الواحد وافى

كانت المسيحية فى مبدأ أمرها - كما ينبئنا بذلك القرآن — ديانة توحيد تدعو إلى عبادة إله واحد ، وتقرر أن المسيح إنسان من البشر ، أرسله الله تعالى بدين جديد وشريعة جديدة ، كما أرسل رسلا من قبله ، وأن الإرهاصات التى سبقت بعثته والمعجزات التى ظهرت على يديه بعد رسالته هى من نوع الإرهاصات والمعجزات التى يؤيد الله تعالى بها رسله ، وأن خلقه بدون أب ليس إلا إرهاصا من هذه الإرهاصات ، وأن أمه صديقة من البشر اصطفاها الله تعالى ؛ فنفخ فيها من روحه فحملت بالمسيح : « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » .

وقد ظلت بعض الفرق المسيحية محافظة على عقيدة التوحيد ، وظل لبعضها أتباع كثيرون حتى أواخر القرن السادس الميلادى ثم انقرضت كلها بعد ذلك .

ومن أهم هذه الفرق فرقة (إبيون) وفرقة (بولس الشمشاطى) وفرقة (أريوس) .

١ — أما فرقة إبيون أو الإبيونيين فإنها تنسب إلى زعيمها إبيون Ebion وكانت هذه الفرقة تقر شرائع موسى ، وتعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذى تحدثت عنه أسفار العهد القديم ، وتنكر ألوهية المسيح ، وترى أنه مجرد بشر رسول ، وكان لهذه الفرقة فى تفاصيل عقائدها إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية لم يصل إلينا شئ من نصوصه ، وإن كان التاريخ قد تحدث عنه وعن بعض ما يشتمل عليه ، وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض فى أوائل القرن الرابع الميلادى ، وتم انقراضها فى أواخر هذا القرن .

٢ — وأما فرقة الشمشاطى فهم أتباع بولس الشمشاطى Paul de Somosate وكان بولس هذا أسقفاً لأنطاكية سنة ٢٦٠ ميلادية ، وأنكر ألوهية المسيح ، وقرر أنه مجرد بشر رسول ، وقد عقد بأنطاكية من سنة ٢٦٤ إلى سنة ٢٦٩ ثلاث مجامع للنظر فى شأنه ، وانتهى الأمر بحرمانه وطرده ولكن بقى لمذهبه على الرغم من ذلك أتباع حتى القرن السابع الميلادى قبيل بعثة رسولنا عليه الصلاة والسلام ، ويذكر ابن حزم فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عن بولس هذا ، « أنه كان بطريركا بأنطاكية وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، كأحد الأنبياء عليهم السلام خلقه الله فى بطن مريم من غير ذكر ، وأنه إنسان لا إلاهية فيه » ... ويقول ابن البطريق (وهو مسيحى من رجال القرن الثالث الهجرى كان من أشهر مترجمى الخليفة المأمون وقد ترجم له كتابى المجسطى لبطليموس وإقليدس [1]) فى بيان مذهب هذه الفرقة أنها كانت تقول : إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره ، وإن ابتداء الابن من مريم (أى إنه محدث وليس قديما) ... ويقولون : إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ، ولا يؤمنون بالكلمة (أى بالابن) ولا بروح القدس ، وهى مقالة بولس الشمشاطى بطريرك أنطاكية وهم البوليقانيون » .

٣ - وأما الأريوسيون فهم أتباع Arius. وكان أريوس قسيسا فى كنيسة الإسكندرية وكان داعيا قوى التأثير ، واضح الحجة ، جريئا فى المجاهرة برأيه ، وقد أخذ على نفسه فى أوائل القرن الرابع الميلادى مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما كانت تذهب إليه من القول بألوهية المسيح ، وبنوته للأب ، فقام يقرر أن المسيح ليس إلاها ، ولا ابنا له ، وإنما هو بشر مخلوق . وأنكر جميع ما جاء فى الأناجيل الأربعة المعتمدة الآن لدى المسيحين (أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا) من العبارات التى توهم ألوهية المسيح ، ويلخص ابن البطريق مذهبه فيقول : « كان يقول : إن الآب وحده هو الله ، وإن الابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الآب حينما لم يكن الابن » .. وقد تبعه مشايعون كثيرون . فقد كانت كنيسة أسيوط على هذا الرأى ، وعلى رأسها ميليتيوس ، وكان أنصاره فى الإسكندرية نفسها كثيرين فى العدد أقوياء فى المجاهرة بما يعتقدون ؛ كما تبعه خلق كثير فى فلسطين ، ومقدونية والقسطنطينية ؛ وذلك على الرغم من أن كنيسة الإسكندرية لم تأل جهدا فى محاربته ومحاربة آرائه ، وعلى الرغم من حكمها عليه بالطرد من الكنيسة . - ثم أخذ هذا المذهب يضمحل ويتناقص عدداً تباعه بعد أن حكم بحمع نيقية سنة ٣٢٥ بطرد أريوس ، وكفره وأصدر قراره بألوهية المسيح ، وما يزال يضمحل ويتناقص عدد أتباعه حتى انقرض كل الانقراض فى أواخر القرن الخامس الميلادى .

ويظهر أن هذه الفرق كانت تعتمد فى عقائدها هذه على ما انتقل إليها من حقائق الإنجيل الصحيح الذى أنزله الله على عيسى ، وعلى أناجيل أخرى من تأليف الحواريين والتلاميذ ، والأتباع غير الأناجيل الأربعة التى تقرر عقيدة التثليث ، وألوهية المسيح ، وهى الأناجيل المعتمدة الآن لدى المسيحين (أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا) .

(١) أنظر الفهرست لابن النديم ص ٣٤١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد وصلت إلينا نصوص إنجيل من هذه الأناجيل الأخرى التي تقرر وحدانية الله وبشرية المسيح ، وهو إنجيل (برنابا) فقد قرر برنابا في إنجيله هذا : أن المسيح ليس إلا بشراً رسولا ، وأنه ليس إلاها ، ولا ابنا لله ؛ ونص على ذلك في مواطن كثيرة من هذا الإنجيل ، فهو يقول في مقدمته : « أيها الأعزاء إن الله العظيم قد اختصنا بنبيه يسوع المسيح رحمة عظيمة للعالمين ، وخصه بمعجزات اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين ، فأخذوا يبشرون بتعاليم ممقتة في الكفر ، داعين أن المسيح ابن الله ... وقد ضل مع هؤلاء بولس الذي لا أتحدث عنه إلا مع كثير من الأسف والأسى ، وهذا هو ما دعاني إلى أن أسطر الحق في هذه الشئون » . ويروى في آخر الفصل الثالث والتسعين أنه قد : « قدم على المسيح كبير الكهنة مع الوالي الروماني والملك هيرودس ملك اليهود ، فذكر له كبير الكهنة أن فريقا من الناس يقولون : إنه إله ، وأن فريقا آخر يقولون : إنه ابن الله ، وطلب إليه أن يعمل على إزالة هذه الفتنة التي ثارت من أجله ، فقال يسوع : وأنت يا رئيس الكهنة لماذا لم تخمد الفتنة ؟! وهل جننت أنت أيضاً ؟! ثم قال : إني أشهد أمام السماء ، وأشهد كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ما قاله هؤلاء الناس عني من أني أعظم من بشر ، لأني بشر مولود من امرأة ، وعرضة لحكم الله أعيش كسائر البشر » . ويقول في آخر الفصل السبعين : « إن يسوع قد نظر إلى الحواريين عندما بلغه افتتان الناس به ، وادعاؤهم أنه إله أو أنه ابن الله ، وطلب إليهم أن يبدو رأيهم في ذلك ، فأجاب بطرس : إنك المسيح ابن الله فغضب حينئذ يسوع وانتهره قائلا : اذهب وانصرف عني ؛ لأنك أنت الشيطان » .

وينسب هذا الإنجيل للقديس برنابا ، وهو أحد تلاميذ المسيح ، وكان قبل اعتناقه للمسيحية يهوديا من اللاويين (فقهاء اليهود من قبيلة لاوى أو ليفى) ، وكان اسمه يوسف وسماه الحواريون برنابا (أى ابن الوعظ والإرشاد ، لأنه كان بليغا في هذا الميدان) . ويروى سفر « أعمال الرسل » لوقا ، وهو أحد أسفار العهد الجديد ، أن برنابا باع جميع ما يملكه من أرض في فلسطين ، وقدم ثمنه للحواريين ليستعينوا به في الدعوة إلى المسيحية ومساعدة فقراء المسيحيين ، وأنه هو الذي ضمن بولس أمام الحواريين ، وشهد بصحة إيمانه ، ولولا تزكيته هذه ما صدق الحواريون بولس وما قبلوا انضمامه إليهم ، وأن الحواريين قد كلفوا برنابا عدة مهام تتعلق بالتبشير وتنظيم المجتمعات المسيحية الأولى ، فقام بما عهد إليه به خير قيام .

وينسب لبرنابا - بجانب الإنجيل الذي نتحدث عنه - سفر في تاريخ الحواريين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والتلاميذ ، يتفق موضوعه مع موضوع « أعمال الرسل » لوقا ، ويحمل الاسم نفسه الذى يحمله هذا السفر الأخير .

ومع تقديس الكنائس المسيحية الحاضرة لبرنابا ، فإنها لا تعترف بصحة نسبتهما إلى برنابا ، بل تذهب إلى إنهما مزيفان ، وأن ملفقيهما قد ألصقوهما ببرنابا ليروجوهما .

* * *

ولعل هذه الفرق المسيحية التى بقيت محافظة على عقائد التوحيد ، وانقرضت قبل ظهور الإسلام هى التى يعنيها القرآن الكريم حينما يثنى على عقائدها ، ويقرر أن أفرادها ناجون . أما من أدرك الإسلام من أفراد النصارى على العموم فإن ، هذه الأحكام لا تصدق عليه إلا إذا آمن بالدين الجديد . ويؤكد هذا المعنى أن القرآن حينما يصدر هذه الأحكام على النصارى يقرر : أنها لا تصدق إلا على « من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا » ، أى حافظ على عقيدة التوحيد وعلى شريعة رسوله ، ومات على ذلك قبل ظهور الإسلام ، أو أدرك الإسلام وآمن به أيا كان حاله قبل ذلك . فمن ذلك قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ؛ وقوله : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، وقوله : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين » ؛ وقوله : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب » ؛ وقوله : « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيما » ؛ وقوله : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون » وقوله : « والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين » .

وفى ضوء ذلك يؤول جميع ما كتبه الشيخ محمد عبده فى هذا الموضوع .

دكتور على عبد الواحد وافى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

دعوة الله إلى الإسلام
أثارت عجب المتكبرين وإعجاب المصدقين

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

أكان للناس عجباً : أن أوحينا إلى رجل منهم : أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا : أن لهم قدم صدق عند ربهم ، قال الكافرون : إن هذا لساحر مبين ...

١ — حينما يجرى قضاء الله بشيء جديد في دنيانا تستقبله النفوس الخبيرة بإعجاب المبتهج ، وتبادر إلى الإيمان به في غبطة بما أدركت منه ... وفي شكر لله على ما ظفرت به .

ويزداد يقينها في حسن ما صنع الله ، وفي جميل ما أراد بخلقه .

وعلى غير ذلك نفوس ملتوية عن سبيل الرشد ، إذ يحجبها الجهل ، والكبرياء عن حسن التقدير ، وتغفل عن حظها فيه ، وتقف منه موقف العجب الجاحد وتتمادى حتى تتردى في مهالكها ، وتبوء بسوء مغبتها .

كان ذلك شأن قريش حين بعث الله من بينهم عبده محمداً رسولا إليهم ، وإلى الناس كافة .

فانحاز عن دعوته أناس ، وعجبوا أن يكون هذا قضاء الله .

وأقبل على الدعوة آخرون : مطمئنين إلى أقدار الله في ملكه ، وفي خلقه .

أنكر الكفار أن يكون لله وحي إلى إنسان ، وأن يكون هذا الإنسان رجلا منهم فلا يستسيغون أن يكون تبليغ الله إلى خلقه محمولا على لسان بشر .

ويزداد إنكارهم لأن يكون تبليغ الإنسان إياهم بمنطق فوق مستواهم : وهم أهل الفصحى ولا جرم ...

يبهرهم ذلك ، فيقولون كذبا عن هذا المبعوث من بينهم ، وهم أعرف به : « إن هذا لساحر مبين » !! فهذه دهشة ، تثير حقدهم ، وتهيج مشاعرهم ، فيكون قدحا مزدوجا في النبي ، وفيما حدثهم به عن ربه ، فهو ساحر ، طلع عليهم بسحره ، وما السحر إلا شيء غريب مصطنع ... ذلك إنكارهم وقد بدأ الله حديثه عنهم في سورة يونس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بإنكار دهشتهم ، « ونفى ما بدا منهم بقوله « أكان للناس عجبا : أن أوحينا إلى رجل منهم » ، « فذلك تبكيت لهم ، وفيه تقرير لما أنكر هؤلاء الناس ، وهم الكافرون .

٢ — وماذا ينكرون من عمل محمد ؟ أينكرون أنه ينذر الناس جميعا بتخويفهم من عذاب الله فهتدوا ؟

وأنه يبشر المؤمنين منهم ومن غيرهم ، بأن لهم قدم الصدق عند ربهم ، فينشطوا ، ويضاعفوا صالح عملهم .

وقدم الصدق هى : أقدام السابقين إلى دخول الجنة ؛ فإن وعد الله بها صدق ، وأقدام المؤمنين تسعى بهم إلى الفوز بذلك الوعد ... كما قيل « إن المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

ومما ورد فى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم . نحن الآخرون السابقون يوم القيامة . وقوله : إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها أنا . وعلى الأمم ، حتى تدخلها أمتى . ووجه ذلك : أن محمدا أفضل المرسلين ... وأن أمته المطيعة له خير أمة أخرجت للناس ، لما كانت عليه من تشريع كامل ، وإيمان أفسح من إيمان سواها ، فهم لذلك أسبق دخولا الجنة ...

٣ — لم يكن مجاء الكافرين قاصرا على السحر ، بل أسرفوا فى التضليع ، فقالوا : العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبى طالب . !

ثم استهانوا كذلك ، فقالوا : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ؟ » يعنى : هلا ...

يريدون : أن محمداً لا يستحق الرسالة لو كانت حقا كما يقول . والأولى بها عندهم : الوليد بن المغيرة عظيم مكة ... أو حبيب ابن عمرو الثقفى : عظيم الطائف .

وكلاهما من المتبوعين لضعفاء الكفار ، ومن سراتهم ... والله سبحانه يستهين بتلك العقلية الجاحدة التى تفترض من عندها أن تكون الرسالة لواحد من صناديد كفارهم .

فينبه على أن الرسالة من عطاء الله ، ومن ملاح فضله ورحمته بخلقه ، فهو الذى يختار من يصلح لها فى حكمته ، وتقديره فيقول « أهم يقسمون رحمة ربك » ويقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته . ويقول : وربك يخلق ما يشاء ، ويختار ، ما كان لهم الخيرة »

وفى هذا نزول بهم عن مدارج الرشد . الإنسانى حيث يفترضون ما لا قبل لهم به ، ويضعون أنفسهم فوق مستواها : دون نظر فى تفاهتهم ، أو تنبه إلى هوانهم عند الله !!

٤ — وكانوا يقولون « لو شاء ربنا لأنزل ملائكة » يريدون أن الرسالة أمر يليق بالملائكة ولا يصلح له بشر . فهم يستكثرون على الله أن تكون له حكمة فيما يصنع .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والله ـ عز شأنه ـ يقيم حجته عليهم فيما دبره من شأن الرسالة قديما ، وحديثاً ، فيقول لرسوله : « قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون ، مطمئنين ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » !!.

ومفهوم ذلك : أن الأرض لا يسكنها ملائكة ، وأن الله استخلف فيها آدم ، وذريته فلو أرسل ملكا من ملائكته إلى هوم الناس لكان مغايراً لهم فى جنسيتهم ، وفى لغتهم ، فلا يكون التجانس بين الجانبين موفورا ، فلا يتسنى للناس أن يتلقوا تبليغ الملائكة إليهم ، لما بين الملائكية . والإنسانية من تباعد .

وإنما يختار الله من الآدميين من هيأته القدرة بالمواهب التى تؤهله للاتصال بعالم الروح ، ومن خصه ربه بنفس زكية فوق مستوى النفوس العادية ، وأيدته القوة القدسية بمعالم الرشد اللائقة بمن يكون وسيطا بين عالم الروح ، وعالم المادة .

فيكون هذا الإنسان هو الرسول المختارة وتكون رسالته تبليغا عن الله إلى سكان هذه الدنيا ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وهذه حكمة بينة تدحض كل تعسف ، وتعصف بكل باطل ، وتفضح كل أفاك .

وتأييدا لما ظهر من الحكمة السالفة يقول الله تعالى :

« الله يصطفى من الملائكة رسلا ، ومن الناس » فالملائكة رسل الله فى تنفيذ أموره بنا ، ومنهم ملك الوحى ـ والناس يكونون رسلا إلى أممهم ، باصطفاء الله لهم ليتلقوا عن الملائكة . . ويقول : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ، ليبين لهم » .

ويقول : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم » .

وهكذا : مما يقتلع الباطل ، ويهدى إلى الحق ، لو كان القوم يفقهون . . !!

ولكنهم تبجحوا فقالوا ذلك أو غير ذلك . فمرة يقولون : إنه كاهن ، وأخرى : يرمونه بالجنون ، وبالشعر ، وبالتلقى عن رجل يهودى كان يعيش بمكة ، والله تعالى ينفى كل ذلك عن رسوله محمد ، وعن كتابه الكريم ، فيقرع أسماعهم بالثناء المستطاب ، ويكبت حقدهم بالتزكية العطرة البليغة ، ويقرر لكتابه منزلة فوق المنازل . . فيقول : « وما علمناه الشعر ، وما ينبغى له » ... وما هو بقول شيطان رجيم . . وما صاحبكم بمجنون . . « إنه لقول رسول كريم » . وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن : قليلا ما تذكرون » وغاية ما يطمحون إليه أن يخدشوا مقام النبوة ، ويغمزوا فى الوحى ، وفى الكتاب ، والله سبحانه ينتهى بهم ، وبكل مكابر يتعامى عن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جلال القرآن أو يتشكك ، أو يشكك فيه إلى تعجيز لا قيام لهم منه ، فيقول « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ثم يرميهم بحجر أخير ، فيقول عنهم « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » .

٥ — ورب سائل : إذا كانت رسالة الله لمحمد إلى سكان الأرض ، فهل كانت إلى الجن كما كانت إلى الأنس ؟ وجواب ذلك : نعم !! وهو ماورد منطوقا به فى القرآن ، فيكون إنكاره خروجا عن الإيمان .

وانظر قول الله فى هذا : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا : أنصتوا فلما قضى ، ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا : يا قومنا إنا سمعنا كتابا ، أنزل من بعد موسى ، مصدقا لما بين يديه ، يهدى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم ... يا قومنا : أجيبوا داعى الله ، وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويجركم من عذاب أليم ... إلخ » فى هذه الآيات توجيه إلى تكليف الجن بالاستماع من محمد لما يتلوه ، وتصريح بأن المستمعين منهم بلغوا قومهم ، ووصفوا لهم ما سمعوا من القرآن ، ثم دعوهم إلى الإيمان يغفر الله لهم ذنوبهم ، وحذروهم التخلف عن دعوة القرآن على لسان محمد .

وهل فى المقام شك بعد ذلك التنصيص القاطع بتكليف الجن ، ورسالة محمد إليهم .

وكذلك يحكى الله عن الجن ما وقع منهم فى قصة كهذه .

« قل : أوحى إلى : أنه استمع نفر من الجن ، فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا - جميلا - يهدى إلى الرشد ، فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا » إلى أن قال عنهم : « وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون - غير المسلمين - فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » الخ .

ومن هذا نفهم أن للجن رسلا منهم ، كانوا مكلفين بالاستماع إلى محمد ، وبالتبليغ إلى قومهم ، وأن فيهم مطيعين للإسلام ، ومنهم مخالفون له . . وأن لهم جزاء عند الله على مايقدمون من عمل ، كبنى الإنسان سواء .

على أنك تجد فى القرآن خطابا صريحا للثقلين جميعا : « يا معشر الجن والإنس : ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ » « يا معشر الجن والإنس : إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا » . « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن ، والإنس الخ » .

٦ — وقصارى الحديث فى هذا : أن رسالة محمد لعامة الخلق جميعا ، فهى رسالة تبليغ ، وتشريع ، وتكليف بالنسبة للإنس والجن جميعا .

وهى رسالة تشريف للملائكة ، إذ الملائكة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ليسوا بحاجة إلى تبليغ من جانب الرسول ، فإنهم مطبوعون على الطاعة بالجبلة لا بمقاومة الشهوة وجهاد النفس، بل بتلقينهم التدين من جانب الله مباشرة .

فليسوا من طينة الإنسان ، ولا من النار كالجن ، وإنما هم من عالم النور ، وعالم النور غير عالم المادة التي تهبط إلى الشهوات وتقترف المآثم فتحتاج إلى التهذيب .

فهم كما قال الله فيهم : « لا يعصون الله ما أمرهم .. ويفعلون ما يؤمرون » .

وحسبهم أنهم يتشرفون بالإيمان بمحمد ، وبتبليغ الرسالة إلى محمد ، وبالسير في معية محمد ، ومناصرة محمد ، وهم سابقون في طاعتهم على عهد محمد ، ولم يكن ينقصهم علم جديد ، ولا تدين جديد .

وليس من هدفنا أن نستطرد في هذا الشأن وإنما هي مناسبة اقتضاها السياق لتشفي حاجة في نفس القارئ .

٧ — هذا ـ وإن يكن في الدنيا من يعيش على غير إيمان بما حدثناك : فقد تكفل الله بتكذيبهم قديما ، وحديثا وإليه مرجعهم جميعا ، فيوفي كلا منهم جزاءه غير منقوص .

٨ — وأنت ترى فيما ذكرنا لك من مثالب الكفار لمحمد صلى الله عليه وسلم بعدا عن المساس بنسبه ، وعن الغمز في عشيرته .

والنسب عند العرب مناط المجد أكثر من أي شيء سواه فهم على ما أسرفوا في جحودهم لرسالته لم ينالوا من أبوته ، ولا من أمومته بل لم ينكروا عراقته في أمجاد الأصول القبلية .

كما أنهم لم يطعنوا عليه في مسلك شخصي .

ولم يأخذوا عليه ريبة تغض من شأنه قليلا وهم الخصوم المعاصرون له .

ولو أتيح لهم أن يلتمسوا شيئا من ذلك لأذاعوا به ، ولأفاضوا فيه ، وأضافوا إليه ما يشفي غلة الخصومة في نفوسهم الحانقة .

وكأنهم حادوا عن اختلاق شيء من ذلك لاعتقادهم أنه عند القوم بنجوة من الريبة في شخصه وفي مسلكه بعامة .

وأنهم لو ابتدعوا غمزات من عندهم لكشفوا عن حفيظتهم ، ومكنوا الناس أن يكذبوهم في كل ما يهرفون به ، وهم يجهدون أنفسهم في ترويج ما يفترون .

ويكاد المريب يقول خذوني .

فليكن هذا كله ترويجا غير مباشر منهم لما نقرره نحن عن عقيدة حقة ، وليكن إقرارا على أنفسهم بالتناقض .

ثم ليكن تركيزا لإيماننا به ، ومزيدا لطاعتنا لشريعته ، وتعلقا بسيرته ، والتماسا لشفاعته في الآخرة .

صلوات الله عليه وسلامه في الأولين ، وفي الآخرين ، وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين وما بعد يوم الدين .

عبد اللطيف السبكي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى أى مدى تتغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الباسط

— ٣ —

انتهيت فى المقالين السابقين إلى تحديد الخطوط الرئيسية للمسائل التى تقبل التطور والمسائل التى لا تقبل التطور وقد قلت: إن أكثر الأحكام قبولا له هى الأحكام التى ترجع إلى العرف أو الأحكام التى ترجع إلى المصالح المرسلة؛ ولما كان هذان الأصلان يحتاجان إلى تفصيل وبيان كان من اللازم بيانهما على أتم وجه ليكون الفقيه أو من يتعرض النظر فى الأحكام على بصيرة من أمره فلا ينزلق وراء تحكم الأهواء والأغراض.

وبحثنا - اليوم - فى العرف؛ فى تحديد معناه وبيان أقسامه؛ ومدى الاحتجاج به، وبيان الفرق بينه وبين الإجماع؛ وهل هو حجة شرعية مستقلة؟.

* * *

معنى العرف: فى اللغة - كما فى القاموس - الجود، واسم ما تبذله (أى تجود به) وموج البحر؛ وضد النكر وهذا المعنى الأخير هو أنسب المعانى للمعنى الاصطلاحى فقد عرفه الأصوليون بأنه ما تعارف عليه الناس أو طائفة منهم من قول أو فعل أو ترك، وهو ما يعرف بالعادة فالعرف القولى كتعارفهم على إطلاق لفظ دابة على ذوات الأربع؛ ولفظ حيوان على ما سوى الإنسان من أنواع الحيوانات وكتعارفهم على عدم إطلاق لفظ اللحم على السمك والكبد والكرش ولحوم الطير؛ فإنها لا تطلق - الآن - إلا مقيدة فيقال لحم سمك ولحم طير كدجاج وغيره؛ بدليل أنه لو أمر سيد خادمه أن يشترى له لحماً فاشترى سمكا أو دجاجا أو كبداً أو لحم رأس فإنه يعتبر مخالفاً لأمره.

ومن العرف العملى ما اعتاده الناس من وضع بطاقة بسعر البضاعة فتقوم مقام الإيجاب فى عقود البيع وما اعتادوه من ترك أمتعتهم أمام المصلى فيكون هنا وديعة يجب على المصلى حفظها حتى يعود صاحبها حتى إنه لو قصر فى المحافظة عليها كان ضامنا.

ومما تعارف الناس على تركه حتى إنه أصبح فى حكم المباح ما تساقط من السنابل عند حمل القمح أو ما فى معناه إلى البيدر وكذا ما يبقى فى الأرض بعد الحصاد؛ وكذا ما تعارف الناس على التساهل فيه كثمر بعض الأشجار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كالتوت والجبز فى بعض البلاد . كل ذلك مما تعارف الناس كلهم أو جماعة منهم عليه ؛ وهذا هو المسمى بالعرف حتى إنهم ينكرون على من خالفه ، ويعتبرونه شاذا .

أقسام العرف : ينقسم العرف - باعتبار ما وقع عليه التعارف - إلى قسمين لفظى وعملى ؛ فاللفظى كأن يكون للفظ معنى فى اللغة ولكن تعارف الناس على إطلاقه على بعض أفراده دون بعض كما مثلنا بلفظ دابة ، ولفظ حيوان ، ولفظ لحم .

والعرف العملى كما مثلنا بتساهل الناس فى ثمار بعض الأشجار ، وما تساقط من القمح وغيره . وينقسم - باعتبار ما اصطلحوا عليه - إلى قسمين : عام وخاص .

فالعرف العام : ما تواضع عليه عامة الأمة كإطلاق لفظ دابة على ذوات الأربع .

وخاص : وهو ما تواضع عليه أهل بلد أو أصحاب صناعة أو مهنة من لفظ أو عمل أو ترك كتواضع أهل مصر على تقسيم المهر إلى معجل ومؤجل وأن المؤجل يكون نصف المعجل ، وكتواضعهم على أن يكون أثاث المنزل - عادة - يكون للزوجة لا للزوج ؛ وتواضع أصحاب بعض السلع على ضمانها من التلف إلى مدد جرى بها عرفهم حتى ولو لم يذكر ذلك فى العقد .

كما ينقسم العرف - باعتبار كونه مشروعا أو غير مشروع - إلى قسمين : صحيح وهو ما تعارف الناس كلهم أو بعضهم عليه ولم يدل دليل من الشارع على فساده وبطلانه كالأمثلة التى ذكرتها آنفا وفاسد كتعارفهم على أن المؤجل من الثمن يكون بفائدة متعارفة عندهم ، فإن هذا ربا ، حتى ولو لم ينص عليه فى العقد ، فإن من القواعد الشرعية « أن المعروف عرفا كالمشروط شرطا » فتكون هذه الزيادة ربا ، لأنها فى حكم المنصوص عليها وقد عرف الربا شرعا بأنه : فضل خال عن عوض بعقد .

ومن العرف الفاسد ما تعارف عليه الناس من صنع أهل الميت طعاما للمعزين فقد روى الإمام أحمد وابن ماجه بإسناد صحيح عن جرير ابن عبد الله رضى الله عنه قال : « كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعهم الطعام من النياحة » .

ومثل ذلك عمل المآتم وإحياء يوم الأربعين من موت الميت ونقل الطعام إلى القبور فى المواسم والأعياد ؛ بل إن المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم غير ذلك فقد ورد عنه أنه قال : « اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم ما يشغلهم » رواه الترمذى وحسنه وصححه الحاكم ؛ هذا وما أكثر العرف الفاسد فى المآتم والأفراح فينبغى عرض هذه العادات على قواعد الشريعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فما وجدناه منها فاسداً حاربناه ؛ وإلا تركنا الناس وما اعتادوه فى حياتهم .

هذه هى أقسام العرف بحسب الاعتبارات المختلفة .

مدى الاحتجاج بالعرف :

إذا أسقطنا العرف الفاسد ؛ فإلى أى مدى نحتج بالعرف الصحيح ؛ وهل يمكن أن نخصص به النص الشرعى العام أو القواعد الشرعية العامة .

وقبل الإجابة على ذلك لابد أن نعرف الدليل على اعتبار الشارع للعرف .

لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وللعرب عرف وعادات فأقرها إلى أن أبطل الله تعالى بعض هذه العادات وأقر بعضها فنفهم من ذلك أن عادات الأمم لها اعتبارها ووزنها فى نظر الشارع ؛ لأن النبى صلوات الله وسلامه عليه بعث للناس كافة ؛ ألم يتبن الرسول صلى الله عليه وسلم زيداً حتى كان يقال له زيد بن محمد وبقى هذا التبنى وهو بمكة وردحا من الزمن فى المدينة حتى نزل قوله تعالى « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » وقوله « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم » ، « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » .

وهذه الآيات كلها نزلت فى سورة الأحزاب وهى قد نزلت بعد موقعة الخندق فى السنة الخامسة من الهجرة ؟؟ !!

ثم ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم لخولة بنت ثعلبة التى ظاهر منها زوجها أوس ابن الصامت « ما أراك إلا قد حرمت عليه » لما تعارف عليه العرب من أن الظهار تحريم إلى أن نزل قوله تعالى : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير . الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول وزورا » إلى آخر الآيات التى بين فيها أحكام الظهار .

ثم ألم يعتبر الشارع ما تعارفه العرب من اعتبار الكفاءة فى النكاح ؟ !! وإن كان تحديد معنى الكفاءة مما يختلف فيه العرف بين الناس ويختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة .

وكذلك اعتبر الشارع الدية وأوجبها على العاقلة لما بين أفرادها من تناصر ، ولما فى إيجابها عليها من الضرب على أيدى المفسدين ، كما اعتبر العصبية سببا للولاية والإرث إلى كثير من الأحكام التى جاء الشارع مقرراً فيها العرف حتى أصبحت شرعا لا يجوز لنا أن نحيد عنه ؛ بل إننا نفهم من هذه الأحكام أن الشارع جعل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العرف وزنا واعتباراً فى التشريع ، ولقد بنى الأئمة المجتهدون كثيراً من الأحكام على العرف الشائع فى زمانهم ، فكثيراً ما نرى صاحبى أبى حنيفة أبا يوسف ومحمدا يخالفانه فى الرأى ؛ ونرى عند الرجوع إلى استدلالهم أن منشأ الخلاف هو اختلاف العرف باختلاف الزمن مع تقارب ما بينهم من زمن .

ونرى الشافعى رضى الله عنه غير كثيراً من آرائه بعد انتقاله إلى مصر ، ونرى أن بعض هذه الآراء ترجع إلى اختلاف العادات بين أهل العراق وأهل مصر .

ونرى مالكا رضى الله عنه يعتبر عرف أهل المدينة مصدراً من مصادر الأحكام فعلى أهل كل مذهب من هـــذه المذاهب أن يعيدوا النظر فى مذاهبهم فما وجدوه من الأحكام مبنياً على العرف فإنه يسعهم أن يخالفوا رأى إمامهم إن كان العرف قد تغير ، ولا يعتبرون بذلك خارجين على أصول مذهب إمامهم .

إذا عرفنا هذا فنقول : إن الإجماع منعقد على أن العرف القولى يعتبر مخصصا للنص الشرعى العام ، وللقواعد الشرعية العامة ؛ فإذا ورد عن الشارع نص فيه لفظ عام ولكن العرف خصص هـذا العام ببعض أفراده فإن هذا النص لا يحمل على كل أفراده ، بل يحمل على ما تعورف الحمل عليه ؛ وذلك كقوله صلى الله عليه وسلم (لا تبيعوا الطعام بالطعام إلا مثلا بمثل) فلفظ الطعام عام فى كل مطعوم ، ولكنه فى هـــذا الحديث لا يحمل إلا على البر وحده لأنه المتعارف عليه عند الإطلاق .

وأما العرف العملى فهل يخصص به العام ؟ ذهب الحنفية إلى أنه كالعرف القولى ؛ إذ التفرقة بينهما تحكم ؛ وكل ما قيل من وجوه التفرقة بينهما تحمل وتعسف فالاستصناع عرف عملى وقد ترك به قاعدة شرعية عامة وهى أن لا يجمع بين بيع وإجارة فى عقد واحد ؛ ومع هذا فهو مشروع .

ودخول الحمام مع عدم تحديد القدر الذى يستهلكه من الماء أو الصابون وعدم تحديد زمن المكث جائز شرعاً مع أنه تعاقد فيه جهالة ولكن تعارف النـــاس على التسامح فيها ..

وأمثال ذلك كثير وكثير ؛ ولو عرضنا كثيراً من المعاملات التى قال الفقهاء الأقدمون بفسادها بحجة أنها مفضية إلى النزاع ولكن الناس الآن تسامحوا فيها وأصبحت ليست مثار نزاع ؛ لو عرضناها ـ الآن ـ على بساط البحث لرأينا أن نقول بجوازها ومشروعيتها اللهم إلا أن تكون ممنوعة بالنص .

الفرق بين العرف والإجماع :

العرف كما عرفنا فى أول هـذا البحث

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هو ما تواضع عليه الناس أو طائفة منهم من قول أو فعل أو ترك وينشأ من اتفاق الناس لا فرق بين عامتهم وخاصتهم بخلاف الإجماع فإنه - كما عرفه المحققون من الأصوليين - اتفاق مجتهدى الأمة فى عصر من العصور بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على حكم شرعى .

وبهذا يتبين أن العامة لهم مدخل فى العرف دون الإجماع ؛ والعرف قد يتغير بخلاف الإجماع فإنه إن انعقد لا يجوز لمن يأتى بعدهم أن يخالفهم لأنهم ما أجمعوا إلا بعد اجتهاد وتمحيص بخلاف العرف فإنه يحصل بين أهله بمجرد الاتفاق من غير بذل جهد أو استعراض أدلة ولكن تواضعوا عليه وتوارثوه فيما بينهم استجابة لحاجتهم وظروفهم ولهذا فهو يتغير بتغير الظروف والملابسات .

ولعلى بهذا أكون قد بينت مكانة العرف فى التشريع الإسلامى وأيا ما كان فليس العرف دليلا خارجا عن الأدلة الشرعية المعروفة وهى الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

وإلى مقال آخر نفصل فيه الكلام على المصالح المرسلة إن شاء الله تعالى .

بدر المتولى عبد الباسط

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

القول فى دين الله عن جهل

ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ، ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ، ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد .

ويقول تعالى : وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العماري

— ٣ —

إن الدين عند الله الإسلام :

ثم يستطرد المؤلف إلى جدل وقع بين مسلم ومسيحي ، وقد عاب على المسلم استشهاده بقوله تعالى : « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم » ، ووجه العيب عنده أن الكلمة من قول اليهود ، يريد أنها لا تستعمل إلا كما قيلت ، وزعم أن الشيخ المسلم أدركه الحصر ، وأنه — أي المؤلف — قال للشيخ : حرام عليكم يا مولانا أن تفتروا على الله الكذب ، وأن تأخذوا ما في المصحف الشريف وتفهموه على ما يقضي به علمكم ، وتوقدوا بذلك نار الفتنة بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب ، وبخاصة النصارى .

والمؤلف يعلم أن جميع المسلمين عالمهم وجاهلهم ، يعاملون أهل الكتاب المقيمين بينهم كما أمرهم دينهم أن يعاملوهم : (لهم مالنا وعليهم ما علينا) ، ويسيرون على مقتضى قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

ويعلم أنه لا مانع : لا عربية ، ولا دينا ، ولا خلقا أن يتمثل إنسان بآية أو ببعض آية من القرآن إذا كان المقام يقتضي هذا التمثيل ، وهو يفهم جيداً ما أعنيه بهذه الكلمة .

فالشيخ لم يفتر على الله ، ولم يحاول أن يوقد نار فتنة ، ولعل صاحب المؤلف الذي وصفه بأنه من (إخوانه الأقباط) هو الذي بدأ بالعدوان ، ولكن المؤلف كأنما ندب نفسه للدفاع عن (إخوانه) بدليل قوله في نفس الموضع (وبخاصة النصارى) .

وأعتقد أن نشر هذا الحديث كما ذكره المؤلف في كتابه هو الذي يوقد نار الفتنة لا ما قاله الشيخ في جدل محصور بينه وبين أحد الناس ، فما الذي حمل المؤلف أن ينشر هذه الحكاية الصغيرة في كتاب ؟!

ثم يستمر المؤلف فيذكرنا بأن القرآن وصف النصارى بأنهم أقرب الناس مودة للمسلمين ، وذلك في الآية الكريمة : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » .

ويكتب تعليقا فى هامش الصفحة على الأوصاف الأخيرة فى الآية فيقول : (لم تقل الآية : وإنهم غير مؤمنين بمحمد ، أو إنهم مسلمون معك !) هكذا بوضع علامة التعجب بعد هذه الكلمات .

فأولا : كيف غاب عن هذا المتحمس لإخوانه أن الدول المسيحية كانت ولا تزال تنزل بالمسلمين أقسى أنواع الاضطهاد ، وتستظلهم أسوأ أنواع الاستغلال ، وان ينسى المسلمون أبدا مافعلته إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وغيرها من الدول المسيحية بالعالم الإسلامى والعالم العربى ، وليس ما فعلوه مجهولا حتى ندل أحدا عليه ؟ .

وكيف غاب عنه أن كل أعمال المبشرين ، وكتاباتهم لا تعنى فى الدرجة الأولى - كما هو المفروض - بنشر المسيحية وتعاليمها ، ولكن عنايتهم الأولى بتحطيم الإسلام ، ونزعه من قلوب المسلمين ، وأن أعمال المبشرين وكتاباتهم هى التى هددت السلام بين الأمم التى تتألف من مسلمين ومسيحيين ، وهذه الكتب تفيض بالأحقاد على الإسلام والمسلمين .

وإذا كان المؤلف لم يسمع بشىء من هذا فإننا ننقل له كلمات من كتاب عنوانه (البحث عن الدين الحقيق) وهذا الكتاب ألف ليدرس فى المدارس الأجنبية المنبثة فى البلاد العربية ، وقد صدر عن اتحاد مؤسسات التعليم المسيحى فى باريس ، ونال رضا البابا ليون الثالث عشر - كما ذكر صاحبا كتاب (التبشير والاستعمار) . وأما الكلمات فهى : (الإسلام فى القرن السابع للميلاد . برز فى الشرق عدو جديد ، ذلك هو الإسلام الذى أسس على القوة ، وقام على أشد أنواع التعصب ، لقد وضع محمد السيف فى أيدى الذين اتبعوه ، وتساهل فى أقدس قوانين الأخلاق ، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون فى القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات) .

ثم يقول المؤلفان الدكتوران : مصطفى خالدى وعمر فروخ : هذا النوع من التأليف هو الذى أقلق السلام بين الشرق والغرب منذ أقدم الأزمنة ، وهو الذى يهدد السلام كل يوم وخصوصا فى الشرق .

وثانيا : ماذا أراد المؤلف بتعليقه فى الهامش ؟ هل أراد أن يقول إن القرآن لم يشترط فى المسيحيين الذين هم أقرب مودة للمؤمنين أن يؤمنوا بمحمد ، وأن كل مسيحى مهما كان أمره هو أقرب الناس مودة للذين آمنوا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إذن فما بال المسيحيين - فى الغرب - منذ الحروب الصليبية إلى اليوم لم يتركوا أية فرصة دون أن يحاولوا ، وأن يعملوا - جاهدين - على هدم الإسلام ؟

ثم ، لم وقف المؤلف عند هذا الحد من الآيات الكريمة ، لعلى لو أكملت له الآيات - ولا أظنه تركها غافلا - لسقط فى يده ، ولوقع فى عمياء لا يدرى طريقا للخروج منها ، لأن الآيات كاملة تجعل تعليقته صادرة عن جهل أو خبث ، بل تغسل كتابه كله غسلا - لو كان يريد أن يكون من الذين يحترمون عقولهم وأقلامهم - .

قال الله تعالى بعد الآية السابقة : « وإنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين » .

ما رأى المؤلف ؟ ألا يزال يصر على أن الآية لم تقل إنهم لم يؤمنوا بمحمد ؟ ألا يزال يرى أن لكل صاحب دين أن يؤدى عباداته كما وصفها دينه دون أن يلزمه الإيمان بالأديان الأخرى ورسلها ؟ .

• • •

والمؤلف لا يلتزم بما التزمت به كل الشرائع ، فمن المعلوم من الأديان بالضرورة أن الإيمان بالله ورسله أساس النجاة من عذاب الله ، والله لا يغفر أن يشرك به - كما جاء بنص القرآن الكريم - فما وجه العجب فى أن يحكم على رجل لم يؤمن بأن الله واحد ، ولم يؤمن بأن محمداً رسول الله بأنه لن ينال رحمة الله ؟.

المؤلف يذكر حكاية - كما يقول - على سبيل الفكاهة ، خلاصتها أن أحد المشايخ أجاب عن سؤال يتعلق (بإديسون) فقال إنه لا يدخل الجنة لأنه لم ينطق بالشهادتين ، فعجب المؤلف من ذلك أشد العجب ، ووجه الشيخ كلاما كأنه يؤنبه ، فقال له أولم : بعد أن أضاء العالم حتى مساجدكم ، وبيوتكم باختراعه ؟ فأجابوه : لا ، ولو ، فعاد يسأل : ألا يمكن أن يدخل الجنة عقلا ؟ وقد خيل إليه أنه حج المشايخ ، وسفه أحلامهم ، وهو - والله - مسكين ، فما دخل العقل هنا ؟ لقد قال الشيوخ : إن الرجل الذى لا ينطق بالشهادتين مهما أدى للعالم من خدمات فلن يغفر الله له ، وهو كلام يوافق صريح النصوص ، فإن كان يريد الاحتكام إلى العقل فهو يوافق العقل .

لقد أنعم الله على هذا المخترع بنعمة عظيمة ، وهى نعمة النبوغ ، وكان مقتضى هذه النعمة أن يعترف بوحدانية الله ، وأن يصدق بكتبه ورسله ، ولكنه لم يحفل بذلك ، فمن الملوم ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إنه هو - ولا شك - وإذا حرم الله عليه الجنة فلأنه لم يشكر من وهب له هذه النعمة التى أضاء بها العالم ، ومع ذلك فكيف نحتكم إلى العقل والنصوص صريحة واضحة ؟

إذا كان المؤلف مسلما ، يؤمن بأن القرآن من عند الله فهذا حكم القرآن ، وإن كان يرى أن الإسلام يتحقق دون أن يؤمن الإنسان بأن القرآن من عند الله ، وبأن محمداً رسول الله ، وقد أرسل للناس كافة فالآن جاء الوقت للحديث معه فى هذا الشأن .

يبدو أن قوله تعالى : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يبدو أن هذه الآية الكريمة ، أو على وجه الدقة ، ظاهرها قد أغرى كثيراً من المنحرفين لأن يتخذوا منها برهانا على أن الإيمان بمحمد ، وبالقرآن لا حاجة إليه فى النجاة عند الله .

ولعل أول الطريق ما وقع فيه السيد رشيد رضا - عن غير قصد - فاتخذه هؤلاء سندا وحجة ، وراحوا يقلدونه دون أن ينظروا فى جملة أقواله ، بل لعلهم نظروا ، ولكنهم وجدوا فى هذا الموضع ما يسعفهم ، ويساعدهم على ضلالتهم فتمسكوا به ، وكأنهم يجهلون أن الناس يعرفون القراءة ، وأنهم يستطيعون أن يرجعوا إلى كتب التفاسير ، بل أن يرجعوا إلى القرآن نفسه ، ويضعوا آية بجوار آية ، ويطمئنوا أخيراً إلى الحق .

قال السيد رشيد رضا فى تفسير هذه الآية من سورة البقرة : (ولا إشكال فى عدم اشتراط الإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم) .

ومع أن هذا مخالف لما قال به جمهور المفسرين فى الآية ، ومع أن الإيمان بالله يقتضى فى ذاته الإيمان بكل ما صدر عنه ، فالإيمان بالكتب المنزلة ، ومنها القرآن ، والإيمان بالرسل ومنهم محمد جزء من الإيمان بالله ، ولن يتحقق الإيمان بالله إلا بالإيمان بكل ذلك ، ولذلك كان الإسلام الحق ، هو الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته ، واليوم الآخر ، والمسلمون لا يفرقون بين أحد من رسله ، مع كل ذلك نرجع إلى السيد رشيد رضا نفسه لنجد أنه لا يعنى بهذه الكلمة ما فهمه منها المنحرفون .

يقول فى تفسير قوله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معهم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » : (إن من مقتضى ذلك الميثاق أن دين الله واحد ، وأن دعاته متفقون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

متحدون ، فمن تولى بعد الميثاق على ذلك عن هذه الوحدة ، واتخذ الدين آلة للتفريق والعدوان ، ولم يؤمن بالنبي المتأخر المصدق لمن تقدمه ، ولم ينصره كأولئك الذين يجحدون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويؤذونه فأولئك هم الفاسقون أى الخارجون من ميثاق الله ، الناقضون لعهده ، وليسوا من دينه الحق فى شئ) .

ويقول فى التفسير (ج ١٠ ص ٢٠٠) : (من قال: إنه يؤمن برسالته - يقصد محمداً صلى الله عليه وسلم - إلى العرب خاصة لا يعتد بإيمانه ، لأنه مكذب لهذه النصوص العامة القطعية بما جاء به) .

إلى أقوال أخر كثيرة مبثوثة فى تفسير المنار عند مناسباتها ، وإنما لفت النظر إلى أقوال هذا المفسر لأن المؤلف يعتمد عليه كثيراً ، ويأخذ حتى تعبيراته ، ولكنه - مع الأسف - يبترها كما يبتر الآيات ، والأحاديث ليوهم نفسه أنه وصل إلى غايته من خداع الناس ، وما خدع إلا نفسه ، وإلا الذين يظنون أنه حقق ما تهفو إليه نفوسهم المريضة .

إن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة أرسل إلى الإنس وإلى الجن ، وإلى جميع الناس ، وهو خاتم النبيين ، والنصوص على ذلك كثيرة من القرآن الكريم ، ومن الأحاديث النبوية الصحيحة، وهى لشهرتها تغنى عن سردها هنا ، ولكن لا بأس أن نضع أمام المؤلف بعضها مع يقيننا بأنه لا يجهله .

قال تعالى فى سورة الأعراف : « قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » وقال سبحانه فى سورة سبأ : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » وقال عز وجل فى سورة الأنعام : « وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » أى وأنذر به كل من بلغه من الثقلين .

وقال - وهو أصدق القائلين - فى سورة الفرقان : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .

فهل يمكن مع هذه النصوص الواضحة لإنسان يحترم عقله ، ويحترم القراء أن يدعى: أن الإيمان بمحمد ، والإيمان بالقرآن ليس واحد منهما شرطا فى النجاة عند الله ، وأن كل ما يطلب من الإنسان الإيمان بالله ، وباليوم الآخر ، والعمل الصالح ، وهذه - كما يقول المؤلف - هى أركان الدين الأساسية .

أما تفسير الآية على وجهها الصحيح ، فيكفى أن يرجع من يريد إلى أى كتاب من كتب التفسير ليعرف وجه الحق فى تفسيرها ومهما أخذت هذه الآية على ظاهرها فلن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تكون الكلمة الأخيرة فى هذا الموضوع الخطير ، لأن فى القرآن آيات كثيرة تتعلق بعموم رسالة النبي محمد ، وتتعلق بموقف الإسلام من أهل الكتاب ، ومن دعوتهم إلى الإسلام ، وليس فيه آية واحدة تبيح لهم أن يبقوا على دياناتهم الأولى معرضين عما جاء به رسول البشرية ، ولا جاء ذلك فى حديث صحيح ، حتى ولا غير صحيح .

فهل نلغى كل النصوص الواضحة الصريحة ليتمسك مع المؤلف بظاهر آية واحدة أبان كل المفسرين المراد منها ، ودلت الآيات الأخرى على أنه لا يمكن حملها على ظاهرها .

ومن عجب أن المؤلف أخذ ينقل من تفسير المنار ؛ فنقل خمس صفحات كاملات ، ولكنه تجاوز عن كل ما يتعلق برسالة محمد ومعجزته ، لأنه يثبت بما لا يدع مجالا للشك دلالة القرآن على نبوة محمد وفيه هذه العبارة (وإن القرآن قد بلغ مرتبة الكمال فى (الهداية) فاهتدت به الأمم والشعوب .

فمن كان يؤمن بها على علم بحقيقتها لا تقليداً لآبائه وقومه فيها لا يسعه أن يؤمن بالتوراة أو الإنجيل أو الفيدا أو غيرها من الكتب المنسوبة إلى المرسلين الأولين ولا يؤمن بالقرآن وهو أكملها فى موضوعها ، وأصحها إلى من جاء به) .

وفيها أيضا أن من كان يؤمن بالله وأنه الرب الخالق للعالم بأكمل نظام المدبر لأمور العباد بالحكمة والاحتكام وتأمل تاريخ محمد لا يمكن أن يدعى أن القرآن من أمور التعاليم البشرية الكسبية .

فهل يمكننا أن نسأل المؤلف لماذا تغافل عن هذا وأمثاله ، من كلام الإمامين اللذين يعتمد على أقوالها : محمد عبده ورشيد رضا؟ بل ليس لنا أن نسأل لأنا نعرف الجواب ، فإن من يجرؤ على أن يأخذ بعض الآيات ويترك بعضا لا يستغرب منه أن يأخذ من كلام الشيخين ويدع .

ولكن سوء النية هنا لا يضر المؤلف وحده ، وإنما يضع فى نفوس القراء الذين لا تتهيأ لهم ظروفهم الاطلاع على ما كتبه الرجلان ، يضع سحابة من الشك ، فهو يسيء إلى شيخيه - كما يدعى - إساءة بالغة حين يبتر أقوالها ، ويأخذ منها ما يدل ظاهره على تأييده فى غرضه ، ولو نقل الكلام كاملا ، أو حتى لو لخص رأى الرجلين بأمانة لفهم الناس رأيهما على حقيقته ، ولكن كان أمامه أحد أمرين أما أن ينقل رأيهما كاملا ، وحينئذ يلقى بكتابه فى اليم ، وإما أن يتنكر للأمانة العلمية ، وحينئذ يصل - فى دنيا الوهم - إلى بعض غرضه ، ولعل هذا الكسب الخيالى الصغير أحب إلى نفسه من سلوك سبيل العلماء .

على العمراوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المرونة فى اللغة العربية

للأستاذ عبد الحميد حسن

— ٢ —

إن باب القياس لايزال مفتوحا ، وطريق الاجتهاد لم يوصد ولن يوصد ، وإن المجال فسيح للأخذ بأسباب التجديد والمرونة على الأسس التى لاتحيد باللغة عن نهجها ، ولاتنحرف بها عن خصائصها ، وإنا لنرى فى آراء العلماء وفيما لهم من مذاهب سنداً لكل هذا .

وإليكم بعض هذه الآراء التى تشجع على التيسير ، ومسايرة التجديد :

١ — قال أبو حيان فى شرح التسهيل : « كل ما كان لغة لقبيلة صح القياس عليه » .

٢ — وقال ابن جنى فى الخصائص : « اللغات على اختلافها كلها حجة ، والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء » .

٣ — وقال ابن جنى أيضاً فى الخصائص : « حكم اللغتين إذا كانت إحداهما قليلة والأخرى كثيرة جداً فإنك حينئذ تأخذ بأوسعها رواية ، وأقواها قياسا ، وتتخير أشيعها ، إلا أنك لو استعملت الأقل لم تكن مخطئا فى كلام العرب » .

٤ — وقال السيوطى فى المزهر : قال ابن درستويه فى شرح الفصيح : « إنما أهمل « ودع » و « وذر » ، لأن فى أولها واواً وهو حرف مستقل ، فاستغنى عنهما بما خلا منه وهو « ترك » . ثم قال : « واستعمال ما أهملوا من هذا جائز صواب وهو الأصل » .

٥ — والكوفيون يعتدون بما ورد من الكلمات الشاذة ، ويعملون بالقياس عليها وابن مالك يوافقهم فى هذا .

* * *

وعلى هذا الأساس من المرونة والتيسير رد بعض الباحثين على من تشددوا فى اللغة وقواعدها وأبوا أن يعترفوا بما هو صحيح ومنعوا ما يمكن أن يصادف القبول .

فهذا هو الحريرى (٣٩٥) فى كتابة « درة الغواص فى أوهام الخواص » يتعرض لمسائل كثيرة يحكم بأنها خطأ ، فينبرى له الشهاب الخفاجى فى شرحه على « درة الغواص » ويصحح كثيراً مما رفض إجازته . ومن أمثلة ذلك :

اجتمع محمد مع على — دخول « أل » على « غير » وعلى « كافة » — المال بين زيد وبين عمرو بتكرر كلمة بين — جمع مرآة على « مرايا » — التعبير : « ما كان ذلك فى حسابى »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويصر على أن تقول فى حسبانى ـ الألف درهم والألف كتاب ، إلى غير ذلك .

وهنا كتب أخرى لغير الحريرى ممن تصدوا لتخطئة كثير من الكلمات والعبارات . ومن ذلك :

١ ـ كتاب « ما تلحن فيه العامة » للكسائى (١٩٢) .

٢ ـ كتاب « إصلاح المنطق » لابن السكيت (٢٤٤) .

٣ ـ « أدب الكاتب » لابن قتيبة (٢٧٦)

٤ ـ « ما تلحن فيه العامة » للزبيدى (٣٧٩) .

٥ ـ « لغة الجرائد » لليازجى (١٩٠٦)

٦ ـ « تذكرة الكاتب » لأسعد خليل داغر (١٩٥٩) .

وقد تصدى العـــالم الجليل المحقق الأستاذ محمد على النجار عضو هذا المجمع لهذه الكتب فى محاضراته التى ألقاها أخيراً فى معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ، ولقد جال سيادته فى هذه المحاضرات جولة موفقة ، ورد على طائفة مما ورد فى الجموع تكون على شكل واحد الكلمة الواحدة . ويسقط احتجاج اللغويين بما ورد وما لم يرد . وعلينا أن نرفض من الألفاظ ما تعددت معانيه تعدداً معيباً ، وما اختلف تحديد معناه ، وأن نعدل عن الظن بأن العلم بالغريب هو غاية العلم باللغة ، وأن لا نبقى منه إلا ما دل على شىء لا تدل عليه الكلمة المألوفة ، وهذا يستدعى معاجم حديثة من طراز يختلف فى جوهره عن المعاجم القديمة كما سنبينه فيما بعد .

الشعر : من أهم مصادر اللغة العربية الشعر . وكانت للناس به عناية فائقة . وكان يكفى فى التدليل على صحة معنى كلمة أو صيغتها أو صواب تركيب ما أن يقولوا قال الشاعر . والذى دعا إلى كل هذه العناية بالشعر سهولة حفظه ، وتداوله بين الناس على نحو يقرب من التدوين ؛ حين عز التدوين بالكتابة ولعلهم كانوا يرون أن نظم الشعر يدل على قدر من الذوق الأدبى يسمح بالاستشهاد به . وقيل : إن الشعر ديوان العرب . وقد يكون حقا ديوان عاداتهم ، وأخلاقهم ، وأيامهم وما يحبون ، وما يكرهون ، ولكنه لا يصلح ديوانا للغة دون تحقيق دقيق .

والشعر فى اللغات كلها له أسلوب خاص وأوضاع وترتيب فى الكلام يقبل من الشاعر ولا يقبل من الكتاب عادة (١) ، ولا يعد أصلا يتبع فى النثر . بل قد يضطر الشاعر أن يغير من نطق كلة بعينها ليستقيم الوزن ولا يجارى

(١) قيل عن كاتب إنجليزى مشهور : أنه كان لا يطيق أن تكون جملة نثرية فى ترتيب مجملها كالمنظومة ويعد هذا عيبا فى النثر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أحد من الكتاب الشعراء فى مثل هذا . الشعر العربى لا يختلف فى هذا عن الشعر فى اللغات الأخرى ، وإنما زاد فى صعوبته أن أوزانه محدودة محكمة ، لا تقبل إلا قليلا من المرونة ، وقافية القصيدة واحدة مما يزيد فى صعوبة النظم . ولو التزم الشعراء العرب صحة الألفاظ . واستقامة الأسلوب ، وجودة المعنى مع هذه الأوزان القاسية ، والقافية الموحدة دون تجاوز عن بعض الصيغ وتهاون فى الصرف ما استطاع أكثرهم أن يقول إلا القليل من الشعر .

على أن للنظم جمالا يجعل هذه الانحرافات فى اللغة والأسلوب مقبولة ، ولكن النحويين يخطئون حين يجعلون ذلك أصلا من أصول اللغة يباح لغير الشعراء . وليس هناك لغة تجعل للتقديم والتأخير فى الشعر قواعد خاصة تسرى على اللغة كلها ، إنما يتحكم فى ذلك الوزن ، والذنب على النحويين حين يتخذون من مثل قول الفرزدق .

فنافذ هداجون حول بيوتهم

بما كان إياهم عطية عودا

دليلا على جواز قولك كان طعامك زيد آكلا ، وذلك كلام مقبول حسن وهذا كلام سخيف .

والشعر مهما يكن جيدا قد لا يخلو من تساهل فى معانى الألفاظ ، فالشاعر يضع الكلمة التى يستقيم بها الوزن موضعها من البيت إذا كان معناها قريبا ، وهو يتم المعنى الذى يريده على الكلمة ، وإن كانت بينهما فروق يسيره ، وضاعت بذلك دقة دلالة اللفظ على المعنى ، فالشاعر لا يقف عند الفرق بين الهجوع والنوم ، أو السير والسرى بل يختار ما يوافق النظم ، ولا نزاع فى أن هذا التساهل أفسد كثيراً من الدلالات الدقيقة للألفاظ ، وكذلك صيغ التكسير وغيرها يختار الشاعر منها ما يوافق الوزن ما دام الغرض مفهوما ، بل قد يخترع جموعا ومصادر لم يسمعها من قبل ولا يعنى ذلك أنها تصبح مباحة لغير الشعراء .

قال الشاعر :

لو كان فى قلبى كقدر قلامة

من حب غيرك قد أتاها أرسل

والشعر ضعيف لا يعتد به ، ولكن النحويين درسوه ، قالوا : إن رسول لا تجمع على أرسل فإذا كان هذا صحيحاً فالشاعر أخطأ من غير شك ولكن الشعر أصل من أصول اللغة ، لا يقع فيه الخطأ ، فوجب التأويل ، وتخريج ابن جنى لذلك أن أفعل تجوز فى الجمع عند التأنيث وأن الرسل فى هذه الأمور يكونون عادة من النساء ، تخريج جميل ، ولكنه غير صحيح ؛ لأن الشاعر قال : ذلك دون أن يعنى بالقاعده جهلا أو اضطرارا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقال الشاعر :

مثلها يخرج النصيحة للقـــو
م فلاة من دونها أفـــلاء

قال ابن سيده : أن فلاة لا تجمع على أفلاء وإنما أفلاء هذه جمع فلا التي هي جمع فلاة ، وهذا أيضا تخريج لا يطابق الواقع ، فالحارث ابن حلزة وجد أن أفلاء مفهومة على أنها جمع فلاة وأنها تناسب الوزن والقافية ، فوضعها غير عابئ بما سيقول فيه النحاة .

يقول النابغة الجعدي :

موالى حلف لا موالى قرابة
ولكن قطينا يجلبون الأتاويا

وهو يريد جمع أتاوة ، ولكن أتاوة تجمع على أتاوى كهراوة وهراوى ، بعد أن تمر بمراتب لكل مرتبة علة فتكون : أتاء ، ثم أتايا كعطايا ، ثم أتاء ثم أتاوى ، ويعترف ابن جني أن الشاعر غير في هذا الجمع لتستقيم القافية لجعلها أتاويا ، وعلل ذلك بعلة معقدة غاية التعقيد .

والواقع أن الشاعر لم يقصد إلى شيء من ذلك أبدا إنما أراد جمع أتاوة جمعا نهايته تتفق مع روى القصيدة ، فقال أتاويا ، وليس لأحد أن ينسب إليه شيئا لم يفكر فيه ، ولا يصح أن نجعل هـــذا الخروج صحيحا يستطيعه من الكتاب من لم يضطر إليه .

وقالوا : إن سواء لغة في سوى . ودليلهم قول الشعراء من سوائنا ، ظنا أن أهل هذا الشعر كانوا يقولون سوائنا . وهذا بالطبع فرض لا يقوم عليه برهان ، إنما وضع الشاعر من عنده ، وليست لغة في سوى .

فإذا كان هذا هو مسلك اللغـــة العربية في ضبط الكلمات ، وفي تحويل بعض الصيغ إلى بعض ، وفي تحميل الكلمة معاني كثيرة ، فهل تضيق عن مظاهر المرونة التي تجلت في خصائصها وفي أساليبها ؟

إن لغتنا العربية في حاجة إلى نظرة جديدة في مختلف نواحيها :

١ — فهي في حاجة إلى أن نسلك بها في التوسع سبيلا نمحص فيه ما لم يرد في معاجمنا في العصور المبكرة مما جد حديثا من الألفاظ المولدة والمحدثة والدخيلة والعامية ، ونلقي على كل ذلك نظرة فاحصة ثم نفسح لها المجال في المعجم الكبير ، كما وسعها المعجم الوسيط .

٢ — وهي في حاجة إلى نظرة جديدة في قواعد الاشتقاق ، وفي أصول القياس ، وإن فيما سجل الباحثون من آراء لمتسعا لهذا ، وفي اللغة استعداد للاستجابة والتطوير ومسايرة التجديد .

٣ — وهي في حاجـــة إلى أن نقرب موردها للمتعطشين ، ونذلل صعابها للشادين ، حتى تصبح لغة الحياة في جميع المقاصد ، ومختلف الشئون .

عبد الحميد حسن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١٢ — العبادة المالية

العبادة هي نهاية الخضوع لله سبحانه وتعالى مع الخوف من عقابه والطمع في ثوابه، وقد جعل العلماء الإيمان بالله وما يتصل به من ذكر وشكر رأس العبادات القلبية، وجعلوا إقامة الصلاة وما يدخل في معنى إقامتها رأس العبادات البدنية، أما رأس العبادات المالية فهو أداء الزكاة لمستحقيها ممن ذكرهم الله في قوله تعالى: « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل » وقد لا أبعد عن الحقيقة إذا شبهت العبادة بالشجرة المزهرة المثمرة، وجعلت الإيمان منها بمنزلة البذرة والصلاة وما إليها من العبادات البدنية بمنزلة الجذع والغصون، والزكاة وما إليها من وجوه الانفاق بمنزلة الزهور والثمار، وإن كانت الحقيقة التي لا يرقى إليها شك هي أن الزكاة ركن من أركان الإسلام كما يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان) وقد قرن الله الزكاة بالصلاة في القرآن الكريم وجعلها حقا معلوما للسائل والمحروم، ورأى أبو بكر رضي الله عنه أن يقاتل عليها ما نعيها فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه.

وقد روى الطبراني عن علي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله فرض على أغنياء المسلمين بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهدوا إذا جاعوا وعروا إلا بما صنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديداً، ويعذبهم عذابا أليما) وأنذر عليه الصلاة والسلام مانعي الزكاة بسوء الحال والمآل فقال: (وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا).

وإذا كانت الصلاة كما يقول الله: « تنهى عن الفحشاء والمنكر »، فإن الزكاة كما يقول سبحانه: « تطهرهم وتزكيهم »، فهي تطهر النفوس من الذنوب والبخل والشح وما يتصل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بهما من العيوب : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » ، وهى تزكيها بمعنى أنها تنمى نوازع البر والخير فيها ، وكما أنها تطهر نفوس الأغنياء ، من الشح والبخل تطهر نفوس الفقراء من الحسد والحقد ، ثم هى إلى ذلك تطهر المال من الشر الذى يشوبه بقاء حق الفقراء فيه ، وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم : (إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره) ويقول عليه الصلاة والسلام : (حصنوا أموالكم بالزكاة) وهى كذلك تزكى المال بمعنى أنها تنميه ، وتضع البركة فيه ، كما يفهم من قوله تعالى : « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » ، وكما يفهم من قوله جل شأنه : « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

أما أنها نماء وبركة وزيادة فى المال ورخاء المجتمع ، فلأنه ينتفع بها الفقير والغنى بوجه عام ، وحسبنا أن نذكر ما يسود المجتمع من ركود إذا احتجن الأغنياء فيه أموالهم ، ولم يسهموا بها ، أو بجزء منها فى تهيئة فرص العمل للعاطلين ممن لا يجدون ما ينفقون ، أو إذا عاشوا كسالى مكتفين بما تدره عليهم من فوائد أو عوائد نتيجة استغلال الحاجة إلى المال أو استغلال المال عند من لا يجدون المال ، فإن ذلك يخل بالتوازن ، ويقيم الحواجز والفوارق بين الطبقات ويمحق البركة ويجلب الشر والشقاء للجميع .

ثم إن فريضة الزكاة - كما يقول فضيلة المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز « بمثابة رابطة بين الإنسان وربه من ناحية ، وبينه وبين المجتمع من ناحية أخرى ، وكأن الإسلام بفرضها أراد أن يلفت نظر المسلم إلى ضرورة شكر الله على ما أسدى إليه من نعم ، حتى يؤدى الزكاة ، وإلى أنه عضو فى مجتمع يجب أن يكون متعاونا متساندا ، كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

وقد انفرد الإسلام بين جميع الشرائع السماوية ، بإيجاب الزكاة ، وتحديد مقدارها ، وجعله حقا معلوما أو ضريبة مقدسة ، تدفع طوعا أو كرها ، قد يقال : أنها كانت من دعوة كل نبى ورسالة كل رسول من الأنبياء والمرسلين ، وذلك صحيح ، لأننا نجد ذلك فى القرآن حيث يقول الله عن إبراهيم وابنه إسحق وحفيده يعقوب: « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة » . ونجده حيث يقول عن بنى إسرائيل : « وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » . ونجده حيث يحكى الله عن عيسى قوله : « وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » .

ولكن هذا الأصل الذى نجده فى كل دين شرعه الله وبعث به أنبياءه ، كان الأمر به مجرد وصايا بالبذل لمن يستحقون العون والفضل ، ولم يكن بالمقدار المحدد الذى أوجبه الإسلام فى الأنعام والذهب والفضة والبضائع التجارية وثمار الأشجار والكروم وما يعثر عليه فى باطن الأرض من المعادن والكنوز ، وقد ألحق فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة الدور المعدة للاستغلال بالزروع وقال فى ذلك : « إن المعروف عن جمهور الفقهاء أنهم لم يقرروا زكاة فى الدور لأن الدور فى عصورهم لم تكن مستغلة ، بل كانت لسد الحاجات الأصلية ، وكان ذلك عدلا اجتماعيا فى عهد الاستنباط الفقهى ، أما فى عصرنا الحاضر فقد استبحر العمران ، وشيدت العمائر والقصور للاستغلال وصارت تدر أضعاف ما تدره الأرضون ، فكان من المصلحة أن تؤخذ منها زكاة كالأراضى الزراعية ، إذ لا فرق بين مالك تجبى إليه غلات عمارته كل شهر ، ومالك تجبى إليه غلات أرض زراعية كل عام ، فلو أوجبنا الزكاة فى الأراضى الزراعية ورفعناها عن المستغلات العقارية لكان ذلك ظلما » .

ويبدو أن فضيلته لم يضع فى تقديره أن غلات العمائر تتجمع أموالا وتدفع عنها زكاة الأموال ، أو أنه رأى من الأحوط ضبط إيراد هذه العمائر وفرض الزكاة عليه وبخاصة فى هذا الزمن الذى فسدت فيه الذمم والضمائر « وأحضرت الأنفس الشح » .

وهكذا نجد الزكاة أظهر مظهر لمعنى الاشتراكية فى الإسلام ، فإذا أضفنا إلى ما ذكرنا أن ما يعثر عليه فى باطن الأرض كالبترول يكون ملكا لبيت المال - كما هو مذهب مالك - أدركنا أى مقدار يمكن أن تحصل عليه الدولة أو المجتمع من فريضة الزكاة .

أما تفصيل أنصبتها ومقاديرها وأنواعها فلا يتسع له مقال ، وهو مبسوط فى كتب الفقه يستطيع أن يرجع إليه من شاء وأما إثم تاركها فقد صوره النبى صلى الله عليه وسلم بصورتين تقشعر منهما الأبدان : إذ يؤتى به وبماله يوم القيامة ، فإن كان المال الذى لم يؤد زكاته إبلا أو بقرا أو غنما جىء بها أكثر ما كانت وأسمن ما تكون ، ثم يوضع فى مكان مستو لتدوسه فيه وتعدو عليه بأخفافها وتنطحه بقرونها ، وتظل تغدو وتروح فى عدوها عليه حتى يقضى الله بين الناس ويفصل بينهم بحكمه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإن كان هذا المال كنزا جاء يوم القيامة حية خبيثة تفغر له فاها وتتبعه كلما فر منها وتقول له خذ كنزك الذى خبأته ، ثم تطلب إليه أن يدخل يده فى فيها ليأخذه من جوفها فلا يجد سبيلا إلى الخلاص منها ، فيدخل يده لتنوشها بأسنانها وتقطعها ...

هاتان الصورتان نجدهما فيما روى عن أبى هريرة وجابر رضى الله عنهما إذ قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى حق الله تعالى فيها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وأقعد لها بقاع قرقر (١) ، تستن (٢) عليه بقوائمها وأخفافها ، وتنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها (١) ، ليس فيها جماء ، ولا منكسر قرنها ، كلما مرت عليه أخرى عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الخلق ، ولا صاحب كنز إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعا (٢) أقرع يتبعه فاتحا فاه ، فإذا أتاه فر منه ، فيناديه : خذ كنزك الذى خبأته فأنا عنه غنى ، فإذا رأى أنه لا بد له منه سلك (٣) يده فى فيه فيقضمها (٤) قضم الفحل) .

نسأل الله أن يعيننا على الخير وأن يقينا الشر يوم لا ينفع مالا ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » .

عبد الرحيم فوده

(١) القاع المستوى المنخفض من الأرض والقرقر الأملس .
(٢) تستن عليه تعدو وتجرى فوقه .

(١) الظلف للشاة ، كالحافر للفرس .
(٢) الشجاع ، الحية .
(٣) سلك ، أدخل .
(٤) القضم ، القطع بالأسنان .

الهالكون بما كسبوا

قال تعالى :

وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا ، وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ، ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع ، وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها ، أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا ، لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القوم الصوفية (١)

بقلم : أ . م . م . ماكين

ترجمة : الأستاذ فتحي عثمان

— ١ —

شغف المستشرقون بدراسة (التصوف) في الإسلام ذكراً وعملا .

فالتصوف يرضي في نفوس المستشرقين النزوع إلى عالم الأسرار والغوامض ، وارتباط الشرق في نظرهم ، بهذا العالم العجيب ...

ومن هنا تتابعت دراسات نيكلسون ، وماسينيون ، وآربري ، وغيرهم . .

وهذا أحد المستشرقين يقدم في إجمال طيب عرضاً للفكر الصوفي والتجمع الصوفي ... اختار له عنوان (القيم الصوفية) وقد اعتمد الكاتب (أ . م . م . ماكين) على دراسات من سبقه من المستشرقين ، وعلى قراءاته في المراجع العربية ، كما نفير حواشيه وقائمة المراجع التي وضعها في خاتمة بحثه إتماما للفائدة . . .

المترجم

هذا تحليل موجز لتطور حركة الصوفية منذ فجر الإسلام ، والحركة تتضمن كلا جانبي التصوف : الفكر الصوفي ، والتجربة الصوفية على السواء ، فأما الفكر فهو يمدنا بالمضمون والمحتوى ، وأما التجربة فتعطينا شكل التعبير العملي ، على أن دراسة طبيعة النظرية وتطورها خارج عن نطاق هذه الدراسة ، وإنما سنشير إليه عند الضرورة والمحاولات لتحديد بداية الصوفية تبرز صعوبة هائلة بحكم طبيعتها الخاصة ، ولكن تتبع « الشكل » الذي اتخذته الحركة يقيح لنا صورة محسوسة بدرجة أكبر ، شأن كثير من ظواهر التاريخ

(١) كلمة (قوم) مما يطلق على الصوفية ولقد كان أصحاب النزعة الروحية الباطنية في الإسلام يسمون منذ وقت مبكر بالصوفية ، أو المتصوفة ولكن استعمال وصف « قوم » لتمييز الجماعة يبدو أنه يعود إلى الفترة التالية للقشيري توفي (٤٧٤ هـ) كما تشير مراجعنا ، وهذا يدل — مهما كانت درجة الدلالة — على تطور اجتماعي بعيد المدى كان يحدث حين ذاك في أعماق المجتمع الاسلامي وليس ظهور الطرق الصوفية إلا ظاهرة من ظواهر تبلور هذا التيار العريض .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأخرى، ونمو هذه الحـــركة يعرض لنا أطوارا متميزة ، كل منها يمثل استجابة لعوامل تاريخية واجتماعية أعمق ، تحكم نمواً مقابلا فى المجتمع الإسلامى ...

وإن أصل كلمة (صوفى) معقد ، على أنه من المحتمل جداً أن تكون الكلمة مرتبطة بلبس المسلمين الأوائل ثياب الصوف ، وهذه العادة يمكن تتبعها إلى عهد الخليفة عبد الملك على الأقل (٦٨٥ : ٧٠٥ م) وهى أصل إطلاق تسمية صوفى . ولكنها لم تظهر كلقب فى التاريخ حتى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى ، والثامن الميلادى حين أطلق على جابر بن حيان (٧٧٦ م) وأبى هاشم المتوفى (٧٧٦ م) وكلاهما من الكوفة. وقبل أن ينتهى هذا القرن كان قد شاع استعمال هذا الوصف . ومنذ ذلك الزمن فصاعد أصبحت الحركة الروحية الباطنية mystical فى الإسلام تعرف بالاصطلاح العربى : « التصوف » الذى أعطاه الصوفية عدداً لا يحصى من التعريفات ، جمعها نيكلسون نقلا عن المراجع الأدبية حتى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى فى ٧٨ تعريفا لكلمة « تصوف »[1] ، بينما تضخمت القائمة عند أبى منصور عبد القاهر البغدادى (المتوفى ١٠٣٧ م) إلى ألف تعريف تقريبا لكلمة « صوفى » وكلمة « تصوف » ، وهذه التعريفات تعكس نزعات الصوفية واتجاهاتهم من لحظة إلى أخرى ، لكنها لا تمثل مفهوما واحداً متكاملا ، ولعل هذا ما جعل جب H.A.R.Gibb يرى أن « حركة الصوفية إذ لا تقدم كيانا مذهبيا عاما تتألف من مركب من نزعات الوجدان والخيال »[1] !

ويكتب نيكلسون نتيجة بحثه للموضوع: « إن بذور الصوفية توجد فى نزعات الزهد القوية المنتشرة التى قامت داخل الإسلام خلال القرن الأول الهجرى »[2] . ويرى الباحثون فى نزعة النسك Ascetis المعروفة فى العربية « بالزهد » سابقة بين يدى الصوفية الإلهية thesophical فى الفترة التالية . وينبغى أن يفهم « الزهد » فى هذا المقام على أنه يمثل الإدراك الروحى الموروث عن المسلمين الأوائل فى مجموعة ، لا مجرد الصور السلبية للتجربة الدينية كما يؤكد الكتاب غالباً[3] .

---

(١) Nicloson, JRAS, 1906, P 3059 Jami, Nafahat, P. 31 Tbid, PP 303 : 348.

(١) MW, val xxx vIII, No 3, 1948 p283

(٢) Ibid, m. 304

(٣) إن الطابع للصيحى للنسك ascetism فى ظاهره لا يبعد ومطابقا الزهد الذى يعنى فى اصطلاح الصوفية الضبط الأخلاق من داخل —

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويمكن ملاحظة الروح الكامنة فى النزعات الصوفية منذ فجر الإسلام ، ويشير إليها بوضوح قيام (الحنفاء) الذين كانوا من مظاهر حركة الزهد فى الجزيرة العربية فى القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى . وإن ملاحظة «ب» ماكدونالد: أن محمدا كان صوفيا فى طريقه إلى النبوة [1] . يشير إلى استعداد الروح الإنسانية الفطرى للغوص فى أسرار الطبيعة ، بما يتجلى فى حالتنا هذه فى الظروف الروحية لمجتمع الجزيرة العربية المبكر ؛ تلك الظروف التى يصفها وستر مارك كعالم من « الظواهر الغريبة الغامضة التى تعزى لسبب إرادى ، وبما كان لوجه خاص شيئا يوحى بالرهبة فى القلوب » [2] ، ولم تكن فكرة الصوفية بالنسبة للعرب الأولين مبدأ جديدا فى العقيدة يعتبر باعثا ووحيا دائما بقدر ما كانت شيئا يتابع آثار حنيفية إبراهيم وإسماعيل . وعلى ذلك يكون من الصواب تماما القول بأن النبى قد أعاد صياغة هذه المبادىء ، ونقلها إلى إطار من الثقافة الدينية يقوم على التوحيد Monotheistic مبتعدا عن فرض أية أفكار غريبة أو دخيلة .

ويمثل عهد الرسول بالنسبة لظهور الشكل المبكر للحركة الصوفية مرحلة يغلب عليها طابع العموم [1] . وهو فترة وضعت خلالها القواعد الأساسية للبناء ، وقدمت نماذج رفيعة من التطبيق ، وكان لتعاليم محمد وشخصه أكبر تأثير على نمو الثقافة الدينية الإسلامية فى مراحلها الأولى ، وبالتالى على نمو نزعة النسك فى صورتها البدائية .

وقد عرض محمد عقيدة محددة فى وحدانية الله Monotheistic Creed فى العهد المكى كانت تدعو من جهة إلى الإيمان بإله واحد قدير متعال ، كما تدعو من جهة أخرى إلى الإيمان باليوم الآخر وما فيه من وعد ووعيد . وقد عزز العهد المدنى هذه العقيدة بطائفة من النظم الدينية وشعائر العبادة ، وكان هذا كله أساسا لازدهار الثقافة الدينية الإسلامية ولقد كان النبى فى تقديم هذا الأساس ويصون

— النفس ؛ والتجرد المطلق لعبادة الله ، ويشار فى الكتابات المتأخرة بالطبع أحيانا إلى (الزهاد) بمعنى معين ، ولكن هؤلاء إنما كانوا قسما من جماعة عامة تضم أصحاب الميول الدينية الذين يوصفون كأفراد بالعباد والساعين والفقراء — ثم إن القشيرى عرف الزهد فى وضوح بأنه : « الأخذ بالعزيمة » ويمكن القياس على كلمة (فقير) وهى تدل عند الصوفية على (علاقة المرء بربه الذى يوصف بالغنى فى القرآن) .

(١) Muslim Theology, P. 227.

(٢) Rityal and Belif in Marroco, 2 Vols, Londod 1926, II, 387

(١) لا أعنى بالشكل هنا الروح التى كانت تمارس الحركة ، وإنما أقصد الأسلوب الذى وجدت به كظاهرة تاريخية لها إحساس بكيانها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الرمزية الدينية فى نفوس أتباعه بما لها من قوى موروثة لأجل استثارة طاقتهم المتخيلة مع نقلها فى إشاراتها من إطار الإيمان بالروح مطلقا animistic إلى إطار الإيمان بإله واحد monotheistic .

وقد تهيأت مادة البناء من إعادة التعبير عن المفاهيم الأولى مع إضافة النظم العملية للذكر والصلاة ، ويعطينا الترتيب الزمنى للفرائض الدينية، ومايزيد عليها من تطوع صورة كاملة لغراس التجربة الدينية ، وكان العابدون فى تطوعهم يسعون جاهدين كى تعلق بقلوبهم وأرواحهم شيئا من بصيرة النبى الملهمة وشيئا من تجربته . ومن هنا يمكن أن نقرر آمنين أن مثل هذه الميول كانت نتيجة طبيعية لتربية العادات الدينية عن طريق المسلمين الأوائل .

وكانت النتائج السلبية التى استثارها الإسلام فى أذهان معتنقيه الأوائل ترجع إلى عاملين فى حياة « النسك » : أولهما شعور مبالغ فيه بالخطيئة ، وثانيهما خشية غامرة من عقاب الله . ونحن نجد بيانا أوضح للتعبير العملى عن هذه المظاهر السلبية لتجربة « النسك » حين نسترجع صورة حياة « أهل الصفة » الذين عاشوا متنسكين فقراء للغاية ، محرومين من الثياب المناسبة ، ومن المأوى ، لكن متجردين للعبادة بكلين على الخطيئة .

والاتجاه الشائع عند بعض الباحثين المحدثين الذين ألفوا المجتمع العربى البلوتوقراطى يفترض أن واقعية العهد المدنى سجلت بين نتائجها تدهور نزعات « النسك » ، وهذا الاتجاه يثير التساؤل عن أساس تفسير الحركة الصوفية كلية ، وهو الذى شغل اهتماما جديا لدى هؤلاء الباحثين على تتابع السنين . وما أبعد العهد المدنى للإسلام فى الحقيقة عن أن يضيق مجال النمو أمام نزعات النسك داخليا ، إنه قد قدم مقياسا محددا للفضائل الدينية ، وبذلك أعطى أرضا ثابتة وخصبة لمزيد من القوة فى التعبير عن مثل هذه التجربة .

(للبحث بقية)

فتحى عثمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

معابثة أبى العلاء للنحاة

للأستاذ كامل السيد شاهين

---

١ ــ طاب لأبى العلاء أن يعبث بالنحاة عبثا طريفا ، شاع فى رسالتيه ، رسالة الغفران ورسالة الملائكة .

وأبو العلاء على تعدد قدراته ، ليست بضاعته النحو ، وإنما بضاعته اللغة ، والشعر والآثار والأخبار ، فإذا منح منها منح من بئر ثرارة ، لا تزيد على الاستقاء إلا فورانا .

فأما تعرضه للنحاة فى رسالة الغفران فهو أشبه بالخواطر السانحة ، تلوح له فى أعراض القصيدة فيسجلها عفوا من غير قصد ولا إمعان فى التقصى .

وأبو العلاء مع النحاة ليس على حال واحدة .

فأنت تراه أحيانا يبدى عدم ارتياحه للرأى ، دون أن يكشف عن رأيه ، ودون أن يوقفنا على السبب فى عدم ارتياحه ... ثم يمضى تاركا لك سؤالين تضرب فى الجواب عنهما ما شئت ... لماذا هزئ أبو العلاء بهذا الرأى ؟ وما الرأى الذى ينبغى أن يصار إليه ؟ .

ترى ذلك إذ يصور لك ابن القارح جائلا فى الجنة مهتاجا للحديث عن الشعر والرواية والنحو فتلقى عدى بن زيد العبادى فيقول له :

لقد هممت أن أسألك عن بيتك الذى استشهد به سيبويه ، وهو قولك :

أرواح مودع أم بكور

أنت ، فأنظر لأى حال تسير

فإنه زعم أن (أنت) ، يجوز أن ترفع بفعل مضمر يفسره قولك (فانظر) . وأنا استبعد هذا المذهب ، ولا أظنك أردته .

فيقول عدى بن زيد ـ وقد شغل بلذائذ الجنة وأطايبها ـ دعنى من هذه الأباطيل : فالمعرى ههنا قد أراك رأى سيبويه وأراك أن رأى سيبويه رأى قائل ولكنه لم يوضح داعية رفضه لهذا الرأى ، ولم يبد من لدنه رأيا يخرج عليه إعراب هذا الضمير .

وأحيانا يضيق على الشاعر المسلك ، فينقض عليه كل ما يعن من تخريج كما فعل فى الحديث مع بشار عندما تخيله فى سواء الجحيم ، تفتح الزبانية عينيه بكلاليب من نار ، ليرى هول ما ينزل به من العذاب .

وذلك إذ يقول له بلسان ابن القارح :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لقد أعجبني قولك في أرجوزتك :

والحر يلحى ، والعصا للعبد

وليس للملحف مثل الرد

بيد أنك جئت في إحدى قوافيها بكلمة (السبد) .

فإن كنت جعلته جمع (سبد) وهو طائر فإن (فعلا) لا يجمع ذلك الجمع وإن كنت سكنت الباء تخفيفا عن فتحها ، فقد أسأت لأن تسكين الفتحة غير معروف .

فيقول بشار ، وهو في تلذيع العذاب ياهذا دعني من أباطيلك ، فإني عنك مشغول ! .

وما كان افتراض أبو العلاء هذين الفرضين وملاحاته لبشار فيهما إلا ترديدا لتخريج النحاة في كلمة (السبد) وأخذا للطريق عليهم ، كلا التخريجين .

وقليلا ما يعنى أبو العلاء في رسالة الغفران بتوقيف القارىء على رأيه كما فعل حين تخيل ابن القارح يلقى لبيدا في عرصات الجنات ، وفي يد لبيد يحجن من ياقوت ، فيقول له ابن القارح فيما يقول :

أخبرني من قولك في ميميتك المعلقة :

تراك أمكنة إذا لم أرضها

أو يرتبط بعض النفوس حمامها

هل أردت ببعض معنى كل ؟ فيقول لبيد : كلا ! إنما أردت نفسي ، وهذا كما تقول للرجل إذا ذهب مالك أعطك بعض الناس مالا ، وأنت تعني نفسك في الحقيقة .

وظاهر هذا الكلام واقع على كل إنسان ، وعلى كل فرقة تكون بعضا للناس .

فيقول ابن القارح : أخبرني عن قولك : (أو يرتبط) هل مقصدك لم أرضها أو لم يرتبط ، أم غرضك أترك المنازل أو يرتبط فيكون (يرتبط) كالمحمول على قولك : تراك أمكنة ؟

فيقول لبيد : الوجه الأول أردت .

فهنا ترى أبا العلاء يقف على رأيين للنحاة في إعراب يرتبط ، أهو معطوف على أرضها مسلط عليه ماتسلط عليها من النفي ، أم معطوف على تراك النازل منزلة أترك ؟ فيختصر الرأي الأول ...

ولكنه مع ذلك مقتصد ، لأنه نصر الأول بلا حجة ، وخذل الآخر بلا تفنيد .

ولقد يعمد أبو العلا إلى تصحيح رواية والإشارة إلى فساد أخرى ، وفساد ما تبعها من تخريج نحوي

فيتخيل ابن القارح في المحشر بيده صك التوبة ، فيرى شيخا له كان يدرس النحو في الدار العاجلة يعرف بأبي علي الفارسي ، وقد امترس به قوم يطالبونه ، ويقولون : تأولت علينا ... ظلمتنا !

فما إن يراه أبو علي حتى يشير إليه ... فإذا عنده طبقة منها يزيد بن الحكم الكلابي ، وهو يقول : ويحك ! أنشدت قولي :

فليت كفافا كان خيرك كله

وشرك عني ما ارتوى الماء ما ارتوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

برفع الماء ، ولم أقله إلا بالنصب ! .

وكذلك رويت قولي :

تبدل خليلا بي كشكلك شكله

فإني خليلا صالحا بك مقتوى

بفتح ميم (مقتوى) ، وأنا عدوت الضم .

وإذا جماعة من هذا الجنس كلهم لومه على تأويله .

فيقول ابن الفارح ياقوم! إن هذه أمور هينة، فلا تمنعوا هذا الشيخ ، فإنه ماسفك لكم دما ، ولا احتجن عنكم مالا ... فيتمرقون عنه .

أفلا ترى أبا العلاء يشير إلى جنوح أبي علي الفارسي إلى التأويل ، وإلى إسرافه فيه إسرافا يحمله على الاعتساف ، حتى ليتخرج به الاعتساف إلى حد لا يخطر للشاعر ببال .

ومما يتصل بتصحيح الرواية أنه تخيل ابن الفارح وقد لعبه النابغة ، فسأله ، كيف ينشدون قولي في المتجردة :

وإذا نظرت رأيت أزهر مشرقا ...

وما بعده ؟

فيقول ابن الفارح : ينشد : وإذا نظرت . وإذا لمست .. وإذا طعنت .. على الخطاب .

فيقول النابغة : قد يسوغ هذا ، ولكن الأجود أن تجعلوه إخباراً عن المتكلم ، لأني بدأت بقولي :

زعم الهمام بأن فاها بارد

عذب مقبله شهي المورد

فما بعده داخل في هذا الزعم . وصار قولي : زعم الهمام ، بمنزلة قولي : قال الهمام : فهذا أسلم ، إذ كان الملك إنما يحكي عن نفسه .

٢ — ولئن كان أبو العلاء لم يمعن في التفصيل وتشقيق القول في رسالة الغفران ، جنوحا إلى عدم الإملال ، وإيثارا للتنقل بين فنون الأدب ، وعدم الإثقال بالوقوف عند ضرب بعينه ، ورغبة في سرعة العرض كما هو شأن المسرحيات الجياد ، إن أمره لم يكن كذلك في رسالة الملائكة .

فهو قد بناها على أمور تتعلق بالصرف وموازينه بخاصة ، وتناول فيها الزيادة والقلب بوجه أخص ، في شيء من التفصيل الذي يبلغ أحيانا حد الإغراق .

ولكنها كرسالة الغفران قائمة على الخيال ومسرحها الدار الآخرة .

فعند ما يحضره ملك الموت يناقشه في وزن (ملك) ، وفي أصله من الاشتقاق ، وهو مألك ، ويأخذ في الاستدلال على أن به قلبا مكانيا يجمعه على (ملائكة) ، إذ كانت الجموع من شيمتها أن ترد الأشياء إلى أصولها .

وعند ما يلقى منكراً ونكيرا يحاول أن يشغلهما عن أمره فيسألهما لم كان اسماهما عربيين وسائر أسماء الملائكة أعجمي ، فإذا لم يجد منهما رقة ، حاجاهما بوزن موسى كليم الله ثم سألهما عما بأيديهما ، فإذا قالا (ارزبة)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أعنتهما بسؤالها : أهى بتخفيف الباء أم بتثقيلها ، وهل يكون جمعها على التخفيف أو على التثقيل .

فذلك إذ يقول فى الحديث عن لقاء منكر ونكير .

« فإن غشى على من الخيفة ، ثم أفقت ، وقد أشار إلى بالإوزبة ، قلت : تثبتا رحمكما الله !

كيف تصغران الإرزبة وتجمعانها جمع التكسير ؟ .

فإن قالا : أريزبة ، وأرازب بالتشديد .

قلت : هذا وهم ، وإنما ينبغى أن يقال أريزبة وأرازب بالتخفيف .

فإن قالا : كيف قالوا علابى فى جمع علباء فشددوا ؟

قلت : ليست الباء كغيرها من الحروف فإنها وإن لحقها التشديد فيها عنصر اللين .

فإن قالا : أليس قد زعم صاحبكم عمرو ابن عثمان المعروف بسيبويه أن الياء إذا شددت ذهب منها اللين ؟

قلت : قد زعم إلا أن السماع عن العرب لم يأت فيه نحو ماقال إلا أن يكون نادرا قليلا :

فهو هنا يجادل عن رأيه فى جمع الإرزبة وتصغيرها بالتخفيف ، وهو هنا يفسح المجال للمعارضة ويبسط رأى المعارضين ، وينتهى معهم إلى موقف خاص ... لأن بناء رسالة الملائكة على البيان الشافى وبناء رسالة الغفران على الاستعراض الوحى .

وانتصار أبى العلاء فى مواقف المجادلة ، يقوم أحيانا على اتساع الرواية ولطافة الفكر ، ولقد يكون إمام النحاة سيبويه هو الغرض المقصود لأبى العلاء إذا رمى .

ترى ذلك فى مشهد يقوم فيه (رضوان) دون باب الجنة ، ويجتمع لديه جماعة من المتعاطين للنحو والتصريف ، قصرت بهم أعمالهم عن دخول الجنة ... فوقفوا يحتالون لأنفسهم عسى أن تنفع الحيلة .

فمرة ينادون رضوان بقولهم (يا رضو) ، وأخرى ينادونه (يا رضو) ، فإذا التفت إليهم ، قالوا له : نحن نسألك أن تكون واسطتنا إلى أهل الجنة ، فإنهم لا يستغنون عن مثلنا ، وإنه لقبيح بالعبد المؤمن أن ينال هذه النعم ، وهو إذا سبح الله لحن ، ولا يحسن بساكن الجنان أن يصيب من ثمارها فى الخلود ، وهو لا يعرف حقائق تسميتها .

ولعل فى الفردوس قوما لا يدرون ، أحروف (الكثرى) كلها أصلية أم بعضها زائد . ولو قيل لهم ما وزن كثرى على مذهب أهل التصريف لم يعرفوا (فعلى) وهذا بناء مستنكر لم يذكر سيبويه له نظيرا .

ثم يستنكر أن يصيب المؤمنون من سفرجل الجنة ، وهم لا يعلمون كيف يكون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تصغيره وجمعه ولا يدرون أمن الجائز أن يشتق منه فعل ، أم أن ذلك من الحرام الخبيث .

وكذلك أمر (السندس) قد تجد في الجنة من يفترشه ويطؤه ، وهو لا يدري - بعد - أوزنه (فعلل) أم (فنعل) .

وكم من مستظل بشجرة (طوبى) ، ومجتن ثمارها آخر الأبد ، ولا يدري أمن بنات الواو هي أم من بنات الياء ؟

ثم يطيب لأبي العلاء مناوشة سيبويه ، فيقول :

وقد زعم سيبويه أن (الفضلى) التي تؤخذ من (أفضل منك) لا تستعمل إلا بالألف واللام أو الإضافة . تقول هذا أصغر منك ، فإذا رددته إلى المؤنث قلت : هذه الصغرى أو صغرى بناتك . . ويقبح عنده أن يقال صغرى بغير إضافة ولا ألف ولام .

وهل الإضافة جاء قول سحيم ؟

ذهبن بمسواكي ، وغادرن مذهبا

من الصوغ في صغرى بنان شمالها

وهل الألف واللام جاء في الكتاب العزيز وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، فسنيسره للعسرى لأنها أنثى (أفعل منك) .

ولكن أبا العلاء يشكل على سيبويه بقراءة بعض القراء : وقولوا للناس حسنى ، إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنى ، بغير تنوين ، وبقول عمر بن أبي ربيعة :

وأخرى أنت من دون نعم ومثلها

تهي ذا النهى لو يرعوي أو يفكر

فإن ادعى سيبويه أن أخرى معدولة عن الألف واللام ، فهلا سلك هذا السبيل في حسنى وأخواتها ؟ !

— ٣ —

وبعد : فهل كان أبو العلاء يتناول هذه القطعات الصرفية الطريفة ، تعالما ، وذهابا إلى الإغراب على الناس في العلم ، على شاكلة إغرابه عليهم في اللغة والأدب والأخبار ؟ أم أن ذلك كان استجابة - كما زعم ، وكما يزعم كل من يتعاطى التأليف - لسؤال سائل ملحف أم أنه كان رياضة الذهن وإدلالا بالمعرفة ، وامتحانا للنفوس كما قال في مقدمة السقط ؟

مهما يكن من شيء ، فإن أبا العلاء قد سلك في تعليم هذه الغرائب الصرفية والنحوية والأدبية التي لا تخلو من جفاف يغص به القارىء ، ويعيي به ذهن اللقن . . طريقة القصة الخيالية الشائقة التي تنفي الملالة ، وتنسي القارىء نفسه حتى يأتي على سائر ما في الرسالة .

وهذه أمتع طريقة في التعليم ، وما كان يظن أن تطوع هذه الطريقة حتى تستخدم في غرائب التصريف .

ولكنه أبو العلاء ! ؟

كامل السيد شاهين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نسمات الأندلس في ربوع النيل

للأستاذ محمد رجب البيومي

حفظت مصر الثقافة العربية بعد سقوط بغداد إذ كان النصر السياسي الذي اكتسبه المماليك بعد موقعة عين جالوت مدعاة إلى هجرة كثير من العلماء من شتى الأماكن شرقية وغربية إلى القاهرة . لأن قيام الخلافة العباسية بها - ولو على وجه صوري - قد جعلها تأخذ مكان عاصمة الرشيد ، فيهرع إليها الناس من كل حدب ، وقد وجد العلماء من رعاية السلاطين ما بعث فيهم الرضا والحمد ، ففي كل حي مسجد ولكل مسجد أوقاف وأحباس ، وله مدرسون وطلاب ، وكتب وأوراق ، وكتب التاريخ تحصي هذه المساجد ذات الصبغة العلمية والدينية معا ، وتفيض في ذكر من يدرسون العلم بها على اختلاف فروعه من فقه وتفسير وحديث ونحو وصرف وبلاغة وأصول وقراءات ومنطق ، كما تتحدث عن مشاهير العلماء من أئمة القول في الدين واللغة ، ومنهم الغزنوي والصقلي والمصري والمدني والعراقي والآمدي والاربلي والمقدسي والشامي والخراساني والمغربي والطوسي والنابلسي تعرفهم بأسمائهم كما تعرفهم بلهجاتهم وطباعهم إلا أنهم في نظر الحكومة المصرية إذ ذاك علماء مسلمون يؤدون أشرف واجب في أطهر مكان لهم واجب الرعاية والإجلال وبهم تزدهر المعرفة ويستنير الطلاب .

وقد كانت الأندلس أحد هذه الجداول التي تصب في محيط القاهرة ، إذ كانت الرحلة من المغرب إلى المشرق لا تكاد تنقطع ، وفي الراحلين من يرتشف ويرجع ، ومنهم من يؤثر البقاء حيث يستريح - وقارئ نفح الطيب يقف على كثير من تراجم هؤلاء النازحين ، وهم من الكثرة بحيث يسجلون اعترافا صارخا بعلم المشرق وأستاذيته . ويطول بنا القول لو عرضنا لأشهر مشاهيرهم فضلا عن عامتهم ، ولم تكن الرحلة إلى مصر والإقامة بها مقصورة على عهد السلاطين من المماليك بل كانت من يوم أن فتحت الأندلس ولكن العصر المملوكي بالذات قد كتب له أن يشهد مغرب الأندلس وما سبقه من إرهاصات منذرة توحي بالكارثة المتوقعة ، فدعا ذلك إلى ضرورة الرحلة وجذب علماء الأندلس إلى مصر ، فلاقوا رحبا فسيحا وسهلا مريحا ، ووجدوا أهلا بأهل وإخوانا بإخوان ... ولئن اكتفى بعض هؤلاء بالإقامة في دمشق دون مصر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فقد كانت مؤلفاتهم تطير إلى القاهرة سريعا لتلقى نصيبها من الرواج فهم عنها غير بعيد كابن مالك ومحى الدين ، وإذا كانت الثقافة الإسلامية متقاربة متشابهة تأخذ منحى واحدا فى التأليف والصياغة وبخاصة فى عصور التقليد والمحاكاة - إلا ما ندر من أفذاذ أماثل يعدون عداً - فقد يصعب علينا أن نبرز تأثير الأندلسيين فى الثقافة العربية المصرية إذ أن مؤلفاتهم فى الأعم الأغلب نسخ متشابهة من مؤلفات إخوانهم سواء من رحلوا إلى مصر من المشرق أو من رحلوا إليها من المغرب ، ولكننا على الرغم من ذلك كله نلمس تأثير الأندلسيين بارزا فى فروع خاصة من فروع الثقافة العربية إذ ذاك لأن جهدهم كان من الذيوع والانتشار بحيث يدل على نفسه ، وقد رزق من الخطوة والإقبال ما جعله بارزا جهيرا يشير بتأثيره ، وإذا كان هؤلاء الراحلون الفضلاء قد كتبوا فى كل علم تقريبا ، فإن من هذه العلوم ما تأثر بتآليفهم تأثرا واضحا بل منها ما كاد أن يصبح وقفا على دراستهم ، هم أهله وأصحابه ، ولا يستغرب القارىء ذلك ، فعلم القراءات مثلا يكاد يكون أندلسيا إذا نظرنا إلى الكتب التى سبقت إلى تسجيله ، ثم أفاضت فى شرحه ، وسنبدأ بإيضاح ذلك فنقول .

لئن كانت القراءات سبعا أو عشرا مشرقية فإن التأليف فيها لم يأخذ سبيلا عليا ممتدا على نهج شارح إلا عند الأندلسيين ، وسبب ذلك أن بعض جنود المنصور بن أبى عامر كان مثقفا عالما بالقراءات ثم ولى إمارة دانية والجزائر الشرقية فبذل جهده فى نشر هذا العلم تقربا إلى الله وإشباعا لرغبته العلمية فنفقت لديه سوق القراءة كما يقول ابن خلدون ص ٤٣٧ من المقدمة - وظهر لعهده أفذاذ دونوا العلم على نطاق شامل ، بحيث تضاءل جواره ما سبق أن كتب عنه شرقا وغربا وأبرز هؤلاء الأفذاذ هو الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى صاحب كتاب « التيسير » وقد كان شيخ مشايخ المقرئين بالأندلس رحل إلى الشرق وتخصص فى العلوم الدينية إذ ألف فى الحديث والفقه والتفسير والقراءات تاركا مائة وعشرين مصنفا كما يقول مؤرخوه ، وأحدها كتاب التيسير فى القراءات السبع وقد نشره العلامة « برتزل » أحد أعضاء لجنة النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية سنة ١٩٣٤ ، وصدره بمقدمة جيدة أشار فيها إلى منزلة علم القراءات من العربية والإسلامية ! وهى منزلة عالية تحتاج اليوم إلى تأكيد إذ وقر فى أذهان بعض المثقفين لدينا فى هذا العصر أن هذا العلم وقف على بعض المنقطعين لتلاوة القرآن فقط وفيهم أميون حفظوه دون أن يفهموه وهذا خطأ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

واضح ، لأن علم القراءات فى العربية هو علم الإلقاء فى معاهد أوربا يتحدث عن مخارج الحروف ومميزات الأصوات ووسائل النطق الصحيح ! ولو قدر له أن يأخذ دوره الطبيعى فى التطور لأصبح ذا أثر هام فى إعداد الخطباء والمذيعين بعد أن توضع الخصائص المميزة للترتيل والتلاوة فيما يختص بالقرآن فلا نشكو اليوم ممن يميلون بالحروف عن مواضعها جاهلين أو متجاهلين .

أما الأستاذ برتزل المستشرق الألمانى فهو لعلم القراءات من الخطر ما وضحه بقوله فى مقدمة الكتاب بتصرف - « إن البحث فى مخارج الحروف والاهتمام بضبطها على وجوهها الصحيحة لتيسير تلاوة القرآن على أفصح وجه وأبينه كان من أبلغ العوامل فى عناية الأمة بدقائق اللغة العربية الفصحى وأسرارها ، وكان ثمرة هذا الاجتهاد أن القراء تشربوا مزايا اللغة العربية وقواعدها ودقائقها ، ومما يؤيد ذلك أن الكثيرين من قدماء النحويين كانوا مبرزين فى علم القراءة كما كان الكثيرون من أئمة القراء كأبى عمرو والكسائى بارعين فى علم النحو فعلى كل من يتصدى للنظر فى تاريخ اللغة العربية ودرس المسائل التى تتناولها كتب النحويين واللغويين والمفسرين أن يتتبع علم القراءة والتجويد ومن شرع فى درس معانى القرآن واستقصاء لطائفه واستخراج حقائقه ثم اعتمد على القراءة الوحيدة التى يجدها أمامه دون التفات إلى غيرها فقد أغفل أمرا ذا بال » .

أصبحت الأندلس إذن مركزا أساسيا لدراسة القراءات فى ديار الإسلام ونشأ من أبنائها من سبقوا إلى التأليف فيها عن دراية وأحكام حتى نبغ القاسم بن فيره بن خلف الشاطبى وكان كفيفا منذ مولده فانصرف إلى دراسة القراءات مع غيرها من علوم النحو واللغة والأدب وكان قوى الحافظة لدرجة تستغرب بحيث أصبح يصحح النسخ المكتوبة من الموطأ والبخارى ومسلم إذا تليت عليه من حفظه ، ثم يعقبها بشروح وافية واثقة وكان عزيز النفس بعيد الهمة عرضت عليه الخطابة بالمسجد الجامع فى بلدته فأنف وتأبى لأن الحكام يلزمونه مديح الملوك والرؤساء فى الخطبة الشائعة وهم ظلمة لا يجوز أن يذكروا بالخير فى مثل هذا الموقف الجليل ، فأظهر الرغبة فى الحج ونزح إلى مصر ، وسمع بالإسكندرية على الحافظ السلفى ثم عين للإقراء فى مدرسة القاضى الفاضل بالقاهرة وتصدر لدراسة القراءات والنحو واللغة فبلغ شأوا بعيداً من العظمة والمهابة حتى كان الناس يتزاحمون فى حلقته ازدحاما يصل إلى التشابك والتناحر حرصا على الدنو من مكانه ! وقد ترك فيما ترك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منظومته الشاطبية التي يتناقلها الناس إلى الآن مكبرين مرددين وقد قال عنها ابن خلكان لقد أبدع فيها كل الإبداع ، وهي عمدة قراء هذا الزمان في نقلهم ولا يشتغل بالقراءات أحد حتى يحفظها . وقد ظلت كذلك من عهد ابن خلكان إلى وقتنا ، حتى رأينا أكثر قراء الريف المصري يحفظونها ويسعون جاهدين إلى من يفك رموزها ، ويوضح مغاليقها ، ومنذ ألف الشاطبي منظومته وهي عمدة التأليف في هذا الفن وقد كتبت عليها شروح مستفيضة على توالي العصور نذكر هنا بعضها لنشير إلى أثر هذا الأندلسي الجهير في ازدهار هذا العلم وانتشاره وأول من شرحها تلميذه أبو الحسن السخاوي بشرح أسماه فتح الوحيد في شرح القصيد ثم أبو شامة المقدسي في كتابه إبراز المعاني وبرهان الدين الجعبري في مؤلفه كنز المعاني وشروح أخرى لشهاب الدين بن عبد الدائم الحلبي وجلال الدين السيوطي وشهاب الدين القسطلاني ونفر غيرهم لا يحصون ، أشار إلى بعضهم حاجي خليفة في كشف الظنون ! كما قام باختصارها ابن مالك النحوي في قصيدته حوز المعاني في اختصار حرز الأماني وقام بأكالها أحمد بن علي المحلي شيخ القراء بالقاهرة وغيره من المشاهير فإذا قلنا أن علم القراءات كاد أن يكون أندلسيا وأن أثر الشاطبي بمصر في هذا الفن كان من الخلود والذيوع بالمحل الأول لم نكن مبعدين .

وتذكرنا منظومة الشاطبي بأخت لها في النحو والصرف نالت شهرتها الذائعة في بابها وهي ألفية ابن مالك الأندلسي المسماة بالخلاصة ! فقد كان لها من التأثير العلمي منذ العصر المملوكي إلى هذا الوقت ما لم يتح لمؤلف نحوي آخر ، ولم يكن ابن مالك مجدداً في علمه ولكنه ضابط ومقيد وشارح لأن كتاب سيبويه في النحو لم يجد من أئمة النحاة بعده من يشغل باله بمعارضته ، بل أصبح إماما يرجع إليه وهاديا يستنار به وقصارى المؤلفين من لدنه أن يلموا بموضوعه أو يشرحوا غوامضه ويفصلوا مجمله ! وقد عرف باسم (الكتاب) لجلاله وكان يقال لمن درسه لقد ركبت البحر استعظاما وإجلالا ، وقد رحل ابن مالك من الأندلس إلى دمشق وهي يومئذ تحت سلطنة المماليك فسمع الحديث بها وأخذ العربية عن غير واحد واعتمد في قراءة كتب الأقدمين على نفسه وهذا مما عيره به منافسه أبو حيان الأندلسي نزيل مصر أيضا وصاحب التآليف الذائعة الجهيرة في النحو والتفسير ، واللغة ، والقراءات ! وقد ألف ابن مالك كثيراً ، وعارض الشاطبي بمنظومة في القراءات قال فيها :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا بد من نظمي قوافي تحتوى
لما قد حوى حرز الأماني وأزيدا

فمن بين مؤلفاته : الفوائد والمستهل وسبك المنظوم وشرح مقدمة الجزولي وشرح المفصل وعدة اللافظ والتعريف وشواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح ومن بين منظوماته الكافية الشافية في ثلاثة آلاف بيت ، ونظم الفوائد ونظم لامية الأفعال والأعلام في مثلث الكلام ! أما منظومته الخالدة فهي الخلاصة المعروفة بالألفية ، فقد أذاعت ذكر ابن مالك على مدى الأحقاب ، وخدمت بالشروح والحواشي والتقريرات ! ولذلك كان تأثيرها العلمي بارزا يذكر للأندلس ، وقد يكون لغير ابن مالك من مؤلفي المتون النحوية نظما ونثراً أفضل منها ، ولكن البحث هنا عن الأثر والتأثير ، والثابت المشاهد أن ألفية ابن مالك تركت دويا صاخباً في دنيا الشروح والتآليف لم يتركه متن نحوي آخر ، ومن شراحها السيوطي وابن الناظم وابن عقيل ، وابن هشام ، وابن الصائغ وأكمل الدين البارقي ، وناظر الجيش الحلبي وعبد الرحيم الأسنوي ! هذا غير الحواشي المستفيضة التي كتبت على كل شرح والتقريرات الهامة التي ألحقت بكل حاشية ! وكلها تدور حول ألفيه ابن مالك ! وقد نظمت ألفيات أخرى لغير ابن مالك ولكن لم تحظ بمنزلتها ، وربما كان لوضوح الخلاصة وسهولة صياغتها أثر في ذلك ، ولكننا نرى منظومات ابن مالك الأخرى تشاركها هذا الوضوح ، ولم تحظ بمعشار ما حظيت به مما يدل على أن الاشتهار حظ مقسوم ، ولئن كان الشاطبي وابن مالك كلاهما محافظ مقلد في تأليفه ، وناقل صائغ في نظمه ؛ فإننا لا نبحث هنا عن الابتكار ، ولكن نشير إلى التأثير ، وقد بلغت مؤلفاتهما التقليدية في مجال التأثير والسيطرة ما لم تبلغه مؤلفات المجددين من أمثال ابن مضاء ! فوجب أن نشير إلى دورهما الكبير في الثقافة العربية فلا نبخس أحدا فضله في ميزان التقدير .

وإذا ذكر تأثير الأندلس في مجال ما من مجالات التأليف العلمي بالعصر المملوكي وما لابسه من قبل ومن بعد ، فلا بد أن يذكر التصوف ، إذ أن الأندلس قد أمدت الشرق بنفر كبير من أعلام المتصوفين قادوا حركات روحية واسعة ، وشقوا شعابا روحية ، وتركوا مذاهب وآراء ومؤلفات تسير مسير الشمس في القرون المتوالية ، دون أن يغرب لها شعاع ، بل أن بلدة واحدة بالأندلس هي (مرسية) أمدت الشرق بأفذاذ متصوفين رحلوا إليه فشغلوا به وشغلوه ، وحسب مرسية أن يكون من نجبائها أبو العباس المرسي ، ومحي الدين بن عربي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وابن سبعين ! وكل واحد من هؤلاء أمة وحده ! ومن الطريف أن أثر أبي العباس في مصر كان مضاداً من وجهته الصوفية لأثر محي الدين ابن عربي ، ولكن كليهما قاد جماعة وجدد دراسة وحدد اتجاهها ، وأحدث تأثيراً ، ولإيضاح ذلك عن أبي العباس المرسي نذكر أنه كان تلميذ أبي الحسن الشاذلي وترجمان أفكاره ، وجامع صحابته وأستاذ حلقته ، وخليفته من بعده ! لم يترك أبو العباس مؤلفات قائمة بذاتها ، ولكنه ترك أقوالا تنبيء عن معدنه ! وقد جاء دوره بعد أن عمت آراء الغزالي في التصوف وأصبح الفقهاء من أهل السنة متصوفين بعد أن كانوا حرباً على الصوفية ! وصار الإحياء كتاب تصوف أخلاقي يهدي السبيل إلى الله بعيداً عن شطحات الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ! يقول صاحب نفح الطيب عن أبي العباس : إن قبره بالإسكندرية مشهور بإجابة الدعاء وقد زرته مراراً كثيرة ودعوت الله عنده بما أرجو قبوله ! ولو رجع المقري اليوم إلى الحياة لوجد مسجد أبي العباس أعظم مسجد بالإسكندرية .

ولشاهد عن تعظيمه وتبجيله في القرن الرابع عشر الهجري ما شاهد قبل ذلك حين التمس القبول لديه ! وقد ظهر أثر أبي العباس العلمي في مجالسه الوعظية من ناحية وفي مؤلفات تلميذه الكبير ابن عطاء الله السكندري من ناحية ، أما مجالس وعظه فما حفظه لنا المقري منها في نفح الطيب ، يدل على ذوق الصوفي العارف ولطافة حسه ، ورقة منحاه ! فهو مثلا يقول في تفسير الحمد لله رب العالمين : « علم الله عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه في أزله ، فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه بحمده ، ويقول في تفسير إياك نعبد وإياك نستعين : إياك نعبد شريعة ، وإياك نستعين حقيقة ، إياك نعبد إسلام ، وإياك نستعين إحسان ، إياك نعبد عبادة ، وإياك نستعين عبودية ، إياك نعبد فرق ، وإياك نستعين جمع ومن أقواله المختارة : الزاهد جاء من الدنيا إلى الآخرة ، والعارف جاء من الآخرة إلى الدنيا ، الزاهد غريب في الدنيا لأن الآخرة وطنه والعارف غريب في الآخرة لأن روحه عند الله ... هذه الدقة الرهيفة اللطيفة في التأويل والتفسير كانت الملهم الأول لابن عطاء الله السكندري في الحكم بحيث شرب التلميذ من روح أستاذه ، وأصبح من المتعسر الشديد تمييز كلا الإنتاجين ونسبته إلى واحد منهما ! وقد أحدثت حكم ابن عطاء الله السكندري دويا شديدا فكانت مجال الشرح والتفسير والدراسة منذ تأليفها إلى الآن ، حتى كان المفتي الأكبر (الشيخ محمد بخيت المطيعي) يلقي دروسه بجامع الحسين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى رمضان شارحا لها ومفسرا ، هكذا يقول الدكتور زكى مبارك فى التصوف الإسلامى ، والشيخ بخيت فقيه كبير يحفظ أقوال الفقهاء فى مذهب أبى حنيفة ، ولكنه - كما تشهد مؤلفاته - لم يكن ممن يستطيعون للسبح مع ابن عطاء ، فكيف جاز له أن يتخذ من حكمه مجالا للدراسة والتفسير ! من يدرى لعله اعتمد على شرح الرندى أو الشرقاوى أو ابن عجيبة أو أحد شروح الحكم ، وهى كثيرات مختلفات ! لقد كان من آثار أبى العباس ، وتلميذه ابن عطاء بعد جهاد الغزالى أن أصبح علماء الفقه ينتسبون إلى طريقة صوفية يحرصون على ذكرها عند التعريف بهم ، فيقولون مثلا فلان المغربى المالكى الأشعرى الشاذلى ! ومعنى ذلك أن الطريقة الصوفية وجدت أتباعها من بين أعلام الفقه والتشريع ! بل إن كثيراً منهم يتحدث فى مؤلفاته الفقهية عن العبادات والمعاملات والحدود ثم يختمها بأبواب صوفية تتصل بالمريد وآداب السلوك !! وقد ظل ذلك متداولا حتى العصر الحاضر ؛ إذ رأينا الشيخ محمد أمين الكردى النقشبندى سنة ١٩٠٨ يكتب مؤلفه (تنوير القلوب) فيفرد التصوف صفحات تؤاخى صفحات علم التوحيد ، وفصول العبادات والمعاملات ، وهذا امتداد بعيد لتأثير الغزالى وأبى العباس .

أما محيى الدين بن عربى فقد أحدث تأثيره الصوفى فى الدراسات المملوكية لآرائه الخطيرة فى وحدة الوجود إذ أن تصوفه الفلسفى قد قاده إلى مضايق حرجة تدق على العامة . وتهتف بالشوائر أن تهب على عقيدته !! فأفردت مؤلفات كثيرة لشرح أفكاره ما بين مؤيدة ومعارضة .

ومات الرجل والصخب لا يكاد ينقطع حوله فى كل قرن ، حتى اضطر الشعرانى أن يحذف من كتبه فصولا كثيرة يعتقد أنها مدسوسة عليه لأنها لا توافق ما عليه أهل السنة والجماعة من المسلمين ؛ وهذا شطط بالغ من الشعرانى ، لأننا لو أجزنا لأنفسنا أن نحذف من كل مؤلف مالا يوافق النظرة الجماعية فى عقيدة من العقائد ، لجاءت كتب المذاهب العقلية والدينية نسخا متشابهة ؛ ومن يدرى لعل فيما حذف ما فهم على غير وجهه ، أو ما يجب أن يكون ممثلا للتطور الذهنى شاذا أو مستقيما إذ أن من البعيد أن يكون صوفى خطير ، كمحيى الدين ، موافقا لأهل السنة والجماعة فى كل شىء ، ومن المسلم به أنه على اختلاف القوم فى اتجاهه قد أمتع التصوف بأدب فذ فريد وزاد كتب الصوفية ثروة وعمقا حتى قال عنه الدكتور زكى مبارك فى التصوف ج ١ ص ١٧٩ : أنه راض اللغة على الجرى فى شعاب مجهولة ، وانطلق يتحدث عن فروض غيبية جلاها قلبه فى معارض شائقة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فأصبحت وكأنها من الحديث المأنوس ! لقد هضم كل ما قرأ ووعى كل ما سمع ، وراح يهدر فى لغة قوية عاتية لا يعيبها غير ما كان يقصد إليه أحيانا من الغموض !

ولقد ظل العصر المملوكى مشغولا بابن عربى فالفتاوى توجه الفقهاء عن معتقده ، والمؤلفون يخطون الكتب فى نقده تارة وفى الدفاع عنه تارة ، وأظهر من حمل لواء الدفاع عنه سراج الدين البلقينى وجلال الدين السيوطى وعبد الوهاب الشعرانى وأن مفكرا يحدث هذه الثروة فى التنفيذ والتأييد لذو أثر كبير .

ولا بد من كلمة فى مجال تفسير القرآن عن مؤلف أندلسى دام كان فريدا فى اتجاهه إذ أن التفسيرات الذائعة لعهده وما وليه لم تكن على غراره ، كان هناك مجلدات تفسيرية بعضها مطبوع وأكثرها مخطوط لابن عربى والعز ابن عبد السلام وابن ظفر الصقلى وسبط بن الجوزى وناصر الدين الجذامى وتقى الدين السبكى والجلال السيوطى والزركشى والبلقينى وأبى حيان ، وابن قيم الجوزية ، والقفطى ، وابن كثير ، والحليمى ، ولكنها لا تغنى غناء تفسير القرطبى ! إذ كان ذا منحى خاص ، يضيف الأقوال إلى قائليها ويضرب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين ويفصل آيات الأحكام تفصيلا شافيا ويرصها بمسائل تسفر عن معناها وترشد الطالب إلى مقتضاها ، فى أسلوب سلس لا يصدمك بالاصطلاحات العلمية أو التخريجات النحوية والصرفية أو التحملات البلاغية مما يغشى البيان القرآنى بضباب يحول دون اجتلائه إشباعا لرغبة مفسر قارئ بحاث ! وهو لا ينقل نصا ما دون مناقشته كاشفا وجوه القول مما يجوز للمفسر أن يبديه من الرأى المؤيد بالحجة وما لا يجوز أن يتعرض له من الفروض والتأويلات الفاسية ، ذاكرا ما دعت الحاجة نصوصا وافية من أحاديث الرسول وأقوال الصحابة ومشيخة التابعين وأئمة الرأى فى الإسلام ، وقد بدأ تفسيره بأبواب يراها ضرورية تتحدث عن فضائل القرآن وكيفية التلاوة وما يكره منها وما يحرم ، وجمع القرآن وترتيبه القراءات السبع ومصحف عثمان ! ولعل دار الكتب المصرية لمست الحاجة إليه فى هذا العصر فبدأت بنشره مطبوعا فى أجزاء قدر لها أن تبلغ السادسة والعشرين ، وقارئه المعاصر لا يشعر أنه يقرأ فى تفسير سابق كتب فى عهد بعيد ولكنه يجد من قرب التناول وإشباع الفكرة ويسر العرض ، وسلامة الاستنتاج ووفرة النصوص والشواهد ما يجذبه إلى متابعته !

وإذا كان لكل تفسير وجهته العلمية ، فإن ميزة القرطبى الأولى هى اهتمامه بالأحكام الفقهية ، يكشف عن وجهها كما تؤخذ صريحة من كتاب الله دون التعصب لمذهب فقهى خاص ! كما نقل كثيراً من آراء ابن عطية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأندلسى ، وهو مفسر خطير ضاع تفسيره الكبير ولم تبق منه إلا أجزاء مبتورة فى دار الكتب المصرية وقد أثنى عليه أبو حيان وقال عنه أنه أجل فن صنف فى علم التفسير وأفضل من تعرض فيه للتنقيح والتحرير !

فكأن القرطبي قد حفظ لنا من آثاره ما حفظ ابن بسام فى الذخيرة من آراء ابن حيان المؤرخ ! وتلك إحدى مزايا النقل الكثير فى عهود الوراقة والمخطوطات! وقد قدم القرطبي إلى مصر وعاش بالصعيد الأوسط فى مينة ابن الخصيب ، دون أن تغره أضواء العاصمة بل انقطع للعبادة والتأليف فى معتزله الهادىء !

وإذا كانت الأيام قد حجبت تفسيره كثيراً عن التداول فإنه الآن بعد أن طبع طبعة راقية ممتازة بدار الكتب ، قد جاء بديعا بين قرنائه حتى ليعجب القارىء لتأليف مثله فى منهجه الرائع واطراده السهل ، واستقصائه المطمئن فى عصر يعج بالاعتراضات اللفظية وتزدحم تفسيراته بالقصص الإسرائيلية ! وهو من هذه وتلك بعيد بعيد!

هذه إشارات موجزة إلى بعض المؤلفات الرنانة ذات التأثير البعيد وبجوارها أخوات كثيرات لأئمة الأندلسيين الذين قطنوا المشرق فى شتى فروع الثقافة الإسلامية ، ولكننا لم نشر إلى أحد منها عامدين ، حيث كانت على نفاستها مماثلة لسائر المصنفات العربية ذيوعا وتقليدا فلا يجوز أن تندرج فى موضوع يبحث عن المصنفات المؤثرة بطابعها المتميز أو بذيوعها المشتهر المتعالم ، ونمثل بمؤلفات المرسى السلفى والتفسير وأشهرها درى الظمآن فى تفسير القرآن وهو ضخم يزيد على العشرين من الأجزاء ، ومؤلفات أبى حيان الأندلسى المتنوعة فى النحو والتفسير وهى من الشهرة بحيث يستغنى عن الإشارة إليها وابن القطاع الصقلى فى العروض والأدب والتاريخ وابن ظفر الصقلى فى اللغة والنحو والأدب وعلم الكلام وأبى بكر الطرطوشى صاحب كتابى الفتن وسراج الملوك فى السياسة والمختصر فى التفسير وحامل لواء السنة فى محاربة المستحدثات من البدع ، ولا نريد أن ننقل هنا من فهارس المكتبات العربية ما يشبعنا فى هذا المجال بل نترك ذلك لمن يشغف باستقصاء هذه النفائس وهى قيد المناول هذا نمط يسير من القول فى تأثير المقيمين بالشرق من الأندلسيين فى الثقافة العربية أما لو أودنا الإلمام بتأثير الأفذاذ من غيرهم كابن حزم وأضرابه فما أظن القلم يستطيع أن يقف عند حد ، وحسبنا الآن أن نذكر الأندلس اسهامها فى إنعاش الحركة العلمية والأدبية على ضفاف النيل زمنا غير قصير.

محمد رجب البيومى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فجر الفكر الإسلامي في مصر

للأستاذ عبد الجليل شلبي

تمهيد :

الفكر الإسلامي يشمل أنواعا متعددة من العلوم ، ولكنا نضع العلوم الدينية في مقدمة أنواعه ، ونضع الفقه وتاريخ التشريع في مقدمة علوم الدين ، وفي فجر هذه الحركة من تاريخ الفكر الإسلامي بعامة ، والفكر المصري بخاصة تواجهنا حقبة مفقودة ، أو على الأقل فترة غامضة هي الفترة التي سبقت تكون مذاهب الفقه وظهور الأئمة المجتهدين ، ففي منتصف القرن الثاني ، أو قريبا من هذا الوقت نجد مذاهب فقهية ناضجة ونجد للقياس والاستنباط قواعد مميزة ثابتة ونجد في جدل الفقهاء أسسا مستقرة تنفي الحيرة وطول التردد أمام المشكلات ، وهي حالة كان مألوفا أن تواجه الصحابة عقب وفاة الرسول .

هذه الحالة سبقت ولا شك بمحاولات عديدة أدت إلى هذا النضج ، ومهدت للأمة طريق الاجتهاد ، ولكنها فترة شديدة الغموض وهي في تاريخ الفكر المصري أشد غموضا كما سبق ، ففي الحجاز والعراق والشام وجد عدد أوفر من كبار الصحابة ، ومشهوري التابعين ، ورؤساء المسائل وكان لهم أثر ملحوظ في أحداث السياسة وتموج الفكر فإذا تعرضنا لتاريخ هذه الفترة هناك وجدنا مددا أوسع من المعلومات - وقد كانت تلك الأقاليم مسرح الفتنة الكبرى ، ومحال أحداثها وتاريخ هذه الفتنة يقدم لنا ألوانا متعددة من الجدل اعتمدت كلها على القرآن والأحاديث ، ومست من قرب تاريخ التشريع . ولكن مصر لم تشترك في هذه الأحداث إلا من طرف بعيد فأثارت فيها حرب السيف وحمية التعصب ، ولكنها لم تثر شيئا من الجدل ولم تمس جوانب البحث في الدين .

لهذا لا نجد أمامنا لندرس هذه الفترة من تاريخنا الفكري غير كتب التراجم والتواريخ ، وعلينا أن نتصيد من ثناياها ومن بين حواشيها خيوطا نضم بعضها إلى بعض حتى نحصل بقدر طاقتنا على ما يوضح هذا الغموض .

ولا بد لنا في هذه التوطئة أن نبين في إيجاز أهم العوامل التي ميزت الفكر المصري عن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

غيره من أفكار البيئات الأخرى والتى لونت تاريخ التشريع والفكر الدينى بوجه خاص بلون يستحق أن يكون سمة من سمات المصريين . فهل مرد ذلك النهج الدينى إلى الصحابة الأولين الذين قاموا بمبادىء التعليم أم إلى المجتهدين الذين ثبتوا ، قواعد المنهج لمن تبعهم من الباحثين أم إلى طبيعة الإقليم وما يتصف به أهله من طباع ثبتتها عوامل المناخ ، ومظاهر الحضارة القديمة ، وموروث العلوم ؟ إنه من الحتم ، ولا ريب أن نلاحظ كل هذه المؤثرات وأن نلاحظ أيها أعمق من غيره أثرا وأكثر ثباتا على مر السنين وهذه فيما ارى هى معالم الطريق أمام الباحث وسيعود منها ولا شك بقبس ، وسيجد على النار هدى .

وأوثر أن أبدأ بالبحث فى شخصيات الرواد الأول من الصحابة والتابعين ومن بعد التابعين لنرى تسلسل الأفكار وطرق التهدى والاستدلال وقد يحملنا هذا إلى الخروج بعيدا عن مصر لنرى جذور الفكرة وينابيعها الأولى ولكن لا بأس بذلك مادمنا مشدودين إلى مركز معين تنتهى إليه فى خاتمة المطاف .

حينما تفرق الصحابة فى الأمصار بداية الفتوح ، وكان ذلك منذ خلافة أبى بكر كان فى كل إقليم أفراد يمتازون بالعلم ويشتهرون بسعة محصولهم من حديث النبي ومعرفتهم بالقرآن ، وكان هؤلاء مرجع الناس فى الفتيا ومعتمدهم فى تعلم الدين ، وكان العرب الفاتحون أنفسهم يرجعون إليهم فيما يعن لهم من مسائل ، وما يجد فى حياتهم من شئون . وكان من عادة الخليفة أن يرسل من هؤلاء العلماء قضاة ومعلمين لأن رسالة المحاربين الأولى هى نشر هذا الدين الجديد ، وإلى هذا الوقت لم يكن الحديث قد جمع ولا قواعد الفتيا قد استقرت فلم يكن كل واحد من هؤلاء يعرف كل ما قاله أو فعله الرسول ولا يلم بكل غوامض القرآن أو يعرف كل أسباب النزول . وكانت الرحلات مستمرة ما بين إقليم وآخر ليحصل كل راغب فى العلم ما فاته مما لدى الآخرين - وكان كل من القاضى والوالى والمعلم يجهد جهده فى تطبيق قواعد الدين على المشكلات التى تطرأ له ، وقد يفسرها بوجه ينكره عليه غيره وقد ينكر هو ما رضى الآخرون ، ومن هنا بدأت شخصيات الفقهاء الأول تترك طابعها فى فتاويهم ، وتبعا لتنوع المشكلات فى الأقاليم بدأت تظهر سمات مميزة للتفكير الفقهى فى كل إقليم .

ومعروف أن الصحابة لم يكونوا سواء فيما أوتوا من العلم ، ولا فى جرأتهم على التصرف فيما أوتوا منه ، ولا فى مدى قدرتهم على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

توليد فكر مستحدث ، وعلم جديد وهذا أمر طبيعى مرده إلى اختلاف الذكاء والطبائع والشخصيات وكان له أثره فى توجيه الاجتهاد .

اعتاد أمثال أبى بكر وزيد بن ثابت وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن عمرو وأمثالهم أن يتلقوا عن رسول الله فى طاعة وإخلاص وقلما سألوه عن حكمة تشريع أو راجعوه فى توجيه أمر ولكنا نجد عمر كثيراً ما كان يقترح عليه ويراجعه حتى لقد هم حين مماته أن يكتب لأصحابه كتابا لايختلفون عليه بعده فقال عمر: إن رسول الله قد غلبه المرض وحسبنا كتاب الله تعالى .

وأنكر حرقوص بن زهير - الذى ينتمى الخوارج إليه - على رسول الله قسمة - فى فصاح به أعدل يا رسول الله ! وأجابه الرسول ومن يعدل إذا أنا لم أعدل؟ وقال : عنه أنه يخرج من ضئضىء هذا الرجل قوم ينكر أحدكم صلاته وصيامه بجانب صلاتهم وصيامهم ولم ير فى هذه المواجهة ما يستتبع الخروج على الإسلام - وهذا التباين فى الموقف أمام عمل الرسول يلزمه التباين فى النظرة إلى النصوص .

وكان أبو بكر يتحرج أن يفسر برأيه آية لم يسمع تفسيرها من رسول الله ولكن ابن عباس كان يفسر ما غمض من ألفاظ القرآن بما يعرف من أشعار الجاهليين .

وهناك اختلاف أيضا فى الموقف أمام أعمال الرسول ترتب عليه اختلاف فى العبادات فكان عمر بن الخطاب يرى أن الرمل سنة فى الأشواط الثلاثة الأولى من الطواف لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا فعل فى الحجة الوحيدة التى حجها وكان ابن عباس لا يرى ذلك ويقول : إن النبى فعل هذا لسبب معين - فقد كان القرشيون يظنون فى المسلمين الضعف ويقولون : أنهكتهم حمى يثرب فأراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم قوة المسلمين وإذن فهو عمل ليس له بعد ذلك ما يدعو إليه . .

نظر أحدهما إلى عمل الرسول من حيث هو عمل وعبادة ونظر الآخر إلى علته والدافع إليه ، وهذا الاختلاف يبين لنا من جانب آخر سبب اختلاف المجتهدين فى نظرتهم إلى عمل أهل المدينة - فهو عند بعضهم قاعدة وحجة لأنهم إما تابعوا الرسول فيه وإما أقرهم عليه فله صفة السنية على أى حال وبعض آخر لا يعتد به لأنه من المباحات التى لا تقر ولا تنكر ولا بأس أن تخالف ؟ أو تتبع .

وفى مجال التحدث عن تأثير الشخصيات نجد ما يدعو إلى الحذر والاحتياط . فهناك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أشخاص انتقل فقههم إلى بلاد لم ينزلوها وهناك أشخاص أقاموا ببعض الأقاليم - مع مالهم من علم وشخصية - ولم يتركوا أثراً ملحوظا وربما لم يتركوا أصلا .

فعمر بن الخطاب ترك أثراً قوياً فى فقه العراق ولم يقم هناك ولكن أثره كان عن طريق تلميذه المخلص عبد الله بن مسعود - وعلى ابن أبى طالب وعبد الله بن عباس أقام كل منهما بالعراق ولم يترك فى فقهه أثراً أو ما تركه كان ضئيلا ؛ لأن كلا منهما شغل بشئون السياسة والحرب عن الفتيا والتعليم - وشىء آخر يدعو إلى الحيطة إزاء هذين الصحابيين العالمين وهو ما أضيف إليهما من شيعة على وخلفاء بنى العباس أو على الأصح من طاب لهم أن يتقربوا للعباسيين عن هذا الطريق - وقد انتقل من كل منهما آثار فكرية إلى مصر بحق أو بغير حق وسنواجهها فى غير هذا الحديث .

ومما هو فى حاجة إلى شىء من التمحيص من تأثير الشخصيات وهو أشد مساسا بموضوعنا ما يشيع من نسبة الفقه المصرى إلى مدرسة مالك ثم إلى مدرسة المدينة التى سبقت مالكا وانتهى فقهها إليه - فهذه المدرسة كانت تتكون من سبعة مشهورين ولكن لم يكونوا كلهم سواء فى قدرتهم على توجيه تلاميذهم - فقد رأينا ابن مسعود يتأثر بعمر دون غيره وكان كل من : عروة ابن الزبير والقاسم بن محمد بن أبى بكر أشد تأثيراً بفقه عائشة - وكان الكثيرون حتى من أعضاء المدرسة نفسها يفضلون فقه زيد ابن ثابت - وعن هذه المدرسة أخذ جماعة من مشهورى التابعين هم الذين انتهى فقههم إلى مالك ومدرسته - فإذا رددنا فقه مالك إلى أفراد معروفين من مدرسة المدينة أمكن أن نقف على الجذور الأولى لمدرسة المصريين .

وقد فتحت مصر فى زمن لا يبعد كثيراً عن فتح العراق ولكننا نجد فى العراق وفى الكوفة بالذات مدرسة تعاصر مدرسة المدينة بينما تأخرت هذه الحركة فى مصر أكثر عن هاتين المدرستين - ومع ذلك نزل مصر عدد من الصحابة فهل تأخر هذه المدرسة يرجع إلى الأشخاص أم يرجع لأسباب أخرى ؟ .

عبد الجليل شلبى

فى مسئوليات الناقد المعاصر

للدكتور أحمد كمال زكى

طه حسين والمازنى والعقاد قادوا حركة النقد ، وهم مسلحون بأسباب الثقافة العربية وبعد أن قرءوا الآثار الغربية فى لغاتها ، وكان وقوفهم فى الجانب الذى حاربه الرافعى إيذانا بوجود الناقد الذى لا يدور فى ضبابية الاصطلاحات . ويحاول - بعد إلمامه بالإنسانيات - أن يقوم الأثر الأدبى تقويما بعيداً عن طلاسم الديباجة المشرقة ، ونبالة المقصد ، ومعاظلة التركيب ، ووخامة المعنى ، ونحو ذلك مما لا يفيد إلا فى الدلالة على تلاعب بلاغيينا بالألفاظ .

وكان المنهج العلمى الذى اصطنعوه - وهو لا يهمل اللغة ونحوها وبيانها - قد لفت إلى ضرورة تدريب الناقد العربى على الاتصال بالناقد الغربى ، وتم ذلك بنجاح بواسطة كتاب (ا. ريتشاردز) الذى وضعه سنة ١٩٢٤ باسم « مبادىء النقد الأدبى » . وإلى جانب هذا الكتاب الذى يستهدف ربط الإنتاج الأدبى فى مجالات النقد بالتحليل اللغوى المباشر ، ترجم الدكتور محمد عوض محمد « قواعد النقد الأدبى » لآبر كرومبى ، كما ترجم الدكتور زكى نجيب محمود « فنون الأدب » لتشارلتون ، فكان أمام العاملين فى ميدان النقد شروح لبعض القواعد الرئيسية التى أثرت تجارب الغربيين الأدبية .

والظاهر أن النتيجة كانت عكسية تماما ، فقد تضخمت بحوثنا النقدية بغير طائل ، وبدا كما لو كانت مدرسة الرافعى أكثر سداداً من المحدثين . حقا ظهر محمد مندور ومن بعده عبد القادر القط ، وحقا كان إلى جانب هذين سهير القلماوى ، ورشاد رشدى ومن يقرءون آثار الغربيين ويناقشونها ويقارنون بينها وبين ما يصدر عنه العرب ، إلا أن النقد ظل فى حاجة إلى من يحدد مجاله كما ظل عاجزاً - حتى اليوم للأسف الشديد - عن استكشاف جمال الأدب كحقيقة قائمة من أجل البناء .

ماذا أقول ؟

بل بدا أن الناقد لم يعد يعرف مسئوليته على الحقيقة ، وكأنما ضاع كل ما قدمه طه حسين ، والمازنى ، والعقاد قبل أن يخلو الطريق لغيرهم من المجددين الشباب ، وظهرت مشكلات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

متعددة نجمت عن محاولة تطبيق القواعد الغربية فى النقد العربى تطبيقا طائشاً ، كما وجـــدت اصطلاحات تشبه فى تلبيسها اصطلاحات القدماء ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر « التطهير » و « لحظة التنوير » و « العصاب النفسى » و « فعل التعبير » و « الاستجابة الفاعلية » و « المضمون » و « الانطباعية » و « المعادل الموضوعى » و « التناسب الموضوعى » و « الالتزام » الخ .

ولم يكن بد من ألا يعقد الأدباء أملا على ناقديهم ، لا سيما بعد أن ظلوا على إصرارهم فى احتذاء الغربيين ؛ بل فى احتذاء طائفة معينة منهم يوضع على رأسها ريتشاردز والغريب أن كتاب هذا الرجل — القديم نسبيا — لا يزال إلى اليوم عندنا المنفذ السهل إلى الكشف عما للكلمات من خطورة وأكبر الظن أن بعض النقاد وجد فيه امتدادات عربية غير مباشرة بطبيعة الحال من حيث حصر المجهود النقدى فى اللغة ، وفى نسيجها على نحو ما ظهر عند عبد القاهر الجرجانى ، فأصر على الإخلاص له دون أن يلحظ تلك الهزة التى تريد أن تعصف اليوم بمدرسته كلها ، حتى تقوم أساليب أخرى أجـــدى فى إظهار حقيقة النص الأدبى .

واشتد يأس الأدباء من ناقديهم إلى شئ آخر ، هو التفات أغلبهم إلى نفر معين من المنشئين ، حتى إن كتاباتهم تظهر كأنها مكرسة لهم فقط أو مقصورة على شخص يتلاءم إنتاجه مع فكرتهم النقدية .

وهنا وجه الخطر ! ..

إننا بلغنا مرحلة فنية لا نقول فيها : إن مناهج القدماء والغربيين بدون فهم لا تصلح لها فحسب ، ولكن نقول فيها أيضا : إن التحيز لأديب دون أديب خطر دونه خطر الأخذ بالمقاييس الغربية ، أو دونه خطر التوقف عن البحث الجذرى فى قضايا الأدب العربى كله ، ولعله فى الدرجة نفسها التى ترتفع إليها قاعدة : أن النقد الحقيقى : هو فن دراسة الأساليب اللغوية فى إطارها الموسيقى ، وفى طاقاتها التشكيلية ، أو من حيث قدرتها على رسم الصور .

هكذا تتحدد مسئولية الناقد ، عليه أن يفسر بعد أن يصل إلى مرتبة التفقه الفنى ، ودون أن يتحيز لأحد ، ويهمل أحداً ، مع استيعاب كامل لأعمال عصره مؤمنا بأن وراء إمكانات فهمها آفاقا بعيدة ممتعة .

وتحديدنا المسئولية على هذا النحو لا يعنى أن نكفر بالقديم ، فبين القديم والمحدث تفاعل أكيد . ثم هو لا يدعى لها شرف الخلق ، بمعنى أنها ترسم الحياة للأديب ، وبعد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ذلك تنفخها فيه . كل من الادعائين باطل ، غير أن الناقد يظل فيها مطالبا بالتوازن المطلق، وهو يصدر عن عمليات الفهم والتذوق والمناقشة والتفسير ، وعن هذه الوسائل يتحسس الأديب طريقه ، أو يرى موضع قدمه قبل أن يخطو خطوته .

ومن هنا يصح أن نطالب بوجود الناقد الذى يزن الأعمال بميزان على نزيه ، وهذا الميزان هو الذى يتعدى - بطبيعة تكوينه - حاضر الأديب إلى ماضيه ، ويرجع الأعمال التى تفسر الحياة تفسيرها الوجدانى ، وهو يقبل الفنون التى قد تبدو مناقشة دورها غريبة عند بعض المحافظين . وما أشبه صنيع هذا الناقد بما يقدمه « هربرت ريد » وإن يكن هناك من يرى أن « بول روزنفلد » الناقد الموسيقى الأمريكى [1] أحق بالذكر منه فى هذا المجال .

وفى هذا كله لا يطالب النقاد بأكثر من أن يعوا « طاقة » الأديب إلى جانب « تقييم » إحساسه الكامل بالمسئولية الاجتماعية ، لا يطالبون بأكثر من أن يجعلوا «موضوعات» الأديب تعبيرية، أى أن يطرحوا ما قبل طرح المادة التى يشكلها الفن القولى كتعبير عن الذات . وفى هذه الحال لابد من التسليم بوحدة المادة الأدبية وشكلها ، أو قل: بارتباط بنية المادة ، وصورتها الفنية ارتباطا عضويا ، ولا نقول بذلك الارتباط المفتعل الذى يفرض على ما يسمى الشكل والمحتوى، أو الصورة والمادة، أو الأسلوب والمعنى .

والواقع أن مسئولية الناقد تقوم فنياً على أساس أن بنية الإنتاج الأدبى تنتمى أولا إلى معطيات الوجود قبل أن ترتبط بذات الأديب ، ولكن المهم : هو البحث عن مدى نجاح الأديب فى تشكيل الصورة التى جسمت مادة التجربة ، بمعنى أنه لابد من التركيز على أن يكون الجهد الإبداعى هو خلق الشكل الذى يمكن أن ينفذ بالمادة إلى خبرات المتلقين . ويمكن أن يعتبر الشكل فى هذه الحالة حلقة الاتصال بين الأديب وقارئه ، والوسيلة المباشرة للتعرف على بنية الإنتاج من حيث كونه قصيدة ، أو مسرحية أو قصة ، أو أى جنس أدبى آخر .

حقا لا يخرج الشكل - عادة - عن أن يكون عنصراً واحداً من عناصر معرفة القيمة الجمالية ، إلا أنه يلعب الدور الأول فى تحديد الملامح التى تقرر نوع التأمل ، أو تضع نقطة

---

(١) Paul Rosenfeld ولد سنة ١٩٠٧ ومات سنة ١٩٤٦ ، وكان من رأيه أن يتسق الفنان ضروب الفنون كافة، وأشهر كتبه فى هذا الموضوع By the way of Art وقد نشره عام ١٩٢٦ ، والتزم ما فيه إلى أن مات .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

البدء للتفكير . ويظل بعد ذلك أسلوب الفنان هو الذى يطبعه بطابع متميز ، وهو النقطة التى يختلف حولها المتفلسفون من حيث عده أساس المعرفة الفنية لأنه هو الثابت بعكس المادة (١) .

ولما كانت كل خبرة قائمة على أساس وجود تفاعل بين الذات والعالم ، وأن هذا التفاعل موجود فعلا فى المادة المشكلة ، فإن من غير الممكن أن يمنع الناقد نفسه من أن يسأل : هل ما قيل ليقصد به الأديب خبرات الآخرين قد اندمج فى سياقه البشرى وبنى إنتاجه البناء المناسب ؟ أى يسأل : هل نجح فى التعبير ؟ .

إن كل ناقد يتصور أنه يسأل هذا السؤال ولكن الحقيقة أنه لا يفعل ، وإنما يقدم الاصطلاحات الغريبة فى عبارات أكثرها فيه من الجسامة ما يطمس الحقيقة ويهدر القيم . وعلى ضوء ما يمكن أن يحدث لو التزم الجميع جادة الحق يتوارى متأدبون هم فى الصورة الآن ، ويظهر أدباء لم تسلط عليهم الأضواء ، ولا يكون الفاص: (عبد الحليم عبد الله) مثلا كاتباً طليعيا يضع أيدينا على فاعليات تاريخنا وحاضرنا ، وإنما يكون واحداً من الرواد الذين قد تضيع مضامينهم فى « بلاغيات » العبارة ، وتزدحم مادتهم بالشعارات المبهمة أو الطائشة .

أنا لا أعرض بأحد ولا أستطرد ، ولكنى أرى أن النقاد فى إهمالهم لمسئوليتهم وأخذهم بأسلوب المجاملات ؛ قد ضيعوا الحقيقة الأدبية ، وأصبح الأدب غريبا فى مجتمع تبدلت ملامحه . وفى الوقت نفسه أهدرت الخبرة السوية ، وضرب على فهم العوامل النفسية والاجتماعية وهى تخطط للجماليات ؟

دكتور أحمد كمال زكى
جامعة عين شمس

(١) يجب أن نلحظ أن التفرقة بين الشكل والمادة تفرقة ذهنية ، كما نلحظ أيضا أن أساس المعرفة الفلسفية على النحو المتقدم ناجم عن أن مادة الأدب أشبه ما تكون بالهيولى فهى مهوشة مضطربة وغير مستقرة ومن ثم يكون للشكل الذى سوى الصورة صفة الاستقرار والدوام . ولكن ما يهم الناقد هو أن يفرق بين المادة التى شكلت بأسلوب قاصر ، والمادة التى شكلها الأسلوب الكامل ، دون ما نظر إلا إلى « التنظيم » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشعر الحديث وبساتين القرآن

للأستاذ عبده بدوى

أى إنسان الآن حين يتعامل مع الشعر بالإحساس ، يجد أن طيور الشعر لا تحط على بساتين القرآن ، ولا تقرب من حديقة الرسول ، ولا تمد أعناقها إلى التراث الإسلامى . . . وأى إنسان حين يتعامل مع الشعر بطريقة المسح والإحصاء يجد أن ما نقوله حقيقة ، وليس معنى هذا أن التجربة الدينية غير خصبة ، أو أنها تعرقل التجربة الشعرية فى قليل أو كثير . فالتجربة الدينية مما يثرى الشعر إذا أخذت على أنها ليست موعظة ، أو نظما لموقف ، أو تفسيرا أو تحليلا لجانب من الجوانب الدينية ، أو وقوفا عند العبادات والأشكال الخارجية للدين .

أما إذا أخذت كخيوط فى النسيج العام للتجربة ، وكرموز تعمق العملية الشعرية ، ثم أخيراً ، إذا رأيناها تتجاوز الشكل العام للدين ثم تتعمق ، وتتعمق إلى أن تكون تعبيرا وإحساسا متواترا للجوهر الإلهى . . فإن هذا يكون هو الشعر ، مع تحقيق شرط لابد منه ، وهو أن يكون الشعر هو الملامح البارزة فى العملية الشعرية ، وأن يتحول الإحساس الدينى إلى ما يشبه « اللهب الخلفى » الذى من وظيفته فقط ، إلقاء ضوء خافت من همس النور ، ومن الحرارة العاقلة التى تؤثر على العين ولا تؤثر عند اللمس .

وقد يقول قائل : وما معنى هذا ، والناس منصرفون اليوم ، ومن فترة فى قليل أو كثير عند الدين ، وأن ما يشغلهم هو أمور دنياهم ولكن نظرة واحدة ترينا أن الدين يشغل الشاعر المعاصر ، ويأخذ عليه كل اتجاهاته ، ولا يتركه إلا وبه أثر منه .

فالشاعر (ت . س أليوت) يظهر فى أعماله التأثر العميق بالكاثوليكية ، وبعض النقاد يقول : إن قصيدة « الأرض الخراب » - التى تعتبر من معجزات الشعر فى هذا العصر - يمكن ، بل يجب أن تقرأ على أنها موعظة مسيحية ، وأن « القصائد الأربع » له يجب أن ينظر إليها على أنها تأملات دينية ، وأن « رحلة المجوسى » يذكر عنها بعض النقاد أن عنوانها يذكر باللوحات الدينية فى العصور الوسطى ، وأن ما فيها من دفء وإشراق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يذكرنا « بالفرح العظيم المتزايد » فى الإنجيل بل إن الأبيات الأولى مأخوذة من إحدى الخطب الدينية فى القرن السابع عشر للأسقف « لانسلوث آندروز » .

ويمكن أن نحس هذا عند الشاعر بيتس ، وفروست ، وجورج هربرت ، وفرانسيس تومسون ، والشاعرة كرستينا روستى .

ونحن يجب ألا يذهب بنا الظن بعيدا ، فالمتتبع الشعر العربى المعاصر ، وبخاصة الشعر الحر ، يجد أن التأثير الدينى يلقى ظله عليه ، ولكن هذا التأثير الدينى ليس إسلاميا ولكن مسيحيا ، وقد أرجعت هذه الظاهرة فى « مجلة الرسالة » إلى أن الشعراء يخضعون لبعض المثقفين الشديدى الذكاء ، أو أنهم وجدوا أن القصيدة العمودية مرتبطة أشد الارتباط بالتراث الإسلامى ، ومن هنا كان انصرافهم إلى الجانب المقابل ، وأما أن بعض العوامين على الدين الإسلامى يبالغون فى التشدد على رموزه ومواقفه .

والخطورة هنا : أن الشاعر المعاصر لا يستغنى عن تحويل بعض المواقف والرموز الدينية إلى شعر ، ولكنه ينصرف تماما عن المواقف والرموز الإسلامية ، وقد عن لى أن أقوم بعملية مسح شعرى فى الشعر الحر المعاصر ، فوجدت صدق هذه الظاهرة ، بل وجدت بعض الشعراء يسخرون من الرموز الإسلامية ، وليس لهذا معنى غير أن بعض النقاد قد حولوا الشعراء بطريقة أو بأخرى عن المواقف ، والرموز الإسلامية .

وقد يظن ظان أن القرآن والحديث والمناخ الإسلامى لا يوحى بالشعر ، ولكن النظرة المنصفة تؤكد أن هذه المناطق الثلاث مملوءة بالشعر ، وأنها يمكن أن تعطى له الحنين والخصب ، والرحيل ، والبهجة ، والبعث ، كما يمكن أن تعطى له انتفاضة المرأة للجمال ، وللحمل ، والحقد ... كما فى امرأة العزيز ، وامرأة ابراهيم ، وامرأة لوط ... واللحظة الحرجة فى إقدام إبراهيم على ذبح ابنه ، وفى وضع أم موسى ابنها فى الماء ، وفى فرحة محمد حين أتم الله دينه ، وفى حزن يعقوب على يوسف ، وإشفاق نوح على ابنه ، وفى ابتلاء أيوب ، وأصحاب الجنة !

وفى ضوء هذا نرى أن فى القرآن والسنة والتاريخ الإسلامى ما يمكن أن يثرى الشعر ويملأ الشاعر ، بل إنى أذهب إلى القول بأن الشعر المعاصر أصبح حائل التأثير ، وخافت الصوت ، وليست له « النكهة الشرقية » لأنه يتخطى القرآن إلى الإنجيل ، ولأنه يستمع إلى أنبياء ليست لهم الملامح النفسية لأنبيائنا ولأنه لا يحول ما يحس ويرى إلى شعر ، ولكن يحول ما يقرأ إلى تجارب ستظل دائما بعيدة

(البقية على صفحة ٧١٩)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكنها تفيد مع زيادتها معنى التوكيد كما قال ابن جنى : إن كل حرف زيد فى كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى ، فكأنه قيل : فتحت أبوابها فتحت أبوابها ، وكذلك بقية الآيات ، ومنها آية التوبة التى زيدت فيها (ثم) .

٢ ــ اختلف العلماء فى وقوع الزائد فى القرآن : فقليل منهم منعه ، والكثيرون أجازوه ، قال صاحب البرهان فى علوم القرآن فى الجزء الثالث : (وقد اختلف فى وقوع الزائد فى القرآن ، فمنهم من أنكره ، قال الطرطوسى فى العمدة : زعم المبرد وثعلب ألا صلة فى القرآن (أى لا زائد) ، والدهماء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلات فى القرآن ، وقد وجد ذلك على وجه لا يسع إنكاره فذكر منه كثيرا) اهـ كلام البرهان

وفى موافقة كثرة العلماء والفقهاء والمفسرين على وجود الزائد فى القرآن إلى ما تقدم من تضعيف مذهب البصريين وغيرهم نصر لمذهب الكوفيين والأخفش ، والله أعلم .

طه الزينى
دكتوراه فى النحو والصرف

(بقية المنشور على صفة ٧١٢)

عن أحاسيسنا ، وغير ملتصقة بوجداننا ! . عليه أن يحول الدين الى شعر ، لا أن يحول الشعر الى دين .

وليس هناك من أمل سوى أن يميل هؤلاء الشعراء إلى أنفسهم ، وأن يستخرجوا ما بها من لآلئ دون خوف من « رجال الصاغة » ، وأن يدعوا القرآن ، لا لأن بعض النقاد دعا إلى إدمان قراءة الإنجيل للشعراء أخيراً ، ولكن لأنهم سيجدون ما يعمق تجربتهم بالقرآن .

وليس معنى هذا أنا نريد حبس الشعراء فى الأجواء الإسلامية ، ولكنا فقط ندعوهم إلى « زيارتها » من الحدائق التى « سرقوا » إليها ، بل إنا ندعوهم الى أن يحلقوا فى كافة الأجواء الدينية ، وألا ينسوا التحليق على ما فى أنفسهم . . وما فى أنفس قومهم . . وما فى الشرق ! !

على أن يظل الشاعر دائما متذكراً أن

تلك هى الدعوة التى ندعو إليها ، بعد أن قنا بزيارة كافة الدواوين المعاصرة ، دون أن تقع أعيننا ونفوسنا على شىء يذكر بالشرق والإسلام ، بينما تدق الأجراس ، فوق رموز الخلاص بالحب ، والخلاص بالموت ، والصلب ، والجلجثة ، والخطيئة .

فما نقوله الآن ليس وليد لحظة عاطفية ، وليس وليد لحظة تعصب لأننا ندعو إلى الانتفاع بكافة الأديان ، ولكنه وليد لحظة علمية ، تشهد عليها عملية الإنتاج الشعرى المعاصر على الصعيد العربى ، ومن هنا نرفع صوتنا إلى الشعراء ثم نقول لهم : « إلى أين ؟ »

عبده بدوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفراغ النفسي عند الشباب

للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

— ٢ —

في المقال السابق بينت الفراغ النفسي عند الشباب ، وأن هذا الفراغ يتمثل في الفراغ الديني ، والخلقي ، والعلمي .

والآن سأعرض الدواء الذي سنعالج به الفراغ الديني والروحي ، فبأي شيء نملأ هذا الفراغ .

إن دواء هذا الفراغ الروحي هو غرس تعاليم الدين في النفوس ، وتنشئة الشباب تنشئة دينية روحية سليمة ، وذلك بملء القلوب بالإيمان : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، إيمانا مبناه الاعتقاد الجازم ، والعلم الصحيح بما يجب الإيمان به ، والعمل الصالح المصدق لهذا الإيمان .

هذا الإيمان الثابت الذي يدعمه العلم الصحيح ، والعمل الصالح هو ما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة ، الذي صير من سكان الصحراء حكاما عادلين وخلفاء جديرين بالاستخلاف في الأرض .

لابد أن ننشيء الشباب من الصغر على تعاليم الدين وشرائعه ، وأن نلقنهم أصول الدين وأحكامه كما أنزلها الله ، وأن نعودهم إقامة شعائره ، حتى ينشأ الناشيء وهو غير غريب عن دينه وآدابه ، وهذا يقتضي أن تعمم دراسة الدين في جميع المراحل الدراسية من المرحلة الأولى إلى المرحلة الجامعية ، وأن يكون مادة أساسية لها وزنها في النجاح والرسوب في جميع السنوات ، وأن يكون لهذا تقديره أيضاً عند التقدم للكليات الجامعية والمعاهد العليا ، حتى يكون هذا حافزاً للشباب على أن يحصلوا على أقرب قسط من الثقافة الدينية .

وإنه ليؤسفني ألا تكون دراسة الدين وشرائعه وآدابه مقصودة لذاتها ، ولكن ماذا نفعل وقد أصبحنا أمام واقع مؤلم لا مفر منه ، وهو ربط التعليم بالنجاح والرسوب ، والإعداد للأعمال والوظائف ؟ وليست هذه المشكلة بنت اليوم ، فهي تضرب في التاريخ بجذور عميقة ، ويرحم الله الإمام الغزالي حيث قال : « طلبنا العلم لغير الله فأبى ألا أن يكون لله ، ولكن فرق ما بين النظرتين اليوم والأمس . كفرق ما بين العصرين .

نعم : إن الدين يدرس في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية ، ولكنها دراسة سطحية لا تصل بالطالب إلى اللباب .

فإذا ما وصل الطالب إلى الجامعة فإنه لا يرى أثراً للدراسة الدينية ، مع أن هذا الدور هو الذي يبلغ فيه الشباب درجة من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاستعداد تؤهلهم لفهم حقائق الدين ، وفى هذا السن يصبح الطالب عرضة للتأثر بالمذاهب الهدامة ، والآراء الفاسدة ، والأفكار الوافدة .

وهذا القصور فى الدراسة الدينية ، فى الكليات الجامعية فيما عدا الكليات الأصيلة فى جامعة الأزهر ، أو التى تتغذى من روافده ، ولا يعنى بهذا النوع من التعليم إلا بضع جامعات فى العالم الإسلامى والعربى وأنا لا أنكر أنه قد وضعت كتب قيمة فى التربية الدينية ، وفيها شىء غير قليل من العبادات والأخلاق ، والسيرة النبوية لكنها - والحق يقال - لا يدرس منها إلا القليل جدا ، وما يدرس منها يدرس بطريقة لا تبنى عقيدة ، ولا تهذب نفساً ، ولا تقوم سلوكا ، وما منا أحد إلا وله أبناء فى المدارس فليرجع إليهم وليسألهم ، فإن الكثير من التلاميذ لا يحفظ من القرآن ما يصحح به صلاته ، والكثير منهم لا يكاد يحسن الوضوء .

وإذا كان لبعض الطلاب ثقافة دينية ، وسلوكهم لا ينافى الدين فمرجع ذلك غالبا إلى البيئة التى نشئوا فيها ، أو إلى ظروف وملابسات كونتهم هذا التكوين ، وأعدتهم هذا الإعداد والطلاب الذين ينشئون فى أسر متدينة ، أو يغشون المساجد ، وقاعات المحاضرات الدينية والعلمية والأخلاقية ، غالبا ما يكون لهذا أثر ملموس فى تربيتهم .

وشىء آخر أحب أن أنبه إليه ، وهو أنه يجب أن يكون القائمون بتدريس الدين من المتخصصين فى علوم الدين ، الفاهمين له فهما صحيحا ، وممن يؤمنون بجدوى الدراسة الدينية وأثرها فى إصلاح النفوس ، وتهذيب السلوك وإلا خرج الكلام من فيه فاترا لا أثر له ، ميتا لا حياة فيه ، ولكن الأمر على خلاف هذا ، فدروس الدين كثيرا ما يراد بها تكميل جدول الدروس ، ولا يراعى فيها الرجل المتخصص ، ولا الرجل الذى يزكيه سلوكه ، واستقامته .

لا يكاد يختلف منا اثنان فى جدوى التعليم الدينى ، وصقل نفوس الشباب به ، وخطورة الفراغ الدينى فى النفوس ، فما الذى يمنعنا وقد أصبحت أمورنا بأيدينا ، وتخلصنا من نير الاستعمار ودسائسه وأحابيله - من أن نجعل تعليم الدين مادة أساسية ، وأن نعمم دراسته فى المراحل الدراسية كلها ، وأن نقوى من مناهجه ، ونزيد فيها ، وأن نختار لهذه الدراسة المدرس الكفء الصالح ، حتى يمكننا أن نكون شبابا مؤمنين بربهم ، عاملين لأوطانهم ، مخلصين لله فى أعمالهم ، لا يرتشون ولا يدلسون ، ولا يخونون ، ولا يغلون ، ولو أن وازع الدين والأخلاق كان قويا لما كنا سمعنا عن هذه السرقات من مال الدولة الذى هو مال الشعب .

« ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » .

ولكى يفيد التعليم الدينى فى معاهد العلم ويثمر ثمرته يجب أن تحافظ الأسر على القيم الروحية ، والتعاليم الدينية فإذا أخذ الوالدان أنفسهما بالتدين الصحيح والتحلى بالأخلاق الكريمة كان ذلك درسا نافعا ومفيدا للأبناء .

ومن العجيب أن الدارسين لنفسية الشباب فى الغرب دعو إلى ما دعونا إليه من إحياء معانى التدين فى النفوس ، وإليك ما جاء فى صحيفة الأهرام [1] عن نتائج مؤتمر الأسرة والطفولة الذى عقد فى مدينة « ميونيخ » فى ألمانيا . قالت مندوبة مصر : « لقد تضمن جدول المؤتمر أكثر من فكرة وموضوع تهم الأسرة والشباب ، وأهمها فى رأيى المناقشات والأبحاث التى دارت عن أهمية المحافظة على القيم الروحية فى الأسرة وذلك حتى ينشأ الطفل فى جو أسرى متماسك ، فالأسر هى التى تتكون فيها شخصية الطفل من الناحية الروحية والعقلية ، حيث يتعلم من خلالها الحب ، والتضحية ، والحرية ولقد كان من آثار عدم الاهتمام بالقيم الروحية تفكك الروابط الأسرية فى المجتمعات الصناعية ، حيث ينساق الأفراد أمام التقدم المادى فقط ، بينما مازالت الدول النامية محافظة على تماسكها ، وقوتها .

وقد قال أحد الباحثين : إن الشباب فى العالم أصبح لديه احترام قوى وتقديس للعلم فقط وأهمل الدين ، وذلك نظرا لعدم وجود دراسات دينية ضمن التعليم فى المدارس للشباب كما أثارت مندوبة بريطانيا ظاهرة التدهور الخلقى فى شباب العصر الحديث ، وناشدت الحكومات ، والهيئات أن تعمل على محاربة الكتب والروايات السينمائية التى تتنافى مع الآداب ، وقالت مندوبة إيطاليا : إن هناك قانونا صدر أخيرا فى إيطاليا لمراقبة إعلانات الكتب والروايات التى تعلق بطريقة مثيرة فى الشوارع حيث يراها الصغار ، وقالت : إن جميع الإعلانات تعرض الآن على قاض للموافقة عليها ...

وإذا كانت الأديان تدعو إلى تربية العقائد وتقويم السلوك ، والدعوة إلى الخير والفضائل ففى الذروة من ذلك الدين العام الخالد دين الإسلام الذى ارتضاه الله دينا للناس كافة إذ يقول وصدق الله : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » ، وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث قال صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة نبيه » رواه الحاكم ؟

محمد محمد أبو شهبة

---

(١) الأهرام الصادر فى ١٢ / ٩ / ١٩٦٤

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

طرائف لغوية :

الواو الزائدة في الأساليب العربية

للأستاذ طه الزيني

قال الله تعالى عن المؤمنين عند دخولهم الجنة : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم » ، وعن أبي الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام حينما أسلما أمرهما إلى الله ورضيا بذبح إسماعيل : « فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا » ، وقال عن يوسف عليه السلام حين اتفق إخوته على جعله في غيابة الجب حتى لا يعود إلى أبيه : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب ، وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون » ، وعن يأجوج ومأجوج : « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب الوعد الحق » ، وقرىء قوله تعالى عن احتجاز يوسف عليه السلام لأخيه : « فلما جهزهم بجهازهم ، وجعل السقاية في رحل أخيه » ، بزيادة الواو قبل جعل .

وقال امرؤ القيس :

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى
بنا بطن[1] خبت ذي قفاف[2] عقنقل[3]

قلت هاتي نوليني تمايلت
على هضيم[1] الكشح[2] ريا المخلخل[3]

وقال الشاعر :

حتى إذا امتلأت بطونكمو
ورأيتمو أبناءكم شبوا
وقلبتمو ظهر المجن[4] لنا
أن اللئيم العاجز الخب[5]

والناظر في هذه الآيات والأبيات ، يرى أن المعنى مع وجود الواو كالمعنى مع عدمها ، ففي الآية الأولى لو أسقطت الواو فقيل : « فتحت أبوابها » ، كان المعنى صحيحاً ، ومؤديا للمطلوب وفي الآية الثانية لو قيل : « ناديناه » بدون الواو كان المعنى صحيحا ، ومؤديا للمطلوب كذلك . وفي الآية الثالثة لو قيل : « أوحينا إليه » بدل وأوحينا . كان المعنى صحيحا ومؤدياً المطلوب كذلك ، وفي الآية الرابعة

(١) واد معروف ببلاد العرب .
(٢) الحجارة . (٣) متسع عظيم .

(١) ناحلة (٢) الخاصرة
(٣) مكان وضع الخلخال في الساق و « ريا » معناه ممتلئه
(٤) الترس الذي يدفع به المحارب السلاح عن نفسه .
(٥) الخداع بصيغة المبالغة وهي بفتح الخاء وكسرها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لو قيل : « اقترب الوعد الحق » بدون واو كان المعنى صحيحا ، ومؤديا للمطلوب أيضا ، وفى بيت امرئ القيس، والذى بعده لو قيل (انتحى بنا بطن) و (قلبتمو ظهر المجن) كان المعنى صحيحا ، وإذا كان المعنى عند ذكر الحرف، وعدم ذكره صحيحا، ومؤديا للغرض منه حمل ذلك على التفكير فى كونه زائداً ، فهل هذه الواوات وأمثالها فى الأساليب العربية زائدة أو ليست بزائدة ؟

اختلف النحويون فى ذلك :

فالبصريون يرون أن الواو أصلية، وليست بزائدة ، وحجتهم فى ذلك : —

أن الحرف وضع لمعنى فلا يجوز جعله زائداً ما أمكن ذلك ، ومعنى الواو عندهم هنا العطف ، ويجعلون جواب (إذا) و(لما) محذوفا فى الآيات والآبيات ، فيقولون فى الآية الأولى : حتى إذا جاءوها صادفوا الثواب الذى وعدوه ، وفى الثانية : فلما أسلما وتله للجبين كان هناك مالا يوصف من ألطافه تعالى ، وفى الآية الثالثة : فلما ذهبوا به ، وأجمعوا حفظه الله ، وفى بيت امرئ القيس : فلما أجزنا ساحة الحى حدث ما أتمناه ، وفى البيت الذى بعده : حتى إذا امتلأت بطونكمو ، ورأيتم أبناءكم شبوا ظهر غدوكم ، ويزيدون على حجتهم السابقة أن حذف الجواب فى الوعد والوعيد أبلغ من ذكره ، والآيات ، والآبيات السابقة مشتملة على الوعد والوعيد .

وذهب الكوفيون والأخفش [1] إلى أن الواو فى الأساليب السالفة زائدة ، واستدلوا لمذهبهم بعدم وجود الجواب فيها ، وبأنه لا ضرورة لتقدير الجواب ، وما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إليه ، وبأن المعنى ظاهر كل الظهور على اعتبار الواو زائدة .

وقال بعض النحويين إن الواو للحال، وقد مقدرة قبلها فى الآيات الأربع والتقدير : وقد فتحت أبوابها ، وقد ناديناه ، وقد أوحينا إليه ، وقد اقترب الوعد الحق ، وفى الآبيات الواو عاطفة على محذوف وليست بزائدة، والتقدير : فلما أجزنا ساحة الحى أجزناها ، وانتحى بنا بطن خبت ؛ وظهر غدوكم وقلبتم ، والجواب مقدر على هذا الرأى أيضاً .

وأجاز ابن عصفور زيادة الواو فى الشعر فقط كالآبيات السابقة .

ووافق الرضى شارح الكافية البصريين فى عدم القول بزيادة الحرف متى أمكن تخريج الكلام على عدم الزيادة فقال ص٣٦٩ ج ٢ من شرح الكافية فى قوله تعالى : « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا » ، وهذه

(١) نسب ابن يعيش فى المفصل رأي الأخفش هنا للبغداديين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الآية قد استدل بها الأخفش على زيادة ثم ، ولا منع من ارتكاب حذف المعطوف عليه أى الهمهم الإنابة ، ثم تاب عليهم ، وكل ما جاء من أمثلته فإن أمكن الاعتذار عنه فهو أولى ، وإلا فليحكم بزيادة الحرف) اهـ.

ووافق ابن السراج أيضا البصريين فى عدم زيادة الحرف ، وزاد عليهم بأن منع وجود الزيادة فى كلام العرب جملة ، فقال : ليس فى كلام العرب زائد لأنه تكلم بغير فائدة وما ورد منه فى كلام العرب يحمل على التوكيد .

ووافق ابن جنى ابن السراج فقال : « كل حرف فى كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى .

وبعد سرد آراء النحويين فى الأساليب السابقة أرى : أن البصريين جامدون ، ومؤولون لما لاضرورة لتأويله ، فإن الظاهر فى آية الجنة والله أعلم . كون الفتح جواب إذا ، بدليل الآية الأخرى الواردة فى أهل جهنم ، وإن كانت زيادة الواو فى آية أهل الجنة لمعنى آخر غير العطف ، وسيأتى بيانه ، والفتح هو السبيل إلى الثواب الذى وعدوه ، بل هو جزء منه ولا داعى إلى استبدال الجواب الموجود فى الآية بجواب آخر يماثله فى المعنى ويخالفه فى اللفظ فراراً من زيادة الواو ، وكذلك الآية الثانية آية الفداء الجواب فيها هو النداء ، لأنه منع من الذبح وإخبار بالفداء وهو نفس الألطاف التى قدرها البصريون فهى كالسابقة . وكذلك بقية الآيات والأبيات أجوبتها فيها . ولا داعى إلى تقديرها .

وأما جعل الواو حالية مع تقدير « قد » فهو خلاف الظاهر مع قلة تقديرها فى القرآن بالنسبة لإظهارها ، ومع الحاجة إلى تقدير الجواب وفيما تقدم من الاعتراض على رأى البصريين .

وأما جعلها عاطفة على محذوف فالأصل عدم الحذف مع ظهور ركاكة الأسلوب فى تقديرهم فى بيت امرىء القيس (أجزناها وانتحى) .

وتقدير الرضى الجواب فى آية التوبة تغافل عن المعنى ، وما يتطلبه ، وعن الأصل الذى هو عدم الحذف والتقدير ، ولا شك أن المعنى فى آية التوبة ظاهر جداً على أن التوبة هى الجواب ، والأصل « تاب عليهم » بدون « ثم » وإن كان لثم معنى آخر غير العطف سأذكره قريبا ، وأما إلهام الإنابة من الله فقد حصل قبل أن تضيق عليهم الأرض بما رحبت ، وهى لم تضق عليهم إلا بسبب إنابتهم وخوفهم من الله .

وأما تخصيص ابن عصفور الزيادة بالشعر فتحكم لا دليل عليه ، فقد وقعت الزيادة فى القرآن الكريم ، وهو فى أعلى مراتب البلاغة .

بقيت مسألة تتصل بهذا البحث وهى كيف نقول بزيادة الواو فى الآيات السابقة ، وهل تقع الزيادة فى القرآن ؟ وإليك بيان ذلك أقول :

١ — المراد بالزائد ما كان زائدا من جهة الإعراب ، لا من جهة المعنى ، فالواو فى قوله تعالى : « وفتحت أبوابها » ليست للعطف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكنها تفيد مع زيادتها معنى التوكيد كما قال ابن جنى : إن كل حرف زيد فى كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى ، فكأنه قيل : فتحت أبوابها فتحت أبوابها ، وكذلك بقية الآيات ، ومنها آية التوبة التى زيدت فيها (ثم) .

٢ ــ اختلف العلماء فى وقوع الزائد فى القرآن : فقليل منهم منعه ، والكثيرون أجازوه ، قال صاحب البرهان فى علوم القرآن فى الجزء الثالث : (وقد اختلف فى وقوع الزائد فى القرآن ، فمنهم من أنكره ، قال الطرطوسى فى العمدة : زعم المبرد وثعلب ألا صلة فى القرآن (أى لا زائد) ، والدهماء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلات فى القرآن ، وقد وجد ذلك على وجه لا يسع إنكاره فذكر منه كثيرا) اهـ كلام البرهان

وفى موافقة كثرة العلماء والفقهاء والمفسرين على وجود الزائد فى القرآن إلى ما تقدم من تضعيف مذهب البصريين وغيرهم نصر لمذهب الكوفيين والأخفش ، والله أعلم .

طه الزينى
دكتوراه فى النحو والصرف

(بقية المنشور على صفة ٧١٢)

عن أحاسيسنا ، وغير ملتصقة بوجداننا ! . عليه أن يحول الدين الى شعر ، لا أن يحول الشعر الى دين .

وليس هناك من أمل سوى أن يميل هؤلاء الشعراء إلى أنفسهم ، وأن يستخرجوا ما بها من لآلئ دون خوف من « رجال الصاغة » ، وأن يدعوا القرآن ، لا لأن بعض النقاد دعا إلى إدمان قراءة الإنجيل للشعراء أخيراً ، ولكن لأنهم سيجدون ما يعمق تجربتهم بالقرآن .

وليس معنى هذا أنا نريد حبس الشعراء فى الأجواء الإسلامية ، ولكنا فقط ندعوهم إلى « زيارتها » من الحدائق التى « سرقوا » إليها ، بل إنا ندعوهم الى أن يحلقوا فى كافة الأجواء الدينية ، وألا ينسوا التحليق على ما فى أنفسهم . . وما فى أنفس قومهم . . وما فى الشرق ! !

على أن يظل الشاعر دائما متذكراً أن

تلك هى الدعوة التى ندعو إليها ، بعد أن قنا بزيارة كافة الدواوين المعاصرة ، دون أن تقع أعيننا ونفوسنا على شىء يذكر بالشرق والإسلام ، بينما تدق الأجراس ، فوق رموز الخلاص بالحب ، والخلاص بالموت ، والصلب ، والجلجثة ، والخطيئة .

فما نقوله الآن ليس وليد لحظة عاطفية ، وليس وليد لحظة تعصب لأننا ندعو إلى الانتفاع بكافة الأديان ، ولكنه وليد لحظة علمية ، تشهد عليها عملية الإنتاج الشعرى المعاصر على الصعيد العربى ، ومن هنا نرفع صوتنا إلى الشعراء ثم نقول لهم : « إلى أين ؟ »

عبده بدوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حول مقال الإسلام ومايفتي عليه

للأستاذ علي البولاق

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ « عبد الكريم الخطيب » في عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٤ من مجلة الأزهر — مقالا حاداً صارخا ، وألصق بمن يهاجمهم — وهم علماء الدين جميعاً ، ألقابا لاذعة مثل : « حملة البخور في محاريب الدين » ، والذين يعرضون الدين في كل سوق ، ويبيعونه بكل عرض ، وبأي ثمن » ، وشمت بهم حيث أفتوا بتحريم بعض الأمور ، لجرفهم تيارها ، ودخلت عليهم من كل باب ونافذة ، واستهزأ بهم حيث وصفهم بأنهم صغار النفوس ومتطفلون ، وأنهم يظنون أنفسهم شيئاً مع أنهم أهون هوانا من « تيم » ، بل استهزأ بالصدر الأول كله حيث جعلهم أقواما لاتتسع فهومهم لحقيقة الدين ، وإنما تتشكل في عقولهم أمساخ شائهة مضروبة بالجهل والهوى ، أو مدموغة بالكيد والتضليل .

وأكثر في مقاله من كلمات — العقل — الإرادة — عقل الإنسان العاقل — إرادة الإنسان المريد — التفكير — الشخصية — الإنسانية — الضمير ، في عبارات تتزاحم لتزف إلى القراء فكرة زائفة بهيجة المظهر رديئة المخبر من « واردات أوربا » ، تلقفها مستغربون من مستشرقين وروجها مبشرون استعماريون في ظل ما روجوه باسم « الأحرار المفكرين » .

ويصوغ الأستاذ كاتب المقال هذه الفكرة في أساليب شتى ، خلاصتها : أن شئون الحياة وحوادثها يجب أن تترك لعقول الناس وإراداتهم إذ لاعلاقة للدين بها ، فلا يفتي الدين فيها أحداً ، وقد مثل لهذه الشئون بالسفور والسينما والتصوير والنحت والتمثيل وألوان الطعام والشراب وأدواتهما والزي وأشكاله .

وهذه دعوى خطيرة لو سلمت له لكان معناها قصر الدين على العقائد والعبادات والأخلاق وبعض المناهي لأن ما عدا هذه الأمور يمكن اعتبارها من شئون الحياة وعلى هذا تلغى من الفقه الإسلامي أبواب المعاملات والأطعمة والأشربة والألبسة والأحوال الشخصية وغيرها ، وتلغى من السنة النبوية جميع الأحاديث التي تتناول بالتفصيل أحكام هذه الأبواب ونحوها ، بل تلغى من القرآن نفسه أحكاما كثيرة كتحريم الربا ، وإيجاب ضرب المرأة الخمار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على جميعها ، وتحريم الخنزير وما أهل لغير الله به ونحو ذلك من شئون الحياة التي يشير إليها الكاتب ، ويرى أن تترك للعقول تخطىء تارة وتصيب أخرى ، وألا يزج بالدين فيها ؛ لئلا يخرج منهزما في صراعه معها ، ولاشك أن هذه الفكرة يفرح بها أولئك الذين استبدلوا بالقوانين الشرعية القوانين الوضعية المجتلبة من دول الغرب ، ولو خالفت نصوص كتاب الله وسنة رسوله .

وكأن الأستاذ يريد بهذه الفكرة أن يسلب من الإسلام ميزته الكبرى ، وهي أنه دين جمع بين شئون الدنيا والآخرة ؛ فكان قانوناً شاملا واسعاً صالحاً لكل زمان ومكان مما جعل بعض علماء القانون من غير المسلمين ومن غير العرب يشيد بما للشريعة الإسلامية من تفوق على القوانين الأوربية .

يقول الدكتور « أنريكو أفسياتوا » في كتابه « الإسلام وسياسة الخلفاء » صـ ٩٤٦ : إن الإسلام إذا كان محدوداً غير متغير في شكله فإنه مع ذلك يساير ما تقتضيه الظروف ، فهو يستطيع أن يتطور دون أن يتضاءل مع مرور القرون ويحتفظ بكامل حيويته ومرونته ولا يجوز أن تهدم يد الخلافة هذا الصرح العظيم من العلوم الإسلامية ، أو أن تغفله ، أو أن تمسه بسوء ؛ فقد أوجد العالم أرسخ الشرائع ثباتا : الشريعة الإسلامية ، وهي تفوق في كثير من التفاصيل الشرائع الأوربية .

ويقول الأستاذ « بيولا كازيلي » في مجلة « مصر العصرية » السنة الثانية عشرة صـ ١٩٥ : « إنه يجب على مصر أن تستمد قانونها من الشريعة الإسلامية ، وهي أكثر اتفاقا من غيرها مع روح البلاد القانونية » .

ولعل كثيراً من القراء على ذكر من أن المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي عقد بمدينة لاهاي في أغسطس ١٩٣٧ م قرر أن الشريعة الإسلامية لها ذاتيتها ، ولا تمت إلى القانون الروماني بصلة ، ولا إلى أية شريعة أخرى ، وأن المؤتمر يعتبرها مصدراً رابعاً للقانون المقارن (ومعلوم أن القوانين الثلاثة التي اعتبرت مصادر من قبل هي القوانين الفرنسية والألمانية والانجليزية) .

دعامات الفكرة ومناقشتها :

دعم الأستاذ فكرته بدعامات واهية لاتغني من الحق شيئا ، بيد أنه صاغها في عبارات فضفاضة تحتوي على تكرار كثير ، ولهذا أكتفي بتلخيص بعض منها مع مناقشته فيما يلي :

١ — أن القضايا التي تتحكك بالدين كثيراً ما تؤدي إلى نفرة الناس لأن النفس البشرية بطبيعتها تنفر من كل ما يلقاها على غير الوجه الذي ترقبه منه (ص ٢٨٠) .

وهذه الدعامة أو هي من خيط العنكبوت فإن نفور الناس من أمر يخالف عاداتهم الجارية أو لا يتفق مع أهوائهم وشهواتهم لا يدل على بطلان ذلك الأمر الذي نفروا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منه ، ولقد لقى الرسل الكرام من أقوامهم إنكاراً واستهزاءً وسخرية ، فهل منعهم ذلك أن يصدعوا بقولة الحق ؟!

٢ ــ أن تحكيم الدين فى شئون الحياة كلها يؤدى إلى ضمور الشخصية ، واغتيال ذاتية الإنسان وقتل المعالم الأصيلة فيه (ص٢٨٢).

وهذه الدعامة من نسج الخيال فإن شئون الحياة كما تستفتى جميع أرباب العلوم الطبيعية والطبية والزراعية والصناعية وغيرها ، كلا فيما يختص به ، كذلك تستفتى علماء الدين فيما يختصون به كالحل والحرمة وموافقة النصوص الشرعية ومخالفتها ، وهذا يؤدى إلى اتساع أفق الإنسان ، ودعم حياته المادية بحياته الروحية ، فلو صح ما يقوله الأستاذ لوجب إغلاق جميع المدارس والجامعات ، وأن يترك الناشئة ليصلوا بتجاربهم لى ما وصل إليه الأولون حتى لا تضمر شخصيتهم وهذا خطأ شنيع بلا ريب .

٣ ــ أنه كما يقال: «القانون للإنسان وليس الإنسان للقانون» . وكما يقول السيد المسيح عليه السلام «إنما السبت للإنسان وليس الإنسان للسبت» ، كذلك يصح بل يجب أن يقال : «إن الدين للإنسان وليس الإنسان للدين» فما الدين إلا قانون سماوى (ص٢٨٢).

وهذه الدعامة من أوهى الدعامات فأهل القانون أنفسهم يحتكمون إلى نصوصه التى لا يجدون محيصاً عن تنفيذها بعلمهم أنها تخالف المصلحة أو العدالة فى بعض الظروف.

وقول السيد المسيح: «إنما السبت للإنسان وليس الإنسان للسبت» إن صح أن يشار منه إلى نسخ السبت ، وبيان انتهاء حكمه ، فقد كان السبت مقدسا ، ويحرم فيه الصيد ونحوه فلما بعث المسيح عليه السلام ، وقام بمعالجة المرضى يوم السبت أنكروا عليه ، فأشار بكلمته إلى أن هذا التقديس قد انتهى ، وأصبح السبت يوما عاديا كسائر الأيام ، فهو لا حرج للإنسان يقوم فيه بما شاء من المصالح ، وليس الإنسان له ، فلا يمتنع فيه من القيام بما يأمر به أو يريد .

فمن العجب أن يؤخذ من هذين القولين أن الدين للإنسان ، وليس الإنسان للدين ، وقد جاء فى كلام الكاتب ما يستفاد منه المراد من الشطر الثانى من هذه القولة وهو الايتمار الناس سلطان الدين يملك وجودهم ، ويشل إرادتهم (ص ٢٨١) ، ومعلوم أن الدين ليست له هذه الصفة ، فالإنسان مأمور بأن يتقى الله ما استطاع ، ولا يتوقف عن امتثال الأوامر ولو لم يعلم الحكمة فى بعضها ــ مادام مستطيعا ــ فإن التكليف قد يكون للابتلاء ، ولو أخذ برأى الكاتب لساغ للناس أن يمتنعوا عن التيمم بالصعيد استقذارا له ، إلى غير ذلك مما لا يدرى كثير منهم حكمة مشروعيته ، وقد قال تعالى:

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً » (الأحزاب / ٣٦) .

٤ ـ أن المسلم مطالب حين ينزل على أمر النبي أن يصحب معه عقله وإرادته ليكون تسليمه بما سلم به مفهوم عنده وأثر عامل في كيانه ليقوم لهذا الأمر بما ينبغي له من إحتفاء ووفاء ، وموقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ في صلح الحديبية ـ يشهد لذلك (٢٨٣) .

وهذه مغالطة ، فالمسلم مطالب بأن يصحب معه إعقله ؛ ليفهم ما كلف به وليمتثله بقدر ما يستطيع ، لا ليفرق بين ما هو من شأن الآخرة ، فيمتثل فيه الأوامر ، وما هو من شأن الدنيا فيرده ويزعم أن عقله كفيل بمعرفة ما هو أصلح له ، فالتفرقة تخالف صريح القرآن كما في الآية السابقة .

واستشهاده بموقف عمر ـ رضي الله عنه ـ في صلح الحديبية مردود ، فإن من يتتبع القصة يعلم أن عمر رضي الله عنه لم يخالف في أمر ولا نهي ؛ بل حينما سأل عن الحكمة في قبول الشروط الشديدة أخبر بأن هذا أمر من الله فسلم تسليما .

وعلى الرغم من ذلك فإنه رضي الله عنه رأى أن ما صنعه في هذا اليوم كان من العظائم ولهذا قال : مازلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون هذا خيرا » (السيرة الحلبية ج ٣/٢٧) فهل يقتدي بعمر في أمر استغفر الله منه ، وقام بأداء طاعات كثيرة رجاء تكفيره ؟ ولم لا يقتدي بأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في موقفه من هذا الصلح مع أن عمر نفسه قال : « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر » .

بقي أن يقال له : ما معنى اصطحاب الإنسان إرادته ؟ إن الكاتب يقصد بهذه الكلمة ـ كما يتبين من سياق المقال ـ أن يكون حرا مختارا راضيا ، وهذا ينافي الآية التي ذكرناها والتي تنفي الخيرة ، ويخالف أيضا لسيرة الأنبياء والصديقين وجميع الصالحين .

فهذا سيدنا إسماعيل يقول لأبيه إبراهيم عليهما السلام « يا أبت افعل ما تؤمر » حين قال « إني أرى في المنام أني أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ » فلم ير إسماعيل لنفسه خيرة في هذا الأمر وبادر بامتثاله وصبر على هذا الابتلاء العظيم . وقد نعى الله على من لم يبادر بامتثال الأوامر الإلهية ، ولو كانت شاقة على النفس مكروهة لها قال تعالى : ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا » . فما موقف الكاتب إذا أمره الدين بقتل نفسه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو الاستسلام لمن يقتله ؟ أيصطحب معه أرادته فيقول : « سمعنا وعصينا » ، أم يصبر ويقول : « سمعنا وأطعنا » ؟

٥ - أن الدين - والإسلام خاصة - خلى بين الناس ، وبين الحياة يعالجون شئونها بما عندهم من ذكاء واستعداد ، وليس للدين فى هذا المجال إلا قولة واحدة : هى أن يتحرك نشاط الناس فى غير بغى ولا عدوان ، وعن هذا الإيمان بحق الإنسان فى الانتفاع الكامل بعقله وخبراته وتجاربه كان قول الرسول الكريم لصحابته من أهل المدينة : « أنتم أعلم بشئون دنياكم » ، وكان صلوات الله وسلامه عليه قد أشار عليهم بتأبير النخل على صورة رآها ، فامتثلوا أمره فيه ، وكان ذلك جاريا على غير عادتهم ، وكانت نتيجة هذا أن جاء الثمر دون ما اعتادوا وفرة وجودة (ص ٢٨٥) .

ويقال : إن سلمنا أن دينا من الأديان السابقة خلى بين الناس وشئون الحياة ، فلن نسلم أن الإسلام خلى بينهم وبينها فإن الإسلام تحدث عنها جميعا ، وجاء فى القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، نصوص فى البيع والإجارة وسائر المعاملات ، والأكل والشرب والنكاح والطلاق ، والجنايات إلى غير ذلك ، مما جعل أحد اليهود يتعجب ويقول لأحد الصحابة ما معناه : « إن نبيكم يعلمكم كل شىء حتى الجلوس لقضاء الحاجة » .

وما قاله من : إنه ليس للدين فى هذا المجال إلا قولة واحدة ، هى أن يتحرك نشاط الناس فى غير بغى ولا عدوان : « هو إنكار صارخ لصرائح الكتاب والسنة الناطقة بالتفصيلات العديدة فى أكثر شئون الحياة » .

واستدلاله على دعواه بحديث النخل مغالطة صريحة ، ولفظ الحديث هكذا (أنتم أعلم بأمر دنياكم) وليس فيه « بشئون دنياكم » كما فى المقال ولا « بأمور دنياكم » كما فى كتاب « الإسلام وأصول الحكم » وليس بصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم أشار بتأبير النخل على صورة رآها كما زعم الأستاذ ، وليس بصحيح أيضا أنهم امتثلوا أمره ، فليس فى الحديث أمر ولا نهى ، وكل ما فيه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ما أظن يغنى ذلك شيئا » ، يعنى أنه حينما مر على قوم يؤبرون النخل بنقل طلع الذكر للأنثى ولم يكن يعلم ذلك من قبل ، قال لهم : ما أظن أن ذلك التأبير يزيد فى جودة الثمرة ، فهذا من النبى إخبار عما جال بخاطره فى شأن من شئون الحياة ، وقد صرح فيه بالظن الذى يدل على أنه ليس وحيا ، وليس فيه أمر ولا نهى ولا مشورة ، غير أن القوم حينما سمعوا هذه القولة تركوا التأبير ، فكانت النتيجة أن جاء النخل بثمر ردىء ، وليس هذا امتثالا لأمر ولا اتباعا لمشورة ، والذى يظهر أنهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لم يجربوا ترك التأبير من قبل ؛ فخطر ببالهم أن يجربوه حينما سمعوا هذا القول من الرسول صلى الله عليه وسلم، فربما صادف ظنه الواقع ، فلما جاء الثمر رديئا علموا أن الظن لم يوافق الواقع ، واستفادوا بهذا فائدتين :

الأولى : أنهم علموا بالتجربة شيئا لم يكونوا علموا به من قبل ، والتجربة أصل جميع الاختراعات والاستكشافات .

الثانية : أنهم علموا أن ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الظن ، لا يلزم أن يتفق مع الواقع ؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به ؛ فإني لن أكذب على الله عز وجل » (انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ / ١١٦) .

وهذا يرشدنا إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قال في شئون الحياة قولا عن الوحي وجب الأخذ به خلافا لما قرره وكرره كاتب المقال من أن الإسلام خلى بين الناس والحياة يعالجون شئونها .

على أن قوله صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بأمر دنياكم » يفيد صراحة أن المقصود بأمر الدنيا الأمر الذي تعلق به العلم . وهو الجزم المطابق للواقع عن دليل ، وبيان هذا أن أمر الدنيا الذي ورد عليه الحديث هو كون التأبير سببا لجودة الثمر ، وهذه السببية متيقنة معلومة بجزوم بها مطابقة للوقع مأخوذة عن دليل وهو المشاهدة والتكرار فعلا وتركا فإن سلمنا أن شأن الدنيا الذي علم عن دليل لا يتدخل فيه الدين فكيف نسلم أن الدين لا يتدخل في شئون الدنيا التقليدية التي لم يدل عليها تكرار ، ولا مشاهدة ولا برهان كالأمثلة التي هي منشأ ثوره الكاتب على علماء الدين وهي السفور وما جاء عن الغرب من السينما والراديو والتمثيل والنحت والتصوير وغيرها ؟ فهذه الأمور إذا أريد التعبير عنها فإنما يعبر بمفردات هي موضوعات صالحة للحكم عليها ؛ بأنها محرمة أو غير محرمة ولا مناص من أحد هذين الحكمين ، وكلاهما من الدين ، فإن العقل لا يمكنه أن يهتدي إلى أن هذا الأمر محرم يستحق فاعله العقاب من الله تعالى ، أو غير محرم فلا يستحق ذلك .

هذا وقد ساق الكاتب حديث « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه » ولم يرد بهذا اللفظ في كتاب من كتب الأحاديث وصحته « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه » (أخرجه ابن ماجة عن ابن عباس . برفعه ، وكذا ابن حبان وصححه والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين)

وقال الأستاذ في تعليقه على الحديث : « فما أسقط الإسلام هذه الأعمال والأقوال التي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تقع عن خطأ أو سهو أو إكراه ، وما أهدر آثارها ؛ إلا لأنها وقعت على غير إرادة الإنسان، أو لأنها جاءت بعيدة عن مشيئته ، وعلى غير تقديره وتفكيره (ص٢٨٣) ويقال له : إن الإسلام إنما أسقط المؤاخذة في الآخرة على هذه الأعمال، ولم يهدر آثارها كما يزعم ويكفي أن نشير إلى الآية الكريمة « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة » .. الآية .

• • •

وبعد ، ففي المقال خلط بين الأحوال وخلط بين المفاهيم ، وتناقض واعتراف بديانات غير سماوية ، واعتراف بأن لها رسلا ، وفيه كذلك إباحة للردة ، وإنكار الدين لمن يطلع على اختلاف المفتين فيقول : أي دين هذا الذي يأتي بالمتناقضات ؟ وفيه أيضا قول غير لائق في حق الأنبياء عليهم السلام حيث قرر أن الإنسان ليس له أن ينزل عن عقله وإرادته ولا لنبي ، وفي هذا تجريد للنبي عن العصمة وتحريض لاتباعه على العصيان ، إلى غير ذلك من الهنات التي لو ذهبت أتتبعها وأتعقبها بالمناقشة لما كفت فيها مقالة ولا مقالتان .

لهذا أدعها لفطنة القارىء الكريم بعد أن كشفت له عن فكرة الكاتب الأساسية التي سبقه إليها مؤلف كتاب « الإسلام وأصول الحكم » منذ تسعة وثلاثين عاما وليس من العسير على من يتتبع الأحداث التاريخية أن يعلم أنها مستقاة من الخصومات الحادة التي كانت بين الكنيسة وأعدائها في القرون الوسطى ، والتي انتهت بردتهم وفصلهم العلم عن الدين ، فإن من الحجج التي تذرعوا بها أن رجال الكنيسة تدخلوا باسم الدين في شئون الدنيا مع أن المسيح عليه السلام لم يجىء لعمارتها ولا للبحث في شئونها بل قال كما نقل عنه : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » فمن العجب أن تنقل هذه الفكرة من المسيحية إلى الإسلام الذي يمتاز بأنه دين شريعة عامة شاملة لأمور الدنيا والآخرة .

وقد ختم الكاتب مقاله بقوله « وإن يكن منكم في هذا المقام خير تقدمونه لهم فهو الصمت ، والصمت الطويل » وكان أولى به أن ينصح نفسه أولا بهذه النصيحة فلا يستهزىء بخيار الأمة من أجل فكرة تخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين وما هو معلوم من الدين الإسلامي بالضرورة فليستغفر الله وليتذكر قوله تعالى: « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

وأختم مقالي هذا بقوله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » رواه الشيخان .

علي حسن الخربوطلي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التراث الإسلامي والحضارة الأوروبية

للدكتور محمد مختار القاضي

دعانى إلى كتابة هذا المقال الموجز أمر أرانى دائم التفكير فيه لأنه موجب للحيرة البالغة ، والجواب عنه قد يفتح باب العلاج ، ولاشك فإن الأمر الذى أنا بصدده يحمل علة ليس من السهل الكشف عنها ، وبالتالى ليس من السهل برؤها ، فهل أنا مستطيع فى هذه العجالة أن أكشف عن هذه العلة وأصف لها علاجا مناسبا ؟ أنا أدعى ذلك ، ولكنى لا أستطيع أن أظفر بما يهبه الإجماع على صحة هذه الدعوى .

أما هذا الأمر أو هذه العلة فهو ذلك التناقض الوضح بين تلك العظمة الخالدة والمجد الشامخ الذى جاء به الإسلام للعالم فى العصور الوسطى وبين ما آل إليه حال المسلمين فى العصر الحديث . فالعالم الغربى لا ينظر إلى المسلمين نظرة كريمة ، ولا يرى فى بلاد المسلمين إلا أنها مزارع وحقول تمده بالطعام والشراب والمواد الأولية اللازمة للصناعة . وهو لا يريدها مجانا أو على الأقل بثمن بخس يغبن فيه أصحابها غبنا فاحشا ، وإذا كان المسلمون سادة هذا العالم فى العصور الوسطى .

وكان الدين الإسلامى هو الدين الأوحد الذى لم يداخله الزيف والدين الكامل الذى شرع لكل أمور الدنيا ، ولزم القصد بين الشدة واللين ، وحض على الأخذ بأساليب العلم ، وصنوف المعرفة ، إذا كانت هذه صفات الدين الإسلامى فالمنطق يقضى بوجوب ارتفاع شأن المسلمين فى كافة العصور ، ولكن الذى نراه أن المسلمين تخلفوا عن ركب الحضارة ، فهل هذا صحيح حقا ؟ ، وما هى أسبابه وما هى طرق علاجه ؟ : هذا ما أديم التفكير فيه ، وأنا الآن أفضى لك بما وصلت إليه بعد طول التفكير والتأمل .

لقد انتهيت وأنا أحلل عناصر الحضارة الإسلامية التى بلغت الذروة فى العصور الوسطى إلى أن هذه الحضارة كانت تقوم على نوعين من العلوم : أولهما العلوم الطبيعية ، ويدخل فيها الكيمياء والطبيعة والهندسة والطب ، والثانى علوم اجتماعية كعلم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأخلاق والشريعة والأخلاق والاقتصاد السياسى .

وقد برز المسلمون فى العصور الوسطى فى كافة هذه العلوم بنوعيها. فأما العلوم الطبيعية فقد كان مركز الإشعاع الإسلامى لها فى الأندلس وبخاصة فى مدينة طليطلة حيث كان يهبط إليها المترجمون من كافة أنحاء أوروبا وقد أصبحت هذه المدينة بعد أن استولى عليها ألفونسو السادس عام ١٠٨٥ المركز الذى انتشرت منه الثقافة العربية إلى نواحى أسبانيا وأوروبا . وخلال حكم ألفونسو السابع (١١٢٦ - ١١٥٧) لجأ إليها نفر من اليهود ناجين بأنفسهم من اضطهاد أول خلفاء الموحدين لهم ، عبد المؤمن بن على ، وتولى زعامة التراجمة الأسقف (رايموندو) وشهر منهم (دومينيكوس جوند يسالفى) و(جوندا ليز) و(يوحنا بن داود الأسبانى)، وكان يهوديا ثم تنصر ، (وابن جبرول) ، و (جيراردو القرمونى) و (ميكل سكوت) الإنجليزى ، و(أندويا) اليهودى و(هرمان) الألمانى وغيرهم . وكان المترجمون من اليهود ، ومعظمهم من الأندلس يقومون بترجمة الآثار الإسلامية إلى العبرية ثم ينقل غيرهم النص العربى إلى لغته الأصليه ، ذلك بأن هؤلاء اليهود بحكم إقامتهم فى الأندلس كانوا يجيدون اللغة العربية إلى جانب العبرية وكان فى أوربا كثيرون يجيدون العبرية إجاده تامة .

لقد هرع إلى مدينة طليطلة هؤلاء المترجمون من الإنجليز والألمان والطليان والفرنسيين واليهود لينقلوا إلى بلادهم كنوز المسلمين فى الهندسة والطبيعة والفلسفة والطب وفى التاريخ الطبيعى . وكذلك فعل هؤلاء الغربيون فى جزيرة صقلية التى كانت تزهو بالعلوم الإسلامية الرفيعة . وما أن تسلم الغربيون هذا التراث الإسلامى المجيد حتى أخذوا يعملون فيه عقولهم ويطورونه تطويرا سريعاً ، وقد ساعدهم على ذلك ما كانوا يرونه أو يسمعون به من آثار المدينة الإسلامية فى كل البلاد التى فتحها المسلمون ، وكذلك انتشار المسلمين فى كافة بقاع الأرض سواء فى الصين والهند أم فى روسيا وإيطاليا وفرنسا وأسبانيا وجزر البحر الأبيض المتوسط ، فقد كانت أضواء المدينة الإسلامية تبهر الناظرين ، وكانت شهرتها تقرع أسماع هؤلاء الأوروبيين الذين تمنوا أن يكونوا فى مستوى المسلمين ، ولكن مفتاح الحضارة لم يكن بأيديهم حتى استله الأسبان من أمراء الأندلس المسلمين وطوفوا به فى أنحاء أوربا .

هذا ما فعله الأوروبيون بالعلوم الطبيعية حيث هذبوها وتقدموا بها حتى دانت لهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأرض ، وظنوا أنهم قادرون عليها ، ثم بدأوا يغزون السماء ، وظنوا أيضا أنهم قادرون عليها وقد أطمعهم فى ذلك أنهم أنطقوا الحديد وقتلوا الصور والنغم عبر البحار وأخضعوا الذرة والكهرباء ، وبالجملة تقدموا بالعلوم الطبيعية التى تلقوها عن الأساتذة المسلمين ، ثم زادوا عليها وتصرفوا فى فنونها .

ولكن التعصب الدينى حال بين الأوربيين وبين العلوم الاجتماعية الإسلامية حيلولة تامة فى بعض الأحوال ، وتكاد تكون كذلك فى بعض الأحوال ، الأخرى فالمبادىء الخلقية التى جاء بها الإسلام لم يأخذوا شيئاً منها وأخذتهم العزة بالإثم ، ذلك بأن الأخلاق مرتبطة عند المسلمين بالدين ، عكس العلوم الطبيعية ، لا يرتبط بحثها بالدين .

وكذلك لم يأخذوا بالعلوم الشرعية الأخرى كنظام المعاملات والزواج والطلاق والحدود وغيرها فلقد عز على هؤلاء المسيحيين أن يأخذوا شيئا من غير رؤسائهم الدينيين ، وكيف يأخذون بتعاليم الإسلام فى الأخلاق والقانون والعلوم الاجتماعية الأخرى وهم لا يزالون مذكرون تلك الهزائم التى نزلت بملوكهم فى الحروب الصليبية على يد الأمراء المسلمين ، لا بأس إذن بأن يفيدوا من العلوم الطبيعية الحرة وينبذوا فى نفس الوقت العلوم المنبثقة من القرآن والسنة ، وكيف يفعلون ذلك ولو فعلوه لاعتبروا مسلمين من حيث لا يشعرون ؟ ! .

ولقد صادف عهد النهضة الأوربية انحلالا خلقيا متعدد الجوانب ، والأسباب فى البلاد الأوربية التى تدين بتعاليم المسيحية ، وإذا كان الدين المسيحى الأصيل الذى جاء به عيسى عليه السلام دينا قويما يستند إلى مبادىء عتيدة ، إلا أن البابوات ظلوا يتسلطون على رعاياهم باسم السماء ، ويحكمون الناس بأحط أنواع الغرائز البشرية طوال العصور الوسطى فهم الذين كانوا يبيعون صكوك الغفران لعباد الله ، وهم الذين كانوا يجردون سيف الحرمان على هؤلاء المستضعفين فى الأرض فلا يدخل المحروم منهم أرض الجنة ، ولا يعرف ريحها ، وهم الذين جعلوا من أنفسهم طبقة ممتازة تعلو على طبقة المساكين ، وإن لم تتعال عن استغلالهم .

وإذا كانت هذه المعتقدات الزائفة قد ذهبت بكثير من غياهبها شمس الحرية الإسلامية التى انبثقت من الأندلس وغير الأندلس ، فأن كثيرا من المبادىء اللاخلقية بقيت ، بل وازدادت شدة . لقد قام مارتن لوثر بتحرير المعتقدات الدينية من صكوك الغفران ، وقرارات الحرمان متأثراً بالحرية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلامية التى نشرت فى سماء أوربا ، فإن (ماكيافلى) ضرب فى كتابه الأمير أسوأ مثل للأخلاق الإنسانية وخاصة فى العلاقات الدولية .

ولقد زاد الطين بلة أن الأوربيين فى سبيل الوصول إلى التقدم العلمى لم يبالوا بالتضحية بأى مبدأ من المبادىء الخلقية فى سبيل هذا التقدم فجندوا نساءهم مع رجالهم ، وأصبح الزوج عندهم مجرد وسيلة لإنجاب الأطفال وقد أدى ذلك إلى انحلال الأسرة انحلالا غريباً ، وإذا كانت مظاهر هذا الانحلال لا تظهر لكثير من الناس فذلك لسببين :

الأول : انتشار التعليم عندهم ، فإن التعليم يخفف من مضاعفات الأمراض الاجتماعية .

والثانى الثروة التى هبطت على الأوربيين من إفريقيا وآسيا وأمريكا . ومع ذلك فإن الحروب المتكررة التى مرت بها أوربا كحرب الثلاثين ، وحرب السبعين والحرب العالمية الأولى والثانية ، كل أولئك يدل على أن المكيافيلية تغلغلت فى الأخلاق الأوربية تغلغلا ينذر العالم بفناء قريب ، وبعد أن كانت العلوم الطبيعية بعيدة التأثر والتأثير على الأخلاق أصبحت هذه العلوم وسيلة من وسائل إنسان الأخلاق .

هذه هى حال الأوربيين قريبا من نهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث ، وأنا لا أتطوع بهذا الاستنتاج ولكنه يشهد عليه شيخ أدباء فرنسا فى القرن الثامن عشر وهو جان جاك روسو ، كتب هذا السياسى الأديب بحثين : أولهما عام ١٧٥٠ تحت عنوان « هل أدى تقدم العلوم والفنون إلى تقويم الأخلاق ؟ » ، والثانى عام ١٧٥٤ وعنوانه : « الأسس التى يقوم عليها عدم المساواة بين الناس » ، وقد قدم هذين البحثين إلى جامعة ديجون وانتهى فيهما إلى النتيجة الآتية ، وهى أنه على الرغم من تقدم العلوم والفنون ازدادت الأخلاق فساداً ، أما حال المسلمين فقد كانت عجبا ، فعند ما سلموا مخلفاتهم للغرب كانت حالتهم السياسية قد تدهورت تدهوراً ملحوظا ، وسقط آخر معاقلهم فى الأندلس فى نهاية القرن الخامس عشر .

وإذا كان المسلمون قد بقوا فى الأندلس بعد سقوط دولتهم طوال القرن السادس عشر ، فإن بقاءهم فيها كان محل اضطهاد من المسيحيين مثله تماما مثل الاضطهاد الذى يعانيه العرب الذين بقوا فى إسرائيل بعد استيلاء اليهود فى عصرنا هذا ، ولم يأت أول القرن السابع عشر حتى طرد المسلمون من الأندلس بطريقة لا يقرها دين سماوى ، ولا وثنى ، فأغرق منهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يربو على نصف مليون بين رجل وامرأة وطفل، وأحرقت المراكب التي كانت تقلهم إلى شمال إفريقيا. ومع أن الأتراك كانوا قد غزوا أوروبا من الشرق وفتحوا القسطنطينية عام ١٤٥٣ ثم توسعوا في بداية القرن السادس عشر فأخضعوا المجر، ووصلوا إلى فيينا، وغزوا إفريقيا من الغرب واستولوا على الجزائر منذ القرن الخامس عشر، وتونس في القرن السادس عشر، وكان في مكنتهم أن يمدوا يد المساعدة إلى الدويلات الإسلامية المتحضرة في الأندلس ويردوا للمسلمين كرامتهم إلا أنهم لم يفعلوا ذلك، ولم يتقدموا لنصرة إخوانهم المسلمين الذين اضطهدوا في الأندلس بعد سقوطها في يد ملوك الأسبان، ولو فعل الأتراك ذلك لتغير وجه التاريخ.

ومن الغريب أن أول العناصر التي بدأت في هـ.م وحدة الأمة الإسلامية أيام الدولة العباسية كان عنصر الترك والشراكسة. وكان عملهم في هذا إيجابياً نشيطاً فلما احتيج إلى نشاطهم في محنة الأندلس اتخذوا لأنفسهم موقفاً سلبياً خاملاً. ولقد سادف الانحطاط السياسي للدولة الإسلامية نفس الحقبة التي بدأت أوروبا ترفع فيها رأسها. ولكن هذا الانحطاط السياسي لم يذهب بالتراث الإسلامي المكتسب فقد حافظوا عليه وعلى غيره من مخلفات الإسلام باعتبار هذه العلوم وحدة لا تنقسم، وأخذ علماء المسلمين، وخاصة في الجامع الأزهر يدرسون فلسفة ابن رشد إلى جانب علم التوحيد، وفقه القرآن، والسنة، ومنطق رفوفوريوس في كتابه إيساغوجي، وما عليه من تعليقات المناطقة المسلمين، إلى جانب السير والمغازي، وكذلك الفلك وغيره من العلوم الطبيعية.

ظل المسلمون محافظين على تراثهم العلمي ولكن مستوى هذا التراث لم يتقدم، لأن الأتراك الذين تسلطوا على العالم الإسلامي لم يشاركوا ذلك بسبب عدم ميلهم الطبيعي للعلوم الطبيعية. ويكفيك دليلاً، أنه فيما عدا الفارابي الذي يقال: إنه من أصل تركي لم ينضف الأتراك سطراً واحداً في الحضارة الإسلامية. ومع ذلك فإن إخلاص الأتراك لدينهم الإسلامي كان سبباً من الأسباب التي حفظت العلوم الدينية الإسلامية على ما هي عليه إلى أوائل القرن العشرين.

غزا الأتراك أوربا وبقوا فيها خمسة قرون وفي القرن التاسع عشر بدأ الأوربيون يؤثرون الدويلات الإسلامية على تركيا شيئاً فشيئاً كما فعلوا في شمال أفريقيا.

ولم ينتصف القرن العشرون حتى صارت الإمبراطورية التركية وما تضم من ولايات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ملكا لانجلترا وفرنسا وروسيا وإيطاليا والبرتغال وغيرها من دول أوربا .

هنا أبصر المسلمون أضواء أوربا تسطع فى أراضيهم فأعجبوا بها كما أعجب الأوربيون أنفسهم بأضواء المدنية الإسلامية إبان الحروب الصليبية .

وإذن فقد رأوا التاريخ يعيد نفسه ، كما يقول أرسطو ، غير أن هنالك فارقا واحدا ، وإن كان جوهريا فالأوربيون عندما أخذوا مدنية الإسلام فى العلوم الطبيعية رفضوا أن يأخذوا مبادىء الأخلاق الإسلامية لاعتقادهم أنها تعاليم بنيت على القرآن ، وهم لا يدينون به ، والحديث وهم من منكريه .

أما نحن فلم نكن كذلك ، لقد قلدناهم تقليد الأعمى فى كل مناحى حياتهم ، لقد أخذنا عنهم ما أضافوه إلى تراثنا فى العلوم الطبيعية ، وأخذنا كذلك عاداتهم السيئة التى لا تتفق وتعاليم الإسلام ، بل ولا تعاليم المسيحية الأصلية ، لقد أخذنا عنهم الراديو والتليفون والتلفزيون والقطار والطائرة وهى من وسائل المدنية حقا لأنها تيسر على الإنسان مشقة حياته فى حله وترحاله ، ولكننا أخذنا كذلك الرقص والخمر والميسر وأخذنا ما أعتقد أنه سبب من أسباب النقمة الإلهية علينا ألا وهو الشريعة الوضعية الأوربية ، وهم الذين رفضوا شريعتنا وهى شريعة الله التى لم يدخلها زيف ، ولا شبهة ولا تحريف ، فهذا نابليون بونابرت الذى انتهك حرمة هذه الدولة الإسلامية ومسجدها العظيم « الأزهر » والذى أخرج من مصر هو وجنوده وحلفاؤه مذمومين مدحورين ، نابليون هذا لايحكم مصر ويحكم طائفة أخرى من الدول العربية ، يحكمهم الى يومنا هذا بقانون وهو قانون على ما أعرف غير صالح حتى فى فرنسا ذاتها ، لأنه كان سببا فى انحلالها من الناحية الاجتماعية ، فهل لنا من رجعة لاستخلاص مدنيتنا الخالصة من الشوائب التى ألصقت بها فى عهود الاستعمار البغيضة ، لقد كنا فى الماضى مضطرين إلى السكوت وخفض الرأس أمام عواصف أوربا ، أما الآن فلم يعد لنا عذر بعد طرد المستعمرين وأخذهم بالنواصى والإقدام ، وبعد أن أخذت القومية العربية تبرز من جديد ولكن هذه القومية لن تصفو من شوائبها إلا إذا خلصت من سموم المدنية الأوربية ، فإن لم نفعل ظللنا فى نظر الغرب مقلدين وظلوا أمة ينظرون إلينا نظرة غير جديرة بالاحترام ، فهل نحن فاعلون ؟ أرجو أن يكون ذلك وإن كان الأمل لا يزال بعيدا ؟

دكتور محمد مختار القاضى
دكتوراه فى الحقوق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإقليمية في الأدب

للأستاذ محمد كامل الفقي

نعني بإقليمية الأدب أن يتم الأدب في إقليم ما ، عن طابع خاص به ، وسمة مميزة له ، وخصائص تفرده عما سواه ... من حيث لفظه ومعناه ، وأسلوبه وخياله ، ووجهة الأديب الخاضعة لأحوال في الإقليم وملابسات تهيأت له دون غيره ، من ظروف الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ومن بسط كف الحاكم حينا ، أو جمهورها وشحها حينا آخر .

وليس من شك في أن الأديب مرآة أهله واللسان المعبر عن حس قومه وشعورهم ، والشاعر بوجه أخص هو المترجم الدقيق لعواطف الناس وأحلامهم ، المستيقظ دائما لما يجري في نطاق أمته ، المستبطن كثيراً من وغائهم ونوازعهم ، الذي يشرح فيما يشبه الإلهام ، ماخفي من المعاني ، ومادق من الأفهام.

ولأمر ما جعلوا لكل شاعر شيطانا أو فرضوه ، فهو يوسوس إليه من خفاياه ، ويتدسس إليه بسره ونجواه . فإذا هو مخصوص بفرط من العلم ، ومزيد من الحس ، وفيض من الصور البديعة . لا يدركها إلا الأذكياء والبصراء بأحوال الأمم ، العلماء بما يبنى على المقدمات من نتائج ، وبما تستهدفه كل خاطرة فردية أو جماعية من معاني الخير والشر جميعاً .

والذين يعيشون في جو الأدب ، ويتابعون أحوال الأمم المنطبعة في نفوس الأدباء المكابدين لأحوال الشعوب وقضاياها السياسية وما ترسمه في ضمائرهم ، يعرفون حق المعرفة أن الأدباء يحيون في هذه البيئات منفعلين بها . متأثرين بشتى ظروفها . تنم آثارهم الأدبية في كلامهم المنثور أو المنظوم عن حياة هذه الشعوب واضحة ناطقة ، حتى ليخيل إليك وأنت تقرأ لهؤلاء الأدباء ، أنك لا تسمع الحوادث بل تبصرها ، ولا تقرأ خبر الأمم بل تكابدها وتشاهدها .

وليس لهذا الكلام من تفسير واضح ، إلا أن الأدباء - وبخاصة الشعراء - متأثرون حتما بالإقليم الذي غذوا بطعامه ، وارتووا من مائه ، ولقوا فيه من رفد الخليفة أو الوالي ريا ، أو عانوا من قبضهما وغل يديهما ما عانوا .

ولا يكون من الزعم أن الأديب الألمعي ، أو الشاعر اللماح ، تنطق في نفسه صورة الإقليم ، وفيها سمات وملاح وقسمات ، فإذا لوى عنه عنانه إلى قطر آخر فعاش في ربوعه زمنا ، جدت في خواطره سمات وملاح وقسمات . وكان له في حاله الأولى تعبير ناطق معبر ، يفصح عن شخصيته وشخصية إقليمه ، ثم كان له في حاله الثانية تعبير ناطق معبر ، يفصح عن شخصيته وشخصية إقليمه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولقد كان الشعراء والأدباء قبل تقسيم المملكة الإسلامية فى العصر العباسى ، وتزايل أطرافها ، وتوزع سلطانها ، يعيشون فى إقليم واحد ، بعيد الأطراف ، فسيح الأرجاء ، عاصمته واحدة هى بغداد ، واليد التى تطعم وتسقى واحدة وهى يد الخليفة .

فالملابسات التى تغمر المملكة واحدة أو متقاربة . وخصائص السلطان واحدة ، لأنه سلطان واحد يبسط ظله على الأرجاء جميعا ، فالأدباء والشعراء يصدرون عن ورد ، ويحتسون من كأس . ويرى كل بعينه مثل ما يرى الآخر بعينه .

وإذن فلا مجال لتفاوت فى حس ، ولا سبيل إلى إختلاف فى مشرب ، فالجميع أشباه فى النعمة والبؤس ، وأمثال فى الرضا والغضب وليس بين هؤلاء وأولئك من فرق إلا قدر ما بين الحس والحس ، والجودة والقبح ، والسبق والتخلف ، وكم القناعة والطموح .

وبهذه المثابة كان روح الشعر والأدب واحدا . وطابع الحياة الأدبية على نسق متفق أو متقارب .

نعم كان للبيئة الواسعة المدى ، الفسيحة الأنحاء ، المتميزة بطابع خاص دافع للشاعر موح إليه ، أثرها الواضح فى طبع صور فى إنتاجه الأدبى لا يشق على الفطن الذواق أن يهتدى إليها ، ويجتلى خواصها وظواهرها .

فليس الشعراء الذين عاشوا فى الحياة الجاهلية ومشوا على الرمال وامتطوا ظهور الجمال . وانتجعوا الكلأ . وخاضوا غمار الحروب . وكان لهم من المغامرات والمنافرات والعصبية والجاهلية ما كان ، ليس هؤلاء مثل الشعراء الذين عاشوا فى الحياة العباسية . وفتحوا على الحضارة أعينهم وكرعوا مع الخلفاء والأمراء من اللذائذ والترف . وغنوا وطربوا . وأيسروا من الشعر وكانوا ملوكا له وبه .

وليست بيئة الذين وضعوا الوحش والجمل والخيل والطير . والجبل والسهل . والحرب والسلم . كالشعراء المحدثين الذين أشرقت فى أعينهم مظاهر من الحضارة ، والعلم الحديث لم تكد تخطر على بال الأولين فاذا هم يصفون الطائرة والدبابة والصاروخ والمذياع . وكل طارق جديد .

لقد كان الأدباء والشعراء فى ظل المملكة الإسلامية الموحدة خاضعين لحكم عربى بحت فى العصر الأموى ، وكانت الدولة عربية خالصة ، يحوطها الأمويون بسياج متين ، فلم يسمحوا لدخيل أن يقتحم صفوفهم ، وأنفوا أن يتزوج المولى على إسلامه من عربية ، ومن تزوجها فجزاؤه أن تطلق منه ، وأن يلقى الجلد عقوبة ونكالا ... ومن ثم لم ينفذ إلى الأفق الأدبى دخيل من فرس أو روم أو ترك أو زنج ، وبقى المحيط العربى فى أغلب الأمر نقيا من الدوافع التى تغير وجه الحياة العربية ، فالحكم عربى فى أسلوبه ، وشتى صوره والخليفة عربى ذواق يهتدى لمواطن الحسن فى الأدب ، وينفر من غثه ومهزوله ، ويتجافى عن الإحسان لمن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لم يكن من الشعراء ذا إحسان ، وللخليفة من مجالس الأدب بيئة خصبة تتطال إليها الأعناق ، وله بصر يبلغ به أن تجد من ديوان الخليفة من يقول للشعراء بيابه : من كان يحس أن يمدح الخليفة بمثل قول فلان فليدخل .

وكم كان فى البلاط الأموى ، وفى صدر الدولة العباسية من حوافز تحفز الشعراء والأدباء واللغويين والعلماء على الإحسان والتجويد .

وبهذا كان الطابع الأدبى متقاربا ، والأيدى التى تمنح متشابهة ، وآثار الأدباء والشعراء فى مضمار الحياة لا تنم إلا عن تفاوت يسير فى حدود ضيقة .

فإذا ما انتهت الأمصار المتعددة والأقطار الكثيرة ، والأقاليم المختلفة إلى حكم عربى فى بعضها ، وغير عربى فى بعضها الآخر . وصار السلطان عليها بيد الفرس والترك فمن الحتم أن تتفاوت المسحة الأدبية ، وتتباعد النزعة الفنية ، وتجد للأدب حياة فى ظل دولة بمكافأة حكامها وولاتها ، كما تجد ذبولا وابتئاسا فى ظل دولة أخرى ، باليد المغلولة . والرحم التى لم تكن موصولة بين المادح والممدوح .

لقد رأينا الأندلس يحكمها الأمويون وهم عرب وبلاد المغرب يحكمها الأدارسة العرب ، ورأينا مصر والشام فى أمرة الفاطميين العرب ، والموصل وحلبا فى سلطان الحمدانيين العرب والعراق يتنازعها الفرس (البويهيون) والأتراك ، ورأينا فارس تأكلها الدلفية فى كردستان ، وهم عرب والصفارية فى فارس ، والسامانية فى فارس وما وراء النهر ، والزيارية فى جرجان وكل منها من العنصر الفارسى . ورأينا الغزنويين فى أفغانستان والهند ، وهم من الترك . ورأينا الطولونيين والأخشيديين فى مصر والشام وهم من الترك .

ورأينا السلاجقة الأتراك ينهبون أنحاء شتى من المملكة الإسلامية فالسلاجقة العظام يحكمون من سنة ٤٢٩ إلى سنة ٥٥٢ هـ وسلاجقة كرمان يحكمون من سنة ٤٣٣ إلى سنة ٥٨٣ هـ ، وسلاجقة الشام يحكمون بين سنتى ٤٨٧ و ٥١١ هـ ، وسلاجقة العراق وكردستان يحكمون بين سنتى ٥١١ ٥٩٠ هـ وسلاجقة الروم يحكمون من سنة ٤٧٠ إلى سنة ٧٠٠ هـ .

وبعد أن كانت (بغداد) وحدها العاصمة التى يأوى إليها الأدباء والشعراء ، وتزهر فيها نهضة الأدب والعلم وتختص بالشخصية الأدبية بين بلدان المملكة صار إلى جوارها (القاهرة) و (حلب) و (الرى) و (بخارى) و (نيسابور) و (سيراف) و (فيروزاباد) و (شيراز) و (همذان) و (أصبهان) .

فليس من الممكن إذن بعد اختلاف الحكام جنسا ، وبعد تباينهم فى منح الأدباء والشعراء ، أو انقباضهم عنهم ، وبعد أن صارت العواصم مثابات مختلفة تخضع لعوامل غير متحدة وإن كانت متشابهة أن يكون الطابع الأدبى فى هذه الأقاليم واحداً ، وأن تكون خصائصه فى كل مصر تماثل الأخرى فى سمتها ووجهتها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لقد اهتز الشعر والشاعر فى كنف الولاة العرب فى الدولة الحمدانية بالموصل وحلب . وفى الدولة الفاطمية بمصر والشام ، واهتز الشعر والشاعر فى حكم الفرس فى الدولة البويهية والسامانية لبصر الفرس بالآداب وحذقهم اللغتين غالباً . وعملهم الموصول على خلق جو أدبى إذ كانوا أصحاب حضارة قديمة ، وملك بائد . وآداب عريقة تداعبهم الأحلام أن يبعثوها بعد موت وفناء .

وقد حدث التاريخ فيما حدث عن الدولة السامانية التى قام حكمها فى تركستان والتى تنمى إلى (سامان بن حنا) الفارسى ، وتعاقب على حكمها عشرة ملوك بين سنتى ٢٦١ و ٣٨٩ هـ أن أحد ملوكها وهو منصور بن نوح السامانى ، الذى قام على ملكها بين (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) استوزر العالم الفارسى (البلعمى) فترجم تاريخ الطبرى إلى اللغة الفارسية .

وأعقبه ابنه (نوح بن منصور السامانى) (٣٦٦ - ٣٨٧ هـ) فاقترح نظم الشاهنامة (سفر الملوك) إلياذة الفرس فى الفارسية ، اقترح ذلك على شاعره (الدقيقى) فنظم له بعضها . ثم قتل فأتم نظمها (الفردوسى) من بعده بإشارة من السلطان (محمود الغزنوى) والشاهنامة تتضمن خمسة وخمسين ألف بيت أودعت ما روى الفرس من أساطير وحقائق فى تاريخ ملوكهم منذ أقدم العصور إلى الفتح الإسلامى .

ولست أشك فى أن نظم الشاهنامة إنما هو من أثر العصبية الفارسية ، ولون من الغزو الثقافى ، ومحاولة لبسط النفوذ على العربية ولغتها .

ومن يدرس منازع الشعوبية ومظاهرها المختلفة ، يرمن أساليبها فى القرن الثالث الهجرى اعتزاز الشعراء بفارسيتهم ، وغير بعيد مسلك (بشار) و (ديك الجن) و (الخريمى) ، و (مهيار الديلمى) ، و (أبى نواس) من قبل .

ومن يدرسها كذلك يجد من مسالكهم أنهم عكفوا على التأليف فى مناقب العجم كسعيد بن حميد البختكان الذى كان يدعى أنه من سلالة ملوك الفرس فقد ألف (انتصاف العجم من العرب) و (فضل العجم على العرب وافتخارها) .

و (علان) الشعوبى الفارسى الأصل الذى ألف كتاب (الميدان فى المثالب) وغير هؤلاء كثير ... حرصوا على إبراز آداب الفرس ومحامدهم ، وحاولوا جاهدين أن يعلوا كلمة الفرس وآدابهم ...

وليس من شك فى أن اصطباغ الحياة الاجتماعية والأدبية بالثقافة الفارسية فى البلاد التى يحكمها الفرس أضفى على الأدب فيها صبغة تبعد فى قليل أو كثير عن مظاهر الأدب فى الأمصار التى استعلى عليها العرب ، ونحم الحكم العربى فيها عن الصبغة العربية الخالصة ؟

« يتبع »

محمد فاضل القضى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دور العرب فى نشر الإسلام فى الهند

للأستاذ محيى الدين الألوائى

قال الإمام « الشهرستانى » فى كتابه الشهير (الملل والنحل) فى معرض تقسيم أهل العالم حسب الأمم والشعوب : « كبار الأمم أربعة : العرب والعجم والروم والهند ، ثم زاوج بين أمة وأمة ، وأن العرب والهند يتقاربان نحو مذهب واحد ، وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء ، والحكم بأحكام الماهيات والحقائق ، واستخدام الأمور الروحية » . هذا هو الرأى الذى أبداه العلامة الشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ - ١٢٥٣ م .

ومن هنا كانت الأمور فى الأمتين تجرى على نهج واحد ، مع أن موجات من الحضارات الكبرى نشأت فى كلا البلدين ، وكانت تتطور وتتبدل حسب تقلبات العصور ، وهناك دلائل عديدة تدل على أن الأفكار والطقوس والعقائد والمدنيات تنتقل من كلا الجانبين ، وقد كان العرب فى عهد الجاهلية يعرفون محصولات الهند ومنتجاتها ، وكانت موضع اهتمامهم البالغ ، وجرت فى لغتهم العربية أسماء عدة أشياء هندية مثل : الفلفل والمسك والكافور ، والقنبل ، والنارجيل ، والصندل وما إلى ذلك ، حتى كان أشهر الأسلحة عندهم السيف الهندى ، أو « الهندوانى » ، وكان فى الهند تراجم كبير للعرب تجارا أو زائرين وكانت العلوم والفلسفة الهندية قد تأصلت جذورها فى بلاد العرب .

وكان العرب يفدون إلى سواحل الهند الغربية قبل قدوم الإسكندر الأعظم بقرون عديدة ، وكانت محصولات الهند تصدر إلى جزيرة العرب عبر الخليج العربى ، ومن هناك ينقلها التجار العرب إلى سوريا ومصر وأما تجار الغرب ، فكانوا يشترون تلك السلع من سوريا ومصر ، فيصدرونها إلى بلادهم ، وهكذا كان العرب هم الوسطاء بين الهند وبين الروم ، واليونان فى ميدان العلاقات التجارية .

وبعد أن لاقت الدعوة الإسلامية نجاحا وانتشاراً منذ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة اعتنقت مئات من قبائل العرب الدين الإسلامى خلال الأعوام التالية وقد دخل سكان اليمن وحضرموت فى الإسلام أفواجا ، وكانوا جميعا من التجار ، وقد وصلت تجارتهم حينذاك إلى قمة الرقى والازدهار ، وكانوا يشحنون البضائع إلى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الخليج العربى ومصر والسند وملابار ومعبر وسيلان وجاوا والصين ، وغيرها من البلدان النائية ، وفى كل بلد ينزلون فيه قاموا بالدعوة إلى الإسلام ، وينشرون تعاليمه ، بطريقة سلمية ودية ، وبهذه الطريقة وصل صوت الإسلام إلى الهند ، وسيلان ، عقب انبثاق فجره فى جزيرة العرب .

ويقول « بزرك بن شهريار » فى كتابه عن رحلته البحرية ، الشهير باسم « عجائب الهند » فى صدد بيانه عن جزيرة سيلان « فلما سمع أهالى سيلان عن الرسول العربى أوفدوا رجلا ممتازاً إلى جزيرة العرب لاستطلاع حالات دعوة ذلك الرسول الجديد ليبلغهم كما رأى وسمع ، فوصل المبعوث إلى جزيرة العرب فى عهد الخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه (١٣ - ٢٣ هـ) فتشرف بمقابلة الخليفة ، وتحدث معه عن دعوة الرسول ، وسيرته وجمع معلومات وافية ، ثم عاد إلى سيلان ، ولكن فاجأه الموت فى طريقه ، وهو فى « مكران » ، وكان معه خادم هندى ، فعاد إلى سيلان ، وأبلغ أهلها عن مشاهداته وانطباعاته ، وبين لهم ما سمع عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعن أبى بكر الصديق ، الخليفة الأول ، وكذلك قدم تقريراً عن تفاصيل الحادثات التى جرت بينهما وبين عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١) .

وجاء فى « تحفة المجاهدين » للشيخ الفاضل زين الدين بن عبد العزيز المعبرى المليبارى ، عن بداية الإسلام فى « ملابار » : « إن طائفة من اليهود والنصارى قد استوطنت فى مدينة « كدنفلور » أو « كرانفلور » عاصمة « كيرالا » القديمة فلما أجلاهم ملك إيران « كخسرو » قد هاجروا إلى ملابار ، ووصلوا إليها بطريق الخليج العربى ثم استوطنوا فى مدينة « كوتشين » .

وقال الدكتور « فورستر » مستنداً إلى كتاب برتغالى : « إن جماعة من اليهود خرجوا من جزيرة « ميورقة » فى الأندلس فى سنة ٣٦٩ للميلاد ، وكانوا زهاء سبعة آلاف نفر ، ووصلوا إلى شاطىء ملابار ، واستقروا فى مدينة « كوتشين » .

وأما النصارى ، فالمصادر التاريخية تشهد أن القديس توماس ، من حوارى المسيح عليه السلام ، كان يبشر بالمسيحية ، فى أنحاء كيرالا ومدراس ، وتبعه جماعة من النسطوريين من الشام ومن جزيرة العرب ، وكلدان . وبعد حقبة من الزمن نزلت فى شاطىء « ملابار » فئة من التجار العرب المسلمين ، فى طريقهم إلى سيلان ، ولما علم ملك ملابار خبر وصول هؤلاء ، دعاهم إليه ، واستفسر عن النبى العربى ، فأجاب رجل منهم ، وكان شيخا كبير السن ، عن سيرة الرسول عليه

(١) عجائب الهند صفحة ١٥٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الصلاة والسلام ، وعن دعوته ، ومعجزة شق القمر ، فصدق الملك بالنبي ، وأسلم ، وأسر إليهم أنه سيرافقهم فى طريق عودتهم من سيلان إلى جزيرة العرب ، لمقابلة النبي الجديد شخصيا ، ولما رجع هؤلاء من سيلان أمر الملك للشيخ المذكور أن تعد سفينة ، تقله هو ومن معه إلى بلادهم ، ثم دعا عشيرته وأعيان مملكته ، وقال لهم : إنني عزمت العكوف على عبادة الله ، والانزواء عن مشاغل الدنيا ، فلا يقتربن أحد منى ، طوال أيام الأسبوع » . ثم وزع أمور الدولة على رجاله ، وكتب لهم فى ذلك وثيقة لئلا ينشب الخلاف فيما بينهم فى شئون الحكم .

ثم ركب هو ورفقاؤه السفينة ، ووصلوا إلى منطقة « فندرينة » فباتوا هناك ليلة ، وقضوا فيها نهاراً ، ثم أبحروا منها إلى « دمغتن » ومكثوا فيها ثلاثة أيام ، ثم واصلوا السفر ، حتى وصلوا إلى « شحر » ، وهناك أصيب الملك بمرض شديد ، فأوصى الدعاة الذين عقدوا عزمهم على العودة معهم إلى بلاد الهند ، لنشر الدعوة الإسلامية فيها ، ألا يهنوا ولا يحزنوا .

وكان من بينهم « مالك بن دينار » ، وشرف ابن مالك ، و« مالك ابن حبيب » ، فقالوا للملك : إننا لا نعرف بلادك ، ولا نعرف ثغورها ومدنها ، وإنما قصدنا الذهاب إليها لأنك منعا ، ففكر الملك مليا ، ثم كتب لهم باللغة المليبارية ، رسالة إلى أقربائه وأحبائه ، ودلهم على عناوينهم ، وطلب منهم أن ينزلوا فى « كدنغلور » ، وناشدهم ألا يذكروا لأحد شيئا عن مرضه أو عن موته ، وبعد قليل توفى الملك ، ثم توجهوا مع عائلاتهم إلى ملابار وفور وصولهم إلى « كدنغلور » عرضوا خطاب الملك على وزيره ، فأكرم وفادتهم ومنحهم الضيعات والحقول ، وأسدى إليهم التسهيلات للقيام بنشر دعوتهم ، وبناء المساجد ، ودور العلم ، فبنوا فى تلك المدينة مسجدا ، يعتبر أول مسجد شيد فى شبه القارة الهندية ، ثم طافوا فى مختلف أنحاء البلاد ، داعين إلى الله ، وبانين المساجد ، وحاملين رسالة النور والعرفان .

أما الشيخ زين الدين المعبرى . فى روايته فلم يذكر اسم الملك الذى اعتنق الإسلام كما لم يحدد تاريخ حادثة الملك ، ولكن المؤرخ الكبير « فرشته » أثبت فى كتابه : أن اعتناق الملك الإسلام ، وسفره إلى البلاد العربية ، قد حدثا فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم[1] وفى مكتبة « المكتب الهندى » الأثرى بلندى توجد مخطوطتان ، باللغة العربية ، وفيهما شرح واف لحادثة اعتناق الملك الهندى ، الدين الإسلامى ، وقدوم المسلمين العرب إلى منطقة ملابار ، فى ساحل الهند الغربى ، ويستفاد

(١) تاريخ : فرشته ، الجزء الثانى ص (٣٧)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من قول الدكتور (برنال) أيضا ، أن الملك المذكور كان معاصرا للنبي العـــربي عليه الصلاة والسلام [1] .

وهكذا وصل صوت الإسلام إلى الهند بأيدى العرب ، وكانوا هم طليعة المسلمين الذين استوطنوا فيها ، وأناروا الطريق لنشر التعاليم الإسلامية ، واللغة العربيـــة ، فى ربوعها ، وتبعهم فى هذا الميدان المسلمون الهنود الذين تشبعوا بالدعوة الإسلامية ، والآداب العربية ، ويقول الشيخ زين الدين : « إن استيطان العرب الأول لم يكن منحصرا فى منطقة ملابار فقط ، بل كانت هناك مراكز آهلة بهم فى المناطق المجاورة لها » . فلما زار (ابن بطوطة) ملابار فى القرن السابع الهجرى ، وجد مراكز إسلامية عديدة منتشرة فى سواحل الهند الغربية ، من « جوا » إلى « كويلون » فى أقصى جنوب القارة الهندية .

ولا يرجع فضل انتشار الإسلام ، والثقافة العربية - فى طول البلاد الهندية وعرضها - إلى الملوك أو الأباطرة الذين قاموا بفتوحات سياسية ، وأقاموا حكومات ودولا ، بل إلى دعاة مصلحين من العرب والهنود ، بطريقة سلمية ، وموعظة حسنة ، وكان رائدهم فى ذلك إرشاده تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ، حتى برز فى أنحاء الهند رجال متفقهون فى العلوم الإسلامية ، ومتمكنون فى اللغة العربية ، قبل الفتح الإسلامى الأول ، الذى قام به محمد بن القاسم الثقفى ، فى نحو عام ٩١ من الهجرة النبوية فى مقاطعة السند فى شمال شبه القارة .

وتوسع نطاق الجهود الفردية التى بدأها الدعاة المسلمون العرب ، لنشر الثقافة الإسلامية العربية ، تحت زعامة « مالك ابن دينار » فى جنوب القارة الهندية إلى جميع أنحائها فى فترة وجيزة ، حتى بلغ عدد المسلمين فيها وقت تقسيمها فى عام ١٩٤٧ - أكثر من مائة (مليون) مسلم ، ساهموا مساهمة فعالة فى تكوين مراكز خالدة للثقافة الإسلامية ، وهم غيورون للمبادىء الإسلامية ، ومتمسكون بأهداب الدين الحنيف ، وهم يشكلون اليوم جزءاً حيا من جسم العالم الإسلامى ، الذى الذى يربطه برباط وثيق من الدين والإيمان والأخوة الروحية ، ونرى الآن الارتباط التاريخى الوثيق بين مسلمى الهند وإخوانهم العرب الذين حملوا مشاعل الإسلام فى أرجائها ورفعوا رايته فى آفاقها ، موطد الأركان ومدعم الأساس ، فليكن الماضى المجيد ، نبراسا يضىء الطريق إلى مستقبل زاهر ميمون ؟

محيى الدين الدلوائى
المدرس بكلية الطب - جامعة الأزهر

---

(١) ذكر « برنال » أن اسم الملك جيرمان برومال » كما أثبت ذلك غيره من المؤرخين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أباطيل اليهود

للأستاذ محمود شبكه

يعتقد اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن عنصرهم من عنصره ، وأنهم شعب الله المختار، كما يعتقدون : أن الله منحهم الصورة البشرية تكريماً لهم ، على حين خلق غيرهم من طينة شيطانية ، أو حيوانية بخسة ، وقد تكفل القرآن بالرد عليهم فى زعمهم هذا (وقالت اليهود : نحن أبناء الله وأحباؤه قل: فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء) وهم يزعمون أنهم أصلا فى الإنسانية بحكم عنصرهم المستمد من الله ، مثلما يستمد الابن من أبيه ، وأن خيرات الأرض كلها منحة لهم من الله وحدهم وأن من عداهم من الناس خلق لهم ، وتحت سيطرتهم ، وما دام هذا وضعهم مع غيرهم من الناس ، فلا مانع من ارتكاب السرقة والغش والكذب وهتك العرض ، وأن هذه ليست جرائم ، بل قربات يثابون عليها وقد أشار القرآن إلى ذلك فى سورة آل عمران (ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك ، إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا: ليس علينا فى الأميين سبيل، ويقولون على الله الكذب ، وهم يعلمون) واليهود فى معتقداتهم وسلوكهم وسائر تصرفاتهم إنما يصدرون عن كتبهم المقدسة ، مثل العهد القديم ، والتلمود ، وأقوال زعمائهم ، رغم ما فى هذه الكتب والأقوال من المتناقضات والمضحكات ، ولنستعرض معاً بعض ما جاء فى هذه الكتب ، جاء فى التلمود : إن اليهود أحب إلى الله من الملائكة ، وأنهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه ، ومن يصفع اليهودى كمن يصفع الله ، والموت جزاء الأممى [1] إذا ضرب اليهودى ، ولولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض ، واحتجبت الشمس وانقطع المطر ، واليهود يفضلون الأمميين كما يفضل الإنسان البهيمة ، والأمميون جميعاً كلاب وخنازير ، وبيوتهم كحظائر البهائم النجسة ، ويحرم على اليهودى العطف على الأممى ؛ لأنه عدوه ، وعدو الله ، وكل خير يصنعه يهودى مع أممى فهو خطيئة عظمى وكل شر يفعله معه قربان لله يثيبه عليه ، وأن النطفة المخلوق منها باقى الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية نطفة حصان

(١) الأممى — الإنسان غير اليهودى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(تلمود أورشليم ص ٩٤) سلط الله اليهود على أموال باقى الأمم ودمائهم (من تفسير التلمود) .

الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية وأما باقى الشعوب فمثلهم كمثل الحمير (الحاخام بارانيل) .

أيها اليهود : إنكم من بنى البشر ؛ لأن أرواحكم مصدرها روح الله ، وأما باقى الأمم فليست كذلك ؛ لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة (مناحم الرومى) .

باستطاعتك أن تقتل أفضل المسيحيين (التلمود) لاترهب وجوههم ؛ لأن الرب آلهك فى وسطك إله عظيم ومخوف، ولكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلا قليلا لا تستطيع أن تفنيهم سريعا لئلا يكثر عليك وحوش البرية ، ويدفعهم الرب إلهك أمامك ويوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفنوا ، ويدفع ملوكهم إلى يدك ، فتمحوا اسمهم من تحت السماء (تثنية ج ٧ ع ٢١ - ٢٤) .

هذه طائفة من النصوص ، لا تحتاج إلى تعليق فهى واضحة الافتعال والاضطراب ، وهى على ما فيها من ركاكة ، وضعف أسلوب تصور مطامع اليهود ، وآمالهم العريضة ، وما وعدوا به من إرث ، وما أمروا به من غلظة وقسوة ، وما ينتظرهم من مستقبل حافل بالمجد ، والسيطرة على العالم كله

وقد غرت هذه التعاليم (موسى شاريت) فوقف فى (الكنيست) يقول : إن إسرائيل لن يكتب لها البقاء ، ما لم تشن حربا وقائية ضد الدول العربية ، حتى تضمن سلامتها ، وتمد حدودها داخل هذه الدول ، وحتى تحقق الحلم الذى طالما حلم بتحقيقه فلاسفة الصهيونية ، ألا وهو إقامة أمبراطورية إسرائيلية ممتدة الأرجاء ، تفرض سلطانا قويا يخافه الجميع .

وفى مؤتمر عقده المحاربون القدماء لمنظمة (الأرجون الإرهابية) فى ١٩٥٥/١٠/٢٨ قال (مناحم بيجن) زعيم حزب حيروت : يا بنى إسرائيل ، وياشباب منظمة الأرجون إن العدو يحيط بنا من كل جانب ، وإننا إن لم نهاجمه فى دياره ، ونحطم قوته الحربية قام هو وحطم دولة إسرائيل ، وعليكم يقع واجب المحافظة على دولتكم ، وتوسيع رقعتها إن قتل عربى معناه إضعاف أعدائكم ، وتثبيت قدامكم ، فلا تتوانوا فى قتل أعدائكم ولا تأخذكم بهم رحمة وشفقة ؛ حتى نقضى على حضارة العرب المزعومة ، ونقيم على حطامها حضارة إسرائيل .

هذه تصريحات لزعماء إسرائيل ، وكلها تنطق بما انطوت عليه نفوس هذا الجنس من غدر وخيانة ، وحقد على العرب ، ورغبة ملحة فى القتل ، وسفك الدماء ، وليست هذه الصفات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بجديدة على اليهود ، فلقد وصفهم كثير من أنبيائهم فى كتبهم المقدسة بأنهم شعب غليظ القلب ، صلب الرقبة ، وأنهم أبناء الأفاعى ، وقتلة الأنبياء ، وما كثرة أنبيائهم إلا دلالة على دناءة أصلهم ، وخسة طباعهم ، وأن بذور الشر ، وعوامل الفساد امتزجت بلحمهم ودمهم ، فلا يفيدهم نصح ، ولا ينفع معهم توجيه وإرشاد ، وقد سجل القرآن عليهم هذه الظاهرة فى قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم؟ ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » .

واليهود مشهورون بحب المال ، والاستغلال وأينما حلوا فى بلد نراهم يحاولون التسلط عليه اقتصاديا ، فيستغلون البيوت المالية ويشرفون على الصحف والمجلات ودور النشر وشركات الأنباء ، وهم يعيشون كالأمراض الطفيلية على الشعوب وحضاراتها مما دعا هتلر إلى احتقارهم ، وفضح أساليبهم ونواياهم والتنكيل بهم ، فهو يرى : أن اليهود جنس يتطارم بالأثرة . وأنه ذكى ، ولكنه مجرد من الابتكار والطرافة ، وأنه لم يخلق لنفسه أية حضارة ، ولا يحدوه أى مثل أعلى ثم يصف الطرق التى يقبعها اليهودى فى دخول المجتمعات الجرمانية ، فيقول : إنه يحل فى أثر الجيوش الأجنبية ، ويتقدم كتاجر ، ويشتغل بالوساطة ، والربا الخطر ، ويحتكر التجارة ويرهق الفلاحين ، ويجتمع اليهود فى أحياء ومجتمعات خاصة ، ويحرصون كل الحرص على بقاء جنسهم ، وينشئون لذلك دولة داخل دولة ، ثم يتملقون رجال السلطة والأمراء ويمدونهم بالمال ، ويستظلون بحمايتهم ونفوذهم ويسيطرون على البورصة والانتاج [1] وقد استطاع هتلر أن يحطم اليهود ويسحقهم أفراداً وجماعات بأقسى وأعنف الوسائل والصور ، وعانى اليهود فى ظل النازية محنة ما عرفت فى تاريخهم الزاخر بالآلام والمحن والأمل قريب فى أن يكون مصير يهود فلسطين مصير آبائهم وأجدادهم فى مختلف العصور : من التنكيل والتشريد ، وأن تعود فلسطين لأصحابها ما دام العرب قد تجمع شملهم وتوحدت كلمتهم ، وما دامت الجمهورية العربية المتحدة قد وضعت أمام عينيها تطهير فلسطين من اليهود ، وعودتها إلى أهلها ، كما جاء فى الميثاق (والجمهورية العربية المتحدة بالتاريخ وبالواقع هى الدولة العربية الوحيدة فى الظروف الحالية التى تستطيع تحمل مسئولية بناء جيش وطنى يكون بمثابة القوة الرادعة للخطط العدوانية الاستعمارية والصهيونية) .

محمود شيت

(١) كتاب هتلر كفاحى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

طباع ... وشرائع ...

للأستاذ على الخطيب

من حق المرء على هذا الدين ألا يحبس عليه ميوله ، أو يقمع فيه فطرته ، وإنما يستجيب الإسلام لهذه الميول ، وتلك الفطر استجابة رصينة ، تتيح للمسلم بحكمتها أن ينال دائما ، توافقا ، نظيفا بين طبائعه ، والاستجابة لها ، توافقا لا إفراط فيه ، ولا تفريط ، وفى اتجاه مستقيم ، ينجو من الضرر والعدوان ، تتحقق الميول ، وتتأكد الطباع ، وتستوى الشخصية المسلمة بلا انحراف ولا شذوذ .

وقد حرص الإسلام على تأكيد هذا المعنى ، والحفاظ عليه حين شرع نفر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقاومة طبائعهم قائلين : ما حقنا إن لم نحدث عملا ؛ فإن النصارى قد حرموا على أنفسهم فنحن نحرم . وجلسوا فى البيوت ، واعتزلوا النساء ، ولبسوا المسوح ، وحرموا طيبات الطعام واللباس ، وهموا بالاختصاء ، وأجمعوا أمرهم لقيام الليل ، وصيام النهار !! .

وبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : (ما بال أقوام يقول أحدهم : كذا وكذا . لكنى أصوم وأفطر ، وأنام وأقوم ، وآكل اللحم ، وأتزوج النساء ؛ فمن رغب عن سنتى فليس منى) ، ونزل قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، فقال القوم : اللهم سلمنا واتبعنا ! ، وتوقفت تلك التجربة نهائيا فى الإسلام .

وإنه لمن العبث أن يطلب تشريع من الإنسان أن يضطهد طباعه ، أو يقضى على ميوله ، وأى استجابة لمثل هذا التشريع تعنى بصورة مباشرة صراعا مريرا من الكبت والحرمان ، والضيق والحقد ، يستحيل الإنسان بعدها إلى امرىء متعطش للعدوان ، يختلس اللذات فى غير حق ، ويستجيب لطباعه استجابات شاذة تضربه ، وبالمجتمع ، فالطبيعة ستتغلب فى النهاية ، وتحقق ذاتها ، وتؤكد أنها لا تموت .

فكان حقا على الإسلام - دين الفطرة - أن يقف أمام هذه المحاولة ، ويقضى عليها ، وينذر كل مبتدع إلى يوم الدين أنه على غير سنته ، وحسابه على نفسه ، وجرم أتباعه عليه : فكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والتاريخ شاهد صدق يؤكد عبث الخروج على منطق (القصد والاعتدال) فى كل حالة اعتبرت (الفطرة) معصية ، و(الاستجابة) لها جريمة ؛ وقص علينا التاريخ طرائف فى هذا الباب :

(ا) فى الرهبنة تبين أن فريقا من رهبان (المادية) الهنود يخلصون لحياة النسك طوال العام إلا يوما واحدا ، يطلقون فيه لشهواتهم العنان ، مقبلين فيه على لذة مفرطة يعبون فيها من كل لون وطعم ؛ كما يقول دكتور غلاب (ص ١١٥ فلسفة شرقية) :

كذلك لم يمنع مركز البابوية اسكندر بورجيا أن يطلق لشهواته ألف عنان على رءوس الاشهاد . حتى بات معلوما للعامة أن لهذا (البابا) ستة أولاد ، أو سبعة غير شرعيين [1] ، ولم يكن عجبا أن تموت دعوة (مانى) فى مهدها . تلك الدعوة التى قضى فيها بتحريم الزواج استعجالا لفناء العالم ؛ فمات (مانى) وظل الناس يستمتعون بما أحل الله من زوج وبنين .

(ب) ولقد سلكت أكثر من عقيدة تنادى بالتناسخ ، وتؤمن بالحلول ، أو بطرف منه - طريق تحريم اللحم ، وتفاوتت فيما بينها فى تشريع تحريمه ، فمنها ما حرمه أبدا ، ومنها ما قضى بالتحريم فترة ، ولو قد كانت حيا له وسطا ، ترغب فى القصد والاعتدال ، لنالت استحسانا وتقديرا ، لكنها أبت إلا أن تشرع وتخطط ، وتأمر وتحذر ، وتملى المنع إملاء أغرى الناس بالتماس رغباتهم خفية . وأى الناس . ؟ إنهم كهان البوذية فى اليابان ، فقد حاول الأباطرة فى عصر «كيوتو» محاولة دينية قصدوا بها أن يؤيدوا قوانين التغذية كما تأخذ بها البوذية ؛ فحرموا ذبح الحيوان وأكله ، ولكن لما رأى الناس أن الكهنة أنفسهم كانوا يخرجون على تلك القوانين خفية . أخذوا يدخلون اللحم لونا شهيا من الطعام ، ويسرفون فى أكله . ومالنا نذهب بعيدا إن بودا هو أول من عصا البوذية . وكاد يودى بحياته بعد وجبة ضخمة من لحم الخنزير .

(ج) وفى التاريخ مثال لرجلين :

أحدهما أكبر ، أمبراطور الهند فى العصور الوسطى الذى أراد أن يحمل الناس كرها على اعتناق «دين» رسم هو خطوطه ، وحدد حدوده ، وصور له وهمه أن دينه يستوعب الأديان جميعا ، فانطلق - وهو الأمبراطور الذى يملك السلطة ، ويحوز القوة - يفرض عقيدته على الناس مؤملا أن يرضى طوائفهم فى النهاية ، وفى سبيل ذلك أنزل ببعض الطوائف تشريعات ضد رغباتها ، وأصاب المسلمين فى الهند من عنته شىء . فقد حرم عليهم صيام رمضان ، وحج البيت ، وأغراه

(١) ص ١٧١ سافونارولا : دار الكاتب المصرى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى ذلك فكر سقيم ، وقوة غاشمة ، وعبثا ذهبت محاولاته ، وسقط ميتا دون أن تنال روحه عزاء من أى الناس ، بينما كان قصره فى المساء نفسه يتلألأ بفرح إعلان امبراطور جديد وتنفس الناس الصعداء .

والثانى : الحاكم بأمر الله .

وأى الناس لم يسمع بهذا الحاكم الذى أغراه السفة ، لا بمحاولة تغيير عقائد الناس فحسب بل اتجه إلى تغيير ما درجوا عليه من عرف فى العمل أو السلوك . مضطهدا طوائف العمال إذ أمرهم بممارسة عملهم ليلا ، والكف عنها نهارا ، وحد من حرية المرأة ، حتى حرم عليها ما أحل الله لها ، فأوقف كثيرا من المنتجات التى تخصها من رداء أو زينة ، ونادى بعض أتباعه فى المساجد نداء أنكره المؤمنون ، وقاوموه ، ثم أتت النهاية ، فمات الحاكم ميتة غامضة ، عادت الحياة بعدها سيرتها الأولى .

ولن يعدم ملتمس التاريخ حقائق فى هذا الباب تؤكد جميعا حتمية النصر للطبع المعتدل والميل الشريف ، وانتصار الحياة لها .

من أجل ذلك يقف الإسلام حاميا منطق « القصد والاعتدال » يصونه أن يعبث به أحد أو ينحرف به ضال ، حتى لا يقذف الإفراط بالطبع ، والإسراف فى الميل ، إلى ضرر عارم أشد تدميرا على المجتمع من القمع والاضطهاد .

فكان نهج الإسلام خير حافظ للناس ومبق على كرامتهم ، وله فى ذلك نصوص صريحة ؛ يقول تعالى :

« فلا تميلوا كل الميل » ١٢٩ « النساء » .

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ١٤٣ « البقرة »

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق . قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » ٣٢ الأعراف .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كلوا ، واشربوا ، والبسوا ، وتصدقوا من غير مخيلة ، ولا سرف ؛ فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده .

هذا الإطار من تعاليم الله ورسوله كفيل ببيان احترام الفطرة ، والعمل على صيانتها حتى يستوى « التوافق » بين الإنسان وطباعه ويتم « الإشباع » النظيف بين المرء وميوله فى أحضان هذه الشريعة السمحة التى وسعت الرغبة ، وحفظت الطبيعة بنهج أصيل يحقق حكمة الحياة على مدار القرون ؟

على الخطيب
مجمع البحوث الإسلامية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ماقيل عن الإسلام

محمد في مكة

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

أصدر الغربيون بشتى اللغات كتبا ودراسات متعددة عن محمد ، النبي العربي الذي أرسله الله تعالى إلى قومه، وأمره بتبليغ رسالة الإسلام ، فقام بتبليغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ولقي في سبيل ذلك كثيرا من العنت والاضطهاد ، في مكة أولا إلى أن هاجر إلى المدينة ، فهاجمه العرب في المدينة وانتصر عليهم في الغزوات المختلفة إلى أن انتهى الأمر بفتح مكة ، وخضعت بلاد العرب للإسلام . ولكن محمدا لم يقف برسالته عند حدود بلاد العرب ؛ بل أوفد رسله بكتب منه إلى : كسرى وهرقل والمقوقس ، يدعو الناس كافة إلى الدين الجديد . وبذلك يمكن أن يقال : إن سيرة محمد مرت في ثلاثة أطوار أساسية ، في مكة ، ثم في المدينة ، ثم الإسلام وتوحيد المجتمع، وطبقا لهذا التقسيم ، أصدر الأستاذ « مونتجومري وات » ثلاث كتب يدرس في كل واحد منها مرحلة من حياة النبي . صدر الكتاب الأول سنة ١٩٥٣ ، ويقع في ١٩٢ صفحة . وهو من مطبوعات جامعة اكسفورد ، ويعد هذا الكتاب الأول في « ثلاثية » مونتجومري وات .

وليس (مونتجومري وات) أول من كتب عن محمد ، إذ سبقه في ذلك كثيرون من المستشرقين ، ومنذ زمن طويل ، بعضهم يهاجم محمدا ، ويرميه بأشنع التهم ويطعن عليه بأقبح المطاعن التي لا تستند إلى أي حقيقة تاريخية ، وقد انبرى للرد عليهم جماعة من علماء الغرب أنفسهم يبغون الدراسة النزيهة عن الهوى . ولذلك لم يكد يشهد القرن العشرون مشرقة حتى صدرت كتب جديدة تبحث سيرة محمد بأسلوب جديد ، ونغمة مخالفة ، وإنصاف أكثر ، نذكر من هؤلاء اثنين يعرفهما قراء العربية : هما (اميل درمنجم) ، والسير (وليم مور) . ونود أن نشير إلى أن اليقظة العربية القوية في القرن العشرين ، مع اقتران هذه اليقظة بنهضة علمية وتقدم واسع الخطوات ، إلى شدة الاتصال بين الشرق والغرب ، وتفتح

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

النوافذ على الدراسات الغربية ، كل أولئك أحدث رد فعل عنيف فى مصر ، دفع مفكريها إلى الكتابة عن محمد بأسلوب جديد يتلاءم مع العصر الحاضر ، ويتفق مع مناهج البحث العلمية . وكان ثمرة ذلك ما أصدره هيكل والعقاد وطه والحكيم وغيرهم عن محمد ، ولم يعزف كل واحد منهم على نفس القيثارة ، بل اتجه كل منهم وجهة خاصة فتعددت الأنغام تبعا لاختلاف المناهج التى اتبعها الباحث .

فهل بقى بعد كل تلك الدراسات ، الغربية والشرقية زيادة لمستزيد ؟ وهل يمكن أن يأتى كاتب بجديد ؟

تساءل الأستاذ « وات » عن ذلك ، وأجاب فى مقدمة الكتاب بما فحواه : أن الحاجة إلى كتابة حياة محمد - من جديد أمر شعر به طلبة البحث فى الإسلام (وليلاحظ القارىء أن مونتجومرى يكتب للغربيين) وبخاصة أصحاب العقول التاريخية . ليس ذلك بسبب الكشف عن مادة جديدة ، بل لأن اهتمام المؤرخين منذ أواخر القرن التاسع عشر قد اتجه وجهة البحث عن العوامل « المادية » التى تقع فى أساس التاريخ ، وهذا يعنى أن المؤرخ الحاضر ، الذى يعيش فى منتصف القرن العشرين يريد أن يطرح كثيراً من الأسئلة عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى كانت قائمة فى الوقت الذى ظهر فيه محمد ، مع عدم إغفال الحركة الدينية والفكرية التى بدأها ، ومع أن أولئك الذين يفكرون أن مثل تلك العوامل ، هى التى تحدد وحدها سير الحوادث ، فإنهم مع ذلك لابد أن يسلموا بأهميتها .

فالجديد فى هذا الكتاب إذن : هو العناية ببحث العوامل « الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية » ، وبيان صلتها بالحركة الدينية الجديدة التى نادى بها محمد . وهذا منهج لا اعتراض عليه ، بل لابد منه ، وقد أصبح مألوفاً فى الوقت الحاضر عند كتابنا ، الذين يصورون العصر من شتى جوانبه السياسية والاجتماعيه ، والاقتصادية والثقافية والدينية ، قبل الشروع فى الكتابة عن الشخصية التى ظهرت فى ذلك العصر .

ولما كان المؤلف يكتب لإنجليزية لطائفتين من القراء ، الطائفة الأولى - وهى الأكثر - الغربيون ، وهم - فيما يفترض المؤلف - من المسيحيين ، والمؤلف كذلك مسيحى ، فقد كان من الطبيعى أن يقرب بعض المباحث الإسلامية إلى الذهن الغربى بضرب أمثلة من المسيحية ، والطائفة الثانية - وهى الأقل - المسلمون ، وقد راعى المؤلف شعورهم ، فى معظم المسائل الأساسية التى تمس الدين ، وعلى رأسها القرآن الذى يؤمن سائر المسلمين بأنه كلام الله ، المنزل من عنده تعالى على محمد . لهذا السبب أعلن المؤلف فى صدر كتابه أنه لا يود أن يصدر حكماً عن القرآن ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلا يذكر « قال الله . . . » ولا « قال محمد . . » بل « جاء في القرآن . . . » ، وسنناقش هذه المسألة بعد قليل .

ويزعم المؤلف أنه أصدر كتابه أولا، وقبل كل شيء للمؤرخ ، لا للمسيحي أو للمسلم ، وبهذه الصفة، فإنه يتحرى الحق وحده ، ولا يتحيز . ولكنه بين حين وآخر ، يعلن أنه مسيحي ، وأنه مؤله ، وأنه موحد ، فهو بذلك لم يستطع أن يتخلص تماماً من تحيزه للعقيدة التي نشأ عليها ، وأن يتحرى الإنصاف كمؤرخ فقط .

وكتب المؤلف خمس صفحات عن المصادر. وفي مثل هذا البحث، لاشك أن قيمة المصادر وتحييمها ضروري . وأول مصدر يعتمد عليه هو (١) القرآن، « وهو الوحي الذي تلقاه محمد (كما يعتقـــد) من الله » ، وكما يعتقد الموضوعة بين قوسين من كلام المؤلف ، أي أي كما يعتقد محمد .

ثم بعد ذلك (٢) سيرة ابن هشام (٣) تاريخ الطبري (٤) مغازي الواقدي (٥) طبقات ابن سعد (٦) صحيح البخاري ومسلم ، ومسند ابن حنبل (٧) أسد الغابة لابن الأثير ، والإصابة لابن حجر .

هذه هي المصادر الأساسية التي رجع ويرجع إليها كل من يريد الكتابة عن محمد، مستشرقا غربياً ، أو كاتباً عربياً . ثم يشير المؤلف إلى مؤلفات غربية مثل: كتاب السير (وليم مور) وكايتاني في تاريخه عن الإسلام، وغيرهم ولست أدري والمؤلف يعرف اللغة العربية لماذا لم يرجع إلى المؤلفين العرب المحدثين ، على الأقل إلى هيكل في كتاب « حياة محمد » ، وهو الذي نقل آراء المستشرقين وانبرى للرد عليها بالحجة الدامغة .

أطال المؤلف في وصف حياة العرب في الجاهلية من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والدينية ، واستغرق ذلك ثلاثين صفحة من جملة الكتاب البالغ عدد صفحاته مائة وتسعين. ونحن نرى أن هذه المقدمة مطولة على الرغم من أنها دراسة ممتعة، ينتهي منها المؤلف إلى أن تدهور الأخلاق وانحطاط الدين واصطدام الفرس والروم وازدهار مكة تجارياً ، كل ذلك كان تربة صالحة لظهور دين جديد .

ناقش المؤلف مسألة الوحي طويلا في الفصلين الثاني والثالث ، والثاني بعنوان طفولة محمد وشبابه (ودعوته إلى الإسلام) ؛ والثالث : بعنوان الرسالة الأولى . وبعد أن تكلم المؤلف عن نسب محمد ، ومولده وطفولته وزواجه من خديجة ، شرع يتحدث عن بعثته ، وبدأ بإيراد حديث الوحي عن ابن شهاب الزهري عن عروة عن عائشة ، ورواية الطبري في تاريخه ؛ وكنت أحب لو أن المؤلف رجع في هذا الحديث إلى البخاري ومسلم وغيرهما ، وبخاصة لأنه يناقشه مناقشة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هلية . وقد قسمه اثنتى عشرة فقرة ، هى (النص الذى نثبته هنا عن البخارى) .

(ا) أول ما بدىء به رسول الله (ص) من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

(ب) ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها . حتى جاءه الحق (THE TRUTH) وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال . . .

وتعقيبنا على رواية الحديث ، أن المؤلف اعتمد على رواية الطبرى ، ولم يناقش الروايات الأخرى ، مع أنه شرع ينقد الحديث ، وسياقه ، وإسناده .

ويبدو أن الترجمة خطأ ، فالمؤلف يترجم « الحق » فى هذا الموضع بقوله Truth ، أى ما يقابل الباطل ، المقصود بهذه اللفظة فى الإنجليزية « الله » . ولكن الحق ههنا تعنى القرآن ، أو الوحى . ورواية البخارى « جاءه الحق ، فجاءه الملك » والملك جبريل .

يقول المؤلف ص٤٢ : « ليس ثمة أسباب جيدة للشك فى الفكرة الرئيسية الواردة فى الفقرة « ا » ، نعنى أن تجربة نبوة محمد بدأت بالرؤيا الصادقة . وهذا مختلف تماما عن الأحلام ... وما جاء فى الفقرة « ا » يتطابق مع ما نأخذه من سورة النجم : « والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القـــوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ... » .

ويعلق المؤلف على الآيات السابقة بأن التفسير الجارى عند المسلمين ، أن هذه الرؤى خاصة بجبريل « ولكن هناك أسبابا تجعلنا نظن أن محمداً فسر فى الأصل أن هذه الرؤى خاصة بالله نفسه . ذلك أنه لا يوجد أى ذكر لجبريل فى القرآن حتى نزول الوحى بالمدينة » .

نقول : إن الخوض فى تفسير القرآن مدعاة لمزالق كثيرة ، إذا صدر عن الأعاجم الذين يجهلون اللغة العربية ، ويتلقفون علمهم بالقرآن من الترجمات الإنجليزية له . وفى اللغة العربية أسرار لا يعرفها إلا أصحابها . والقرآن يفسر بعضه بعضا . وطبقا لهذه القاعدة ، فسر المسلمون « إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى » أى الملك ، وهو جبريل . لأن الله يقول فى موضع آخر من القرآن (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا ، فيوحى بإذنه ما يشاء) فهذه قاعدة قرآنية فى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوحى ، تتنافى مع قول المؤلف : إنه يعتقد أن محمدا كان يتلقى الوحى رؤيا (vision) عن الله مباشرة ، لا عن الملك . وأين هى هذه الأسباب القوية التى يزعمها المؤلف ، مع أن المصادر هى القرآن ، والحديث . ونحن نرى أن الذى ضلل المؤلف اعتماده على الحديث الذى أورده الطبرى ، وإغفاله رواية البخارى ، مع العلم أنه رجع إلى البخارى فى فقرات أخر من الحديث . ولو أنه اعتمد روايه البخارى لاختلف حكمه ، لأن هذه الرواية تضيف « الملك » صراحة بعد قوله فجاءه الحق .

والعجب أننى لم يخطر ببالى أبدا ـ وأنا أقرأ الحديث فى أصله العربى ـ أن أفسر « الحق » فى هذا الموضع بأنه « الله » وفهمت منه على الفور أنه الوحى ، أو القرآن . ومن المعروف أن الحق اسم فى القرآن ، للقرآن . ولكن المؤلف يريد أن يوجه التفسير وجهة تتفق مع هواه ، وتختلف مع الجارى فى اللغة والمأخوذ من جملة القرآن . فيقول إن « الحق » فى طريقة التعبير عن الله . والحق يستعمل فى القرآن استعمالات مختلفة ، فهو اسم من أسماء الله ، « فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » ، أو هو القرآن « بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ... » ، أو هو الحق فى مقابل الباطل ، وبناء على ذلك لا معنى للإصرار على أن الحق هو الله ، وأن الله هو الذى جاء إلى النبى ، أو أن النبى رآه ، ولا يحتمل حديث الوحى هذا التأويل ، ولا كذلك سورة النجم . ولا نود مناقشة التعليق على حديث الوحى فقرة فقرة ، وإلا طال بنا الكلام ، واحتاج إلى مجلدات . ولكننا مع ذلك نشير إشارات عابرة إلى بعض أمور استوقفت أنظارنا :

يذهب المؤلف إلى أن (اقرأ ، وقرآن) ، ينتميان إلى ذلك المعجم الدينى الذى أدخلته المسيحية إلى بلاد العرب ، وأن الفعل (قرأ) يدل : إما على القراءة ، أو تلاوة النصوص المقدسة ، على حين أن « قرآن » مأخوذ من السريانية (قريانا) التى تدل على القراءة أو الدرس الدينى (صفحة ٤٦ — ٤٧) . وهذا الكلام مأخوذ عن المستشرقين ، وليس جديداً ، وقد نقله عنهم كما ذكر ، والذى استوقفنى حقاً أن هذين اللفظين مما أدخلتهما المسيحية ، ولماذا لا تكون اليهودية ؟ لو أن المؤلف كان يهوديا ، لزعم أن اليهود هم الذين أشاعوا اللفظ ، ولست أدرى لم لا تكون العربية أسبق من تلك الأصول كلها ؟ وقد كانت فى بلاد العرب مدنية قديمة ، بحكم موقعها الجغرافى بين الشرق والغرب ، وقد كانت هناك حضارة فى اليمن مزدهرة منذ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قديم الزمان ، ولا شك أن الكتابة كانت معروفة ، وبالتالى القراءة .

غير أن المؤلف يقول فى ختام مناقشته لحديث بدء الوحى (صفحة ٥٢) إنه على الرغم من وجود شكوك كثيرة حول الظروف المحيطة ببداية الوحى ، إلا أن الموازنة بين الأحاديث وتصفيتها يؤدى إلى صورة عامة تبعث قدراً معقولا من الثقة بها ، حتى لو ظل كثير من التفصيلات وبخاصة عن التواريخ غير مؤكدة .

ثم يمضى المؤلف إلى مناقشة إخلاص محمد فى شعوره بالنبوة .

وقد دافع المؤلف عن محمد ، مقيما دفاعه على حجج جديدة ، أولها : أن مقالة كارليل عن محمد فى كتابه « الأبطال » جعلت الغرب يتجه نحو الثقة بإخلاص محمد .

وثانيها : أن تحمله الاضطهاد فى سبيل عقيدته مع الروح العالية عند أصحابه الذين آمنوا به ، إلى جانب عظمة الدين الجديد ، كل ذلك يؤكد صدقه .

وثالثها : أننا لو افترضنا عكس ذلك ، وقلنا إنه لم يكن نبيا بل مدعياً لوقعنا فى مشكلات يصعب حلها .

ورابعها : أن الغرب ظل قروناً طويلة يشيع عن محمد وعن الإسلام صورة مشوهة مسرفة فى البعد عن الحقيقة ، وقد آن الأوان أن نعتقد فى صدق محمد ، وأمانته ، إذا وجب أن نفهمه على الإطلاق ، وإذا كان علينا أن نصحح الأخطاء الموروثة من الماضى ، فلا بد أن نتمسك بأن محمداً كان أمينا صادقا ، حتى يثبت لنا العكس نهائيا ، وهذا أمر عسير جداً فى مثل هذا البحث .

ومن قبيل نقد المفتريات التى يلصقها المستشرقون بمحمد ، قولهم : بأنه كان عرضة لنوبات من الصرع ، وأن القرآن الذى كان ينطق به هو نتيجة هذه النوبات ، وقد نفى المؤلف (ص ٥٧) صحة هذه التهمة ، على أساس أن الأعراض التى تذكر فى كتب السيرة لا تنطبق على أعراض الصرع الذى يؤدى إلى الضعف والتهافت ، على حين أن محمداً فى أثناء الوحى كان مالكا لقواه كلها ، ونضيف إلى ما ذكره المؤلف أن هيكل فى حياة محمد ، فند هذه التهمة تفصيلا ، وبين بطلانها من الناحية العلمية .

الخلاصة : أن موقف المؤلف من القرآن هو قبوله ، على أنه وحى إلهى أنزل على محمد ، على سبيل الفرض العلمى الذى لا يمكن بدونه تفسير الحوادث التاريخية التى وقعت فى القرن السابع الميلادى ، فى تلك الرقعة من الأرض تفسيراً صحيحا .

وقد زلزل هذا الدين الجديد قواعد النظام الجاهلى تماما ، اجتماعيا وأخلاقيا وفكريا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ودينياً واقتصاديا . فمن الناحية الاجتماعية اضطرب ذلك النظام بين تضامن قائم على علاقة الدم والقرابة ، وبين تضامن قائم على المصلحة التجارية بعد أن أصبحت مكة مركزاً هاما للتجارة بين الشمال والجنوب ، ولكن هذه العلاقة الجديدة التي ظهرت في مكة نفخت في نار الفردية ، وأضعفت الروح الجماعية ، مما أدى إلى زيادة غنى الأغنياء ، وزيادة فقر الفقراء ، وهي الحال التي أطال القرآن في وصفها ، ولما كان الحل الجاهلي الجديد ، نعني علاقة المصالح المالية لم يغن عن علاقة الدم القديمة ، فقد جاء الإسلام بحل آخر يقوم على الدين . وما يأمر به من صدقة وإنفاق على الفقراء (ص ٧٢-٧٣) ،

ومن الناحية الأخلاقية ، كان المثل الأعلى الأخلاقي للعربي في الجاهلية هو « المروءة » ولم يعد هذا المثل الأعلى صالحا في الحياة التجارية الجديدة ، وكان الدفاع في الجاهلية عن المروءة دفاعا عن شرف القبيلة ، وكان الشعراء هم الناطقين بلسان قبائلهم في الدفاع عن هذا الشرف حين يفخرون بالمروءة ، التي تضم بين جناحيها الشجاعة في القتال ، والصبر على النوائب ، والأخذ بالثأر ، وحماية الضعيف والوقوف في وجه القوي ، وكانت المثل الأخلاقية التي اتخذها أهل مكة قدوة مثلا منهارة فاسدة فلما جاء الإسلام اهتم أول الأمر بتأكيد الإيمان بإله واحد ، وبيان ما أمر به ونهى عنه على الجملة ، مع الوعد بثواب المؤمن ، والوعيد بعقاب الكافر في الآخرة ، إما بنعيم الجنة أو بنار جهنم ، وجاء الدين الجديد بمفهوم أخلاقي جديد ، هو التزكية ، وأمر الفرد أن « يتزكى » ، ثم مع توالي نزول القرآن ، تطور هذا المصطلح إلى مفهوم آخر مثل الإسلام ، أي الاستسلام لله (ص ٧٦) .

إن مناقشة الأخلاقيات القديمة والجديدة وكذلك مفهوم « الإسلام » وهل تطور عن التزكية ؟ لا تكفي فيه هذه الصفحات القليلة ، ولكننا نقول مع الإيجاز الشديد : إن القرآن أتى بمفهوم أخلاقي ليس هو الدين ولكنه تابع للدين ، وهذا المفهوم هو « التقوى » ، وهو مصطلح قرآني مستمد ، بحسب المنهج الذي يريد المؤلف اتباعه . من أول نزول القرآن تاريخيا ، إلى تمام كامل النزول ، ففي سورة العلق ، أول ما أنزل من القرآن ، يقول الله : « أرأيت إن كان على الهدى ، أو أمر بالتقوى » . وفي أول سورة البقرة وصف للقرآن ، وأنه (هدى للذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون) .

ولقد جاء القرآن بحل للمشكلة الاقتصادية ، وعلاج الحال السيئة التي انتهى إليها المجتمع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى مكة ، وانفصاله إلى طبقتين متباعدتين ، طبقة الأغنياء المسرفين فى الغنى ، والفقراء المعدمين .

على هذا النحو من المنافسة التى تعتمد على الأصول والنصوص ، والتى يضطر المؤلف إلى ترجمتها الانجليزية لتحليلها ، والموازنة بينها ، يمضى فى الفصل الرابع يستعرض أول أسلم ، مع ربط هؤلاء الذين أسلموا بقبائلهم من وعشائرهم ، مثل هاشم ، والمطلب ، وعبدشمس ومخزوم ، وتيم ، وزهرة ، وغيرهم . وهو تحليل مفيد ، ودراسة منهجية جيدة .

ويتعلق الفصل الخامس بنمو المعارضة لدعوة محمد ، حتى إذا اشتد العرب فى إيذائهم المسلمين أمرهم محمد بالهجرة إلى الحبشة . ولما شرع أهل مكة يعتدون على محمد نفسه ، ويؤذونه ، ثم قرروا التخلص منه ، أمره الله بالهجرة ، ذهب أولا زهاء سبعين من المسلمين ولم يبق فى مكة سوى : أبو بكر وعلى ، وأخيرا هاجر محمد بصحبة أبى بكر .

وبهذا ينتهى الكتاب الأول من ثلاثية مونتجمرى وات .

وبعد صدور هذا الكتاب بالانجليزية سنة ١٩٥٣ ، تناوله النقاد بالتعليق ، فكتب عنه الأستاذ (بوسيكه) فى مجلة هباريس سنة ١٩٥٤ كلمة بعنوان (تفسير ماركسى لأصل الإسلام) . وكتب الأستاذ (رودنسون) سنة ١٩٥٧ مقالا فى مجلة (ديوجين) بعنوان (محمد والمشكلة الاجتماعية لأصول الإسلام) وقد أشار المؤلف - مونتجمرى وات - فى مقدمة كتابه الثالث (الإسلام وتوحيد المجتمع والصادر سنة ١٩٦١ ، إلى هذا النقد قائلا : (لقد أكد كتاب (محمد فى مكة) بوجه خاص منزلة العوامل الاقتصادية عند أول ظهور الإسلام ، وعلاقة هذه العوامل بأفكار الإسلام الأساسية . وبسبب هذا التأكيد ذهب النقاد - من أصحاب اليمين واليسار على السواء - إلى أن فى الكتاب نزعة ماركسية ...) .

إذا كان هذا رأى النقاد الغربيين ، فنحن نرى خلاف رأيهم ، ذلك أنهم يصدرون عن هوى وعصبية ضد الكتلة الشرقية . أما نحن العرب المسلمين ، فموقفنا الفكرى هو أننا كتلة لا غربية ولا شرقية ، لها كيانها الخاص النابع من تاريخها ومن دينها . ومن خلال هذا التراث الإسلامى تنظر إلى الأمور ، فنقول : إن مفكرينا قديما ، وحديثا ، ربطوا بين الإسلام والأحوال الاقتصادية وكيف حل الإسلام هذه المشكلة . والقرآن نفسه يصور أحوال العرب الاقتصادية فى الجاهلية أبلغ تصوير ، ثم دعا الناس إلى الإيمان بالإسلام ، وما شرعه من فروض ، إذا اتبعت تحل أزمة المجتمع والإنسان .

(البقية على صفحة ٧٦٢)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

نقد وتعريف : محمد عبد الله السمان

كتاب المعراج للقشيري :

تحقيق الدكتور علي حسن عبد القادر

عميد كلية الشريعة

هذا الكتاب الذي نشرته دار الكتب الحديثة بعابدين، يقع في أكثر من مائة وثلاثين صفحة ، ألحق بها ملحقان : أحدهما في تحقيق الأحاديث المعراجية ، والآخر في معراج أبي يزيد البسطامي ، لأبي القاسم العارف ، وليس لأبي القاسم الجنيد حيث نسبه إليه خطأ كما يذكر الدكتور علي حسن عبد القادر .

وقد كتب الدكتور مقدمة عن المعراج ، وآراء العلماء القدامى المختلفة ، وذكر أن تراث الإسلام الروحي قد تأثر بهذه القصة تأثيراً بليغاً ، ونعني بهذا التصوف الإسلامي الذي ألهم كثيراً من أهل الشعر والفلسفة والأدب ، وأضاف للإسلام كنوزاً ثمينة ، وآداباً إنسانية خالدة ، وحكمة شرقية ، وفناً رائعاً ، ثم قدم ترجمة موجزة عن القشيري الذي ولد عام ٣٧٦ هـ ، وتوفي عام ٤٦٥ هـ ، وعن مؤلفاته الموجودة والمعدومة ، والتي بلغت ثلاثة وعشرين كتاباً ، أشهرها الرسالة القشيرية المعروفة ، ثم ختم المقدمة بكلمة عن أصل مخطوطة المعراج ، التي تطبع لأول مرة وذكر : أن أصل هذه المخطوطة محفوظ بمكتبة (بانكيبور) بالهند ، ولها صور فوتوغرافية بمكتبة المكتب الهندي بلندن وقد نقل هذه المخطوطة وأرسلها إلى الدكتور علي حسن عبد القادر الأستاذ الدكتور (آوبري) أستاذ الأدب العربي بجامعة كيمبردج .

أما كتاب المعراج نفسه ، فقد تناول القشيري فيه شرح معنى المعراج عند أهل اللغة ، واختلاف العلماء في أحكام تفصيلية في الإسراء والمعراج ، ومذاهبهم في المعراج وتناول اختلافهم في وقوع المعراج لغير نبينا ، وفي وقوعه للأولياء ، كما تناول ما اختص نبينا في ليلة المعراج ، وما ورد في معارج إبراهيم وإلياس وموسى وعيسى عليهم السلام ، واختتم الكتاب برؤية النبي ربه ليلة المعراج ، ثم السر في المعراج من بيت المقدس لا من مكة .

من القطع الصغير ، تناول المؤلف فيه الطب عند الأمم القديمة وعند المصريين القدماء .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لو أن القشيرى اقتصر فى كتابه على الأحاديث الصحيحة الواردة فى المعراج ، أو حتى على التفسيرات المقبولة للآيات القرآنية التى اتخذت دليلا على معراج الرسول لكان لكتابه تقديره - وكان علينا أن نتقبله برحابة صدر .

إلا أن القشيرى رحمه الله سلك طريقا فى رصد الأخبار التى لا مصدر لها إلا أفواه بعض المتصوفين وتخيلاتهم ، حتى ليخيل إلى القارئ أن القشيرى أضفى على المعراج لونا أسطوريا لعب الخيال فيه دورا رئيسيا .

فالقشيرى يقول كثيرا فى الكتاب : سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول ، ويقول بعض العلماء ، وقيل ، ثم يعتمد هذه الأقوال التى لا مصدر لها إلا قائلوها حجة مسلما بها .

مما ينسبه إلى الرسول : فرفعت لنا سدرة المنتهى ، فانتهينا إليها ، وإذا ساقها ذهب أحمر وقضبانها لؤلؤ أبيض ومرجان وعقيان وفضة وعلى كل قضيب سبعون ألف ورقة ، مابين الورقة والورقة مسيرة أربعين عاما ، ورقها زمردا أخضر مثل ريش الطاووس فى الحسن الورقة منها تظل الدنيا ، على كل ورقة ملك كأن وجهه الورق ، مكتوب على جباههم : سكان سدرة المنتهى » .

ومما ينسب إلى إدريس عليه السلام أنه أول من عرج به إلى السماء من الأنبياء ، ولكنه احتال على الله وملائكته فى معراجه

ويذكر القشيرى : أن أبليس خرج من موضع قدم موسى ، فى وقت ما كان يسمع الخطاب من الله سبحانه ، فوسوس إلى موسى ، وقال له : ما يؤمنك أن الذى يخاطبك غير ربك ؟ ولكن جبريل ألقاه بعيدا ، وقال : تحسر أن تقرب منه فى هذا الوقت ؟ فقال إبليس : أنا لم أبال أن أخرجت أباه من الجنة ، أفأبالى أن أوسوس إليه فى هذا الوقت ؟ .

هكذا يغرقنا القشيرى فى جو من الأساطير ، ولا سند له فى رواياته ، اللهم إلا ابتكار الخيال نفسه . .

وبعد - فطبع مثل هذا الكتاب لا يقنع أرباح المثقفين بأنه إحياء للتراث الإسلامى المجيد الذى بعث بمادته الفنية وأصالته ، والروح العالية فى نفوس الأدباء والشعراء والحكماء كما يذكر أستاذنا الدكتور على حسن عبد من القادر ، فتراثنا الإسلامى المجيد لم يكن صورا الهوس والخيال الخصب والقصص المختلفة » .

كتب جديدة

الإسلام والطب

تأليف : د . محمد عبد الحميد البوشى

الناشر : المكتبة الثقافية

يقع الكتاب فى اثنتين وستين ومائة صفحة من القطع الصغير ، تناول المؤلف فيه الطب عند الأمم القديمة ، وعند المصريين القدماء .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عند الكلدانيين ، والبابليين ، والآشوريين ؛ ثم الطب فى الإسلام فى مختلف عصوره ، كما عرض المؤلف نماذج من الأطبا العرب والمسلمين ، وما أسدوه للإنسانية والبشرية من أياد بيض خلدها التاريخ .

رجال حول الرسول :

تأليف : خالد محمد خالد

الناشر : دار الكتب الحديثة

صدر الجزء الثانى من كتاب : رجال حول الرسول ، ترجم فيه الأستاذ خالد لأحد عشر صحابيا جليلا ، هم .

حمزة بن عبد المطلب ، وعبد الله ابن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وعمار ابن ياسر ، وعبادة بن الصامت ، وخباب ابن الأرت ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعثمان ابن مظعون ، وزيد بن حارثة ، وجعفر ابن أبى طالب ، ثم عبد الله بن رواحة .

والواقع أن المؤلف قدم لنا دراسات مركزة عن هؤلاء الرجال الأفذاذ . امتازت بالتحليل العميق للكشف عن قيم عليا رفيعة كل منهم ، ويقع الكتاب فى ست عشرة ومائتى صفحة من القطع المتوسط .

حياة آدم :

تأليف : محمود شلبى

الناشر : مكتبة القاهرة

يقع هذا الكتاب فى مائة وست وعشرين صفحة من القطع الكبير ، بحث فيه المؤلف : ما قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، ومتى خلق الله آدم ، وقصة الصراع بينه وبين إبليس ، والمجادلة بين روحى آدم وموسى ، وهل كان إبليس من الجن أو من الملائكة ، وهل الجنة التى خرج منها آدم ، هى جنة الخلد أو جنة الأرض

وقد اعتمد المؤلف فى دراسته لحياة آدم عليه السلام على كتب التفسير المختلفة ، وناقش كثيراً من آراء المفسرين .

مجتمعنا العربى كما ينبغى أن يكون :

تأليف : أحمد محمد جمال

الناشر : رابطة العالم الإسلامى

هذا الكتاب على إيجازه ، قدم لنا موضوعا على جانب من الأهمية ، فالتيارات الدخيلة التى تسللت إلى العالم العربى ، أضعفت كثيراً من القيم التى كانت تسود المجتمع العربى ، ووجدت أجهزة الأعلام كلها مسخرة لها فى نشرها .

وبعد أن كشف المؤلف الستار عن تلك التيارات الدخيلة ، رأى أن يقوم مجتمعنا العربى على أسس أربعة : هى نفس الأسس التى قام عليها المجتمع الإسلامى : أولا : أن الحاكم المسلم خليفة الله فى تطبيق شريعته بين خلقه ، وثانيا : وحدة المحكومين وحريتهم ، وثالثا : الشورى ، ورابعا : حرية الاقتصاد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فتاوى مختارة

تقديم : ابراهيم محمد الجميل

(الاجابة لجنة الفتوى)

شرب الدخان :

السؤال :

ما حكم الشرع الحنيف فى شرب الدخان ؟.

حسن الرملى

الجواب :

شرب الدخان إن ترتب عليه ضرر فى البدن كان ممنوعا ، وكذا إن ترتب عليه ضرر بالمال ، إلا إذا احتيج إليه لدواء ، فلا يكون ممنوعا حينئذ ، فإن لم يترتب عليه ضرر بالبدن أو المال ، ولم يحتج إليه لدواء ، كان مباحا استصحابا للأصل لأن الأصل فى الأشياء الإباحة .

قص شعر السيدات :

السؤال :

صاحب صالون للسيدات يقص شعرهن ويصبغه ويكويه ، ويقوم بتزيين العرايس وتزجيج الحواجب .

فما حكم الشرع بالنسبة لذلك ؟

عبد الرءوف عبد الرزاق

الجواب :

ما تسأل عنه من شأنه إثارة الغرائز والإيقاع فى الفتنة ، ولا حاجة تدعو إلى أن يقوم به رجل ، فغيره من النساء يصلح له فلا يحل له أن يتخذه مهنة ، تسترزق منها وواجبه أن يتخذ طريقا آخر للرزق غير هذا والمحافظة على دينه تحتم عليه أن يتخلى عن هذا العمل .

السؤال :

١ — هل يصح ذبح البقرة إذا مات والد الزوجة أو والدتها ، وإطعام الطعام عند أهلها كما هى العادة فى بلادنا ؟

٢ — هل يجوز أن تغنى المرأة للعروس مع ضرب الدف ، والرقص والتصفيق ؟

٣ — هل يجوز ضرب الدف مع التصفيق أو بغير التصفيق ؟

٤ — هل يجوز عمل المولد النبى صلى الله عليه وسلم على أرض اليتامى إذا كان ينتفع منها اليتيم أو لا ينتفع منه ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٥ ـــ هل يجوز تقديس بعض الأماكن اعتقادا بان وليـــا عاش عليها ، أو عبد فيها الله ؟

محمد إسماعيل أبو دانيوس ـ أرتهيا

الجواب :

عن الأول : بأن ذبح البقرة أو غيرها حين الوفاة بنية التصدق على الفقراء وإهداء ثوابها للميت لا شيء فيه ، إذا لم يصحب ذلك حب الرياء والسمعة وكون ذلك فى بيت الميت لا مانع منه .

وعن الثانى والثالث : غناء النساء فى الأفراح للعروس ، وضرب الدف لذلك لا مانع منه إذا لم يقترن بمحرم من اختلاط الرجال بالنساء ، أو غـــير ذلك أما الرقص والتصفيق ، فغير جائز ، إذ هو من اللهو غير المباح .

وعن الرابع : بأن عمل المولد النبوى لا مانع منه ، إذا لم يصحبه محرم ؛ وعمله على أرض اليتامى جائز إذا لم يترتب على ذلك ضرر بهم .

وعن الخامس : بأن الأماكن التى ورد الشرع بتعظيمها كشاعر الحج والمساجـــد وخاصة المساجد الثلاثة لا مانع من تعظيمها ومراعاة حرمتها ، وما عدا ذلك مما لم يرد فيه نص فلا خصوصية له على غيره .

السؤال :

فى عام ١٩٠٠ اشترى (أ) من (ب) قطعة أرض مساحتها فدان بمبلغ ٤٠٠ جنيه ، وظل المشترى يماطل فى أداء الثمن ، حتى تغيرت الظروف الاقتصادية ، فارتفعت قيمة الأرض فأصبح ثمنها ٨٠٠ جنيه فى عام ١٩٦٠ ، وهو عام السداد .

هل يسدد المشترى مبلغ ٤٠٠ جنيه فقط أم يسدد مبلغ ٨٠٠ جنيه وهو السعر وقت السداد ؟ .

فتحى محمد الكشكى

الجواب :

المستحق هو الثمن الذى وقع عليه العقد ، وتغير الظروف وارتفاع قيمة الأرض المبيعة لا يؤثر فى صحة العقد ، ولا يغير من قدر الثمن فإنها ارتفعت قيمتها ، وهى فى ملك المشترى كما أنه لو انخفضت قيمتها بعد العقد فإن المستحق هو المسمى وقت البيع بدون نظـــر إلى ما حصل من انخفاض بعد ذلك .

السؤال :

رجل مريض بالربو ، أمره الطبيب بأن يكون دائما فى حالة دفء يخاف من استعمال الماء البارد فى الوضوء أن يزيد من مرضه أو يؤخر من شفائه ، فهل له أن يتيمم للصلاة

عبد الدائم محمود عبد الله ـ الإسكندرية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجواب :

إذا تيسر له تسخين الماء من غير مشقة وجب عليه تسخينه ، والوضوء منه ، وما لم يتيسر له ذلك ، أو كان فيه مشقة عليه ، جاز له التيمم بنية استباحة الفرض ، ولا يصلى بهذا التيمم إلا فرضا واحدا ، فكل صلاة تحتاج إلى تيمم مستقل ، نعم يجوز له حينئذ أن يصلى مع الفرض نفلا بالتيمم الذى صلى به فرضا .

السؤال :

عندى طفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات ملصق بإصبعه الخنصر اليمنى زائدة تشبه حبة حمص متدلية من آخر الإصبع ، وهذه الزائدة تكبر وتنمو معه .

وأخشى من استفحالها مستقبلا وقد عرضتها على أحد الأطباء فقرر قطعها إلا أنى شككت فى أن يكون فى ذلك حرمة على لأنه مولود بها .

فما الحكم فى قطعها ؟

عبد النبى أحمد غازى

الجواب :

الزائدة التى ولد بها ولدك بجانب خنصر يده اليمنى يجوز لك قطعها ، إذا لم يكن فى قطعها خطر أو كان الخطر فى تركها أكثر من الخطر فى قطعها ، ويمتنع عليك القطع إذا اختص الخطر بالقطع ، أو كان الخطر فى القطع أكثر من الخطر فى بقائها ، أو تساوى الخطر فى القطع والترك ويعرف ذلك بقول الطبيب العدل العارف .

النذر المعين وهل يغير مصرفه ؟ :

السؤال :

نذر فقه احتيج لقيمته فى عمارة المسجد الوحيد الموجود بالقرية .

فهل يجوز صرف هذا النذر فى عمارة المسجد . ؟

وهذا النذر عبارة عن ذبيحة تذبح كل عام يدعى لها الفقراء ليطعموا منها ، ويقيموا ذكرا كما هو معروف .

محمد أحمد سعد

الجواب :

مصرف النذر هو ما عينه الناذر بنذره ، وما دام الناذر قد جعل مصرف النذر هو إطعام الفقراء فلا يعدل بذلك إلى صرفه فى عمارة المسجد .

السؤال :

١ — ما حكم الشرع فى كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية المعروفة ؟

٢ — هل يجوز إمامة رجل يعلم ابنه فى المدارس اللاتينية التى يدرس فيها القرآن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أيضا باللاتينية ، ويرضى لابنه لبس البرنيطة ما حكم الشرع فى هذه المسائل ؟

٣ — هل يجوز الاستماع لتلاوة القرآن الكريم من جهاز (الراديو) — وما حكم هذا فى الشرع بالتفصيل ؟ وما الفرق بين ما ذا كان تسجيلا أم لا ؟

بعض علماء اليونان

الجواب :

نجيب عن الأول بأن اللغة اللاتينية خالية من عدة حروف توافق الحروف العربية فلا تؤدى جميع ما تؤديه اللغة العربية بحروفها فلو كتب القرآن الكريم بالحروف اللاتينية على طريقة النظم العربى كما يفهم من الاستفتاء لوقع الإخلال، والتحريف فى لفظه ، وتبعها تغيير المعنى وفساده ، وقد قضت نصوص الشريعة بأن يصان القرآن من كل ما يعرضه للتبديل أو التحريف .

وأجمع علماء الإسلام سلفا وخلفا على أن كل تصرف فى القرآن الكريم، يؤدى إلى تحريف فى لفظه ، أو تغيير فى معناه . ممنوع منعا باتا ومحرم تحريما قاطعا. وقد التزم الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية .

ومن هذا تبين أن كتابة القرآن بالحروف اللاتينية المعروفة لايجوز، ومن اشتغل بهذا فهو فاسق، وإمامته مكروهة ، فان استحل ذلك كان كافرا لا تصح إمامته —

وعن الثانى: بأن تعليم الولد فى تلك المدارس من حيث هو تعليم. لا شىء فيه إذا كان خاليا عما يمس العقيدة والدين، غير أن مزج المناهج فى تلك المدارس بحصص تعليم القرآن باللاتينية الذى هو غير جائز، والذى لا يمكن للتلميذ أن يتخلف عنه لأنه يجب عليه أن ينتظم فى سلك الدراسة مع أقرانه يجعل تعليم الولد فيها منهيا عنه إذ أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

أما لبس البرنيطة فقد أصبح غير خاص بالكفار فلا شىء فيه .

وعن الثالث نفيد بأن استماع القرآن الكريم من جهاز (الراديو) لاشى فيه ؛ بل هو عبادة متى كان محافظا على آداب الاستماع ، (وإذ قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون). وهذه الكيفية من القراءة (فى الراديو) لاشئ فيها ، بل هى من باب « وتعاونوا على البر والتقوى » لما فيها من نشر القرآن الكريم وإذاعته بين الناس لعلهم يهتدون، ولا فرق بين أن يكون ذلك تسجيلا أو من المقرئ نفسه فى الإذاعة ...

الزواج من مطلقة أبى الزوجة .

السؤال :

تزوج رجل بامرأة، وتزوج والد زوجته بامرأة أخرى ؛ وحصلت مفارقة بين والد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القرآن ؟ فهل تغير جوهر العقيدة التي تسلمها الأولون من السيد المسيح ؟ » .

الفريد هافنيث

* * *

يبدو أن الأب الفريد لم يقرأ العبارة التي وردت في آخر المقال عن أن القرآن وثيقة دينية إلى جانب أنه وثيقة تاريخية ، في ضوء ما سبق من كلام ، نخيل إليه أننا نخلط بين النص الديني والنص التاريخي ، ولذلك وجب أن نبرز المعنى المقصود تفصيلا بعد أن أجملناه بقولنا « والقرآن مرآة صادقة للعصر الذي نزل فيه على محمد عليه السلام » .

فالقرآن من جهة أنه « مرآة » لهذه الفترة التي نزل فيها منجما في بضعة وعشرين عاما ، يؤرخ كذلك لهذه الفترة ، لا بالذات بل بالعرض ، لأن غرض القرآن بالذات بيان أصول الدين من إثبات وجوده ووحدانيته وصفاته ، ثم إثبات نبوة الأنبياء والرسل وآخرهم محمد خاتم النبيين ، ثم البعث في الآخرة .

وبيان أصول التشريع والعبادات والمعاملات والأخلاق . أما بالعرض فإن الآيات المختلفة نزلت في مناسبات ووقائع ، فكانت تصويرا لجدل بين النبي والكفار من أهل قريش أو اليهود الذين كانوا يحاجون النبي ، أو كانت تشريعا نزل بعد غزوة أو غير ذلك . ونحن نعرف أن العرب كانوا أمة أمية لم يعنوا بالتدوين في كتب ، ولولا ان هذه الأمور أثبتت في القرآن ما علم بها أحد . وإنما حفظ العرب من جاهليتهم قصائد من الشعر ، وبعض الأمثال ، جرت في صفحة الذهن من جيل إلى آخر حتى دونت بعد قرن من الزمان من ظهور الإسلام . وقد شك كثير من العلماء في الشعر الجاهلي وذهبوا إلى أنه وضع وضعاً بعد الإسلام . ولكن هؤلاء العلماء - وهم من المستشرقين ، لم يشكوا أبداً في القرآن ، لأن تدوينه وحفظه تم في زمان مبكر في عهد عثمان بن عفان ، وروعيت في كتابة المصحف ضمانات شديدة تبعد عنه أي شك . وإذا كان القرآن نصاً صادقاً ووثيقة صحيحة ، فقد اعتمد عليه بعض المستشرقين في تصوير حياة النبي ، كما فعل الأستاذ بلاشير في كتابه عن « محمد » إذ اتخذ من القرآن نفسه أول مصدر ، يتلوه في القيمة الأحاديث . فالقرآن يصف النبي بأنه « المدثر » أو « المزمل » ويأمره بأن يقوم لينذر . وفيه وصف كذلك لإيذاء العرب له ، وبخاصة أبي لهب ، كما جاء في القرآن « تبت يدا أبي لهب وتب » . وهكذا تستطيع أن تمضي من القرآن وحده فتستخرج منه صورة « صادقة » لحياة النبي ، ما دمت قد اتخذت من القرآن « وثيقة تاريخية » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلا حاجة فالأب الفاضل لأن يدعو « الباحث أن يميز بين الإيمان والتاريخ » كما يقول ، بعد ما وضحناه . ثم إن الذى دعا إلى التميز بين القرآن باعتباره وثيقة دينية وبينه باعتباره وثيقة تاريخية ، البحث فى الحنيفية والحنفاء ، والموازنة بين ما ورد من أخبار جاهلية عن هذا المصطلح و بين ما جاء فى القرآن ، هما دعانا إلى ترجيح النص القرآنى على الأخبار الجاهلية ، للسبب الذى وضحناه من قبل وهو صحة النص القرآنى تاريخيا .

أما الملاحظة الثانية التى أوردها الأب الفاضل عن انحراف أهل الكتاب فى الجاهلية وضلالهم بصرف النظر عن حكاية القرآن عنهم ، وإثبات ذلك « تاريخيا » فالجواب أنه ليس لدينا دليل تاريخى سوى ما جاء فى القرآن ، وليست مهمتنا التنقيب عن هذه الأدلة التاريخية ، أما قوله « هل تغير جوهر العقيدة التى تسلمها الأولون من السيد المسيح فالجواب أيضاً من القرآن الذى كان يحاج أهل الكتاب : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » المائدة / ٧٣ . وفى المائدة أيضاً آية ١١٦ : « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته » . وليس لنا شأن بعقيدة المؤمنين بألوهية المسيح ، وألوهية السيدة مريم فإنهم أحرار فى فهم دينهم ، وعليهم هم أن يلتمسوا إلى جانب النصوص الدينية - إن وجدت - ما يثبت ذلك تاريخيا ، إن وجدت الأسانيد التاريخية فى القرن الأول ، ونود أن نحيل الأب على المجامع الدينية ، مثل مجمع نيقية الذى انعقد للتوفيق بين المذاهب المختلفة ، ولم ينته إلى نتيجة ، ونحيله أيضاً إلى تاريخ آريوس ، وإلى تاريخ النساطرة الذين كانوا يعتقدون بأن المسيح عليه السلام ذو طبيعتين وأنه كان على الأرض إنسانا ، ونحيله ثالثاً إلى الخلافات العديدة بين الملكانية وبين اليعاقبة ، وكيف كان الملكانيون فى مصر يعذبون اليعاقبة ؟

دكتور أحمد فؤاد الأهوانى

* * *

فى محيط الأزهر

• حددت مشيخة الأزهر يوم ٢٩ من شهر أبريل القادم موعداً لانعقاد المؤتمر الثانى لعلماء الدول الإسلامية ، هذا وقد صرح الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأنه روعى فى تحديد هذا الموعد أن يكون علماء المسلمين قد انتهوا من تأدية فريضة الحج ، وتفرغوا لنشاط المؤتمر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى محيط العالم الإسلامى

• إيران المسلمة :

من المسلم به أنه لا يكاد يوجد عربى واحد أو مسلم واحد يستسيغ سياسة الحكومة الإيرانية ، ومجاهرتها بالعداء للقضايا العربية التى تتصل بأعماق الإسلام نفسه ، وأقصد قضية فلسطين .

والمعروف أن إيران المسلمة التى تضم عشرين مليونا والمسلمون بها أكثر من ٩٩ ٪ كلهم من الشيعة ، ماعدا زهاء مليون سنى ، تقف هذا الموقف الذى تتحدى به شعور أربعمائة مليون مسلم ، دون أن تبالى بالعواقب الوخيمة .

ولعل أقرب الأمثلة اغتيال رئيس وزرائها الذى لقى حتفه برصاصات شاب مسلم متدين ، قال الشاب المسلم محمد نجارى فى التحقيق : إنه أراد قتل حسن على منصور رئيس الوزراء ، لأن سياسة حكومته مخالفة لمبادئ الإسلام .

وفى عام ١٩٥١ قتلت جماعة فدائيان إسلام رئيس حكومة إيران الأسبق على رازمار ، وحاولت قتل حسين علاء رئيس الحكومة بعد أربعة أعوام ..

نريد أن نقول : إن الإسلام بخير فى إيران ، وسوف يستطيع فى القريب أن يضع حداً لطغيان شاه إيران ، وحكوماته التى يصنع منها الاستعمار أداة لتحدى العرب والمسلمين .

* * *

نيجيريا :

إن الأزمة التى بدت طلائعها فى نيجيريا يجب أن نهتم بها ، وأن ندرك عن يقين أن الاستعمار البريطانى يلعب دورا خطيرا بتدبير مؤامراته على نيجيريا .

والذى لم تستوفه الأنباء حقه ، هو أن بداية الأزمة نشأت بعد أن هاجمت صحف نيجيريا الشرقية ، التى تسيطر عليها الوثنية وغيرها ، الإسلام هجوما عنيفا ، تصدت للرد عليه نيجيريا الشمالية . ومن الجدير بالذكر أن نيجيريا يبلغ عدد سكانها زهاء ٢٢ مليونا يمثل المسلمون بينهم أكثر من ٥٠ ٪ .

وفى نيجيريا الشمالية زهاء ١٧ مليونا يبلغ المسلمون منهم زهاء ١٢ مليونا ، وكانت تضم عدة إمارات إسلامية ، حتى وفد عليها الاستعمار البريطانى فى القرن التاسع عشر عن طريق الشركات التجارية ، ووقعت فى قبضته عام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

• من المتوقع نجاح مباحثات البترول بين فرنسا والجزائر ، ومن المعروف أن هناك أملا فى إنتاج واحد وعشرين مليونا ونصف مليون طن من البترول سنويا ، وتنص الاتفاقية على أن تحصل الجزائر على نسبة أكثر من عوائد البترول ، وأن تزيد رقابتها على شركة البترول الفرنسية (ريبال) التى تمتلك الآن ٤٠ ٪ من أسهمها ، كذلك يقضى الاتفاق باشتراك فرنسا والجزائر فى تنفيذ عمليات اكتشاف واستغلال آبار البترول الجديدة فى الصحراء .

• ألغيت الأحكام العرفية فى العراق ، على أن تحل محل هذه الأحكام ، حالة الطوارئ فى الحالات الموجهة ، وأن تحال القضايا المعروضة عليها إلى محاكم أمن الدولة التى جرى تشكيلها .

• أذاعت وزارة الخارجية فى تركيا ، أن عدد القتلى من الأتراك خلال الأزمة القبرصية هذا العام بلغ ٢١٠ قتيل ، وعدد الجرحى ٢٢٣ بالإضافة إلى ٢٠٨ من المفقودين و ٦٨٢ تم احتجازهم كرهائن أطلق سراحهم ما عدا ٢١ شخصا ما زالوا فى الاعتقالات لأسباب سياسية ، ومن الجدير بالذكر أن رئيس وفد تركيا فى هيئة الأمم قد صرح أخيرا : بعد أجل القوات الدولية ثلاثة أشهر فى قبرص بعد مارس القادم .

• الولايات المتحدة تعيد النظر فى معونتها لأندونيسيا بسبب انسحابها من هيئة الأمم ومن المعروف أن أمريكا خصصت عشرة ملايين دولار معونة لأندونيسيا .

• اجتاحت الاضطرابات الباكستان عقب الانتخابات التى فاز فيها أيوب خان ، ومن المعروف : أن فاطمة جناح المنافسة للرئيس المنتخب هى التى تتزعم المعارضة . هذا وقد تألفت لجنة من كبار رجال الحكومة لإجراء تحقيق بشأن حوادث العنف التى وقعت فى كراتشى ، وأدت إلى قتل بضعة عشر شخصا ، وجرح ٣٠٠ ، وتشريد ٢٠٠٠ شخص وعارضت المعارضة تكوين اللجنة ، ورأت تأليفها من رجال القضاء ، وليس من رجال الحكومة .

• طلبت الصومال من الجمهورية العربية المتحدة العدد اللازم لها من خبراء التعليم الصناعى لمعهد (مارجيسا) وذلك بعد انسحاب الخبراء الانجليز مما هدد المعهد بالتعطل .

• صرح الرئيس ابن بيلا فى مقال نشر فى صحيفة (وينولوسيون إيه ترافاى) الأسبوعية التى يصدرها اتحاد العمال الجزائريين أن الإسلام يجب أن يكون قاعدة النظام الاشتراكى فى الجزائر ، إن مستقبلنا يعتمد على الاشتراكية ، والعودة إلى المصادر الإسلامية التى تكشف لنا عن ثورة التقاليد ، والثقافة القائمة على العدالة والحرية والإنسانية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١٨٥١ . واعترفت دول أوربا بهذا الحق في مؤتمر برلين عام ١٨٥٥ .

تركيا :

إن الأنباء التي ذاعت أخيرا من أن تركيا تنوى تعديل سياستها للتقارب نحو الدول العربية والإسلامية ، مما يسر له كل عربي ومسلم .

وقد صرح سعدى كوكار العضو بمجلس الشيوخ التركى ، ورقيب بعثة الصداقة التركية التي زارت الأردن أخيرا بأن تركيا قررت انتهاج سياسة جديده تجاه الدول العربية تقسم بالتقارب والتفاهم ، وإقامة علاقات الصداقة ، وقد حث الدول العربية والإسلامية على تناسي الخلافات والتعاون من أجل قوة عالمية إسلامية ، كما ذكر أن تركيا ستعمل قريبا وتدريجيا على تخفيف علاقاتها بإسرائيل .

وهذا وقد زارت البعثة التركية دمشق وبيروت ، ثم القاهرة ، إننا نتمنى أن تصدق تركيا في اتجاهاتها الجديدة ، حتى تتخلص نهائيا من وصمة علاقاتها بإسرائيل ، فإن هذه النقطة بالذات هي التي تحدد نية تركيا نحو العرب والمسلمين .

تركيا الإسلامية التي يمثل سكانها الـ ٢٢ مليونا أكثر من ٩٨ ٪ من المسلمين ، والتي ارتبطت بالإسلام ارتباطا تاريخيا وسياسيا زهاء عدة قرون .

الكويت :

نشر أخيرا أن حكومة الكويت تفكر في إلغاء قرار حظر بيع الخمور وتعاطيها وذلك بعد أن توفى عدد من المدمنين بسبب إصابتهم بالتسمم لتعاطيهم الخمور ، وقالت صحف الكويت : إن الحكومة شكلت لجنة خاصة لدراسة مساوئ منع بيع الخمور ، وإمكان إلغاء قرار الحظر الذى صدر في منتصف عام ١٩٦٤ ، ومعظم حالات التسمم نتجت عن شرب ماء الكولونيا بدلا من المشروبات الروحية .

ونحن نرجو أن لا تخطو حكومة الكويت المسلمة: حكومة وشعبا، هذه الخطوة، فإباحة الخمر أقل ما يقال فيها: إنها تحد للشريعة الإسلامية ولا أظن أن وفاة بضعة أشخاص يمكن أن يكون وسيلة لإباحة الخمر التي حرمها الإسلام وما يترتب عليها من أضرار مالية وصحية تصيب المئات والآلاف فيما بعد .

* * *

أخبار قصيرة :

هددت أندونيسيا ماليزيا بالاعتراف بحكومة ثوار ماليزيا التي يتزعمها الأزهرى إذا ازدادت حدة النزاع بينها وبين ماليزيا .

والمعروف أن كثيرا من وساطات الدول لم تستطع بعد أن توفق بين ماليزيا وأندونيسيا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

et la plus détaillée qu'aucun enseignement pratique n'ait jamais fournie: mais, sous cet édifice colossale, nous le voyons jeter les assises les plus solides de la connaissance théorique. Posez-lui par exemple la question suivante : Sur quel fondement repose la loi du devoir Koranique, dans quelle source puise-t-elle son autorité ? Il vous répondra que la distinction du bien et du mal, avant d'être une législation céleste, est une révélation intérieure, inscrite dans l'âme humaine; qu'en dernière analyse la vertu tient son ascendant de sa propre nature et de sa valeur intrinsèque; et qu'ainsi Raison et Révélation ne sont qu'une double lumière révélatrice d'un même objet, une double traduction d'une seule et même réalité orgininelle, enracinée dans le found des choses.

Interrogez-le ensuite sur les caractères de cette loi et l'étendue de son pouvoir. Il vous dira que c'est une loi universelle et éternelle, qui assure à l'humanité ses légitims aspirations, mais qui s'oppose catégoriquement à ses appétits capricieux et arbitraires.

Interrogez-le en outre sur la responsabilité humaine, ses conditions et ses limites ; sur le moyen efficace d'acquérir la vertu ; sur le principe supérieur qui doit déterminer la volonté à agir, ou sur n'importe quel principe général qu'un moraliste conscient de son œuvre ne peut se passer de s'en faire une idée. Vous y trouverez à chaque question une formule précise et tranchante qui s'impose comme l'unique réponse, propre à rallier les consciences les plus éveillées et les plus équilibrées.

Et ce qui achève de capter notre admiration, c'est de voir avec quel contraste frappant les réponses à ces questions se présentent dans le Kor'an et ailleurs. Eh bien ! Tandis que, sous la lumière instantanée du Kor'an, ces vérités fondamentales sont mises définitivement au jour depuis bientôt quatorze siècles, les pensées les plus laborieuses qui les recherchent en dehors de cette lumière procèdent encore par tâtonnement, n'en découvrent quelques fragments qu'à de très longues échéances, et non sans tomber le plus souvent dans des erreurs grossières.

Corrigé
par
IBRAHIM M. EL ASSIL

Révisé et choisi
par
DR. AFIFY ABDUL-FATTAH

(suite)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

simple, l'autre en une conviction profonde, agissante et entraînante— toujours est-il que la philosophie dans sa partie la plus élevée et la religion sous toutes ses formes ont un double objet commun : résoudre le problème de l'existence, son origine et sa destinée, et définir la manière d'agir la plus sage et la plus propre à procurer le bonheur.

Mais ce qui démontre mieux l'affinité de la matière Koranique en particulier avec celle de la philosophie, c'est qu'en exposant sa doctrine sur la vérité et la vertu, le Kor'an non seulement en appelle toujours au bon sens, incite constamment à la réflexion et à la méditation, mais il entreprend lui-même de prouver et de justifier ce qu'il avance. Bien plus ! la nature de ses arguments et la manière dont il administre la preuve son choisis de telle façon qu'elles convainquent les philosophes les plus subtils, les logiciens les plus rigoureux, en même temps qu'elles satisfont les exigences les plus réalistes, les goûts poétiques les plus raffinés, les intnitions les plus ordinaires. Il ne suffit donc pas dire que le Kor'an ne condamne pas la vraie philosophie, fille de la réflexion mûre et amoureuse de la certitude. Il ne suffit même pas de dire qu'il l'autorise ou qu'il l'encourrge ou qu'il se prête volontiers à son examen impartial. Il faut ajouter qu'il l'alimente d'une abondante matière en sujets et en arguments.

Le Kor'an, certes, ne nous présente pas ces vèrités fondamentales réunies sous la forme d'un système unifié. Mais, à défaut d'un tel système tout fait, n'existe-t-il pas dans ce Livre tous les éléments nécessaires et suffisants pour le construire ?

Que le Kor'an contienne tous les éléments fondamentaux de la philosophie religieuse : origine et destnée de l'homme et du monde, principes de cause et de fin, notions d'âme, de Dieu etc.. cela ne nous paraît point douteux, et le développement d'un tel sujet mériterait qu'on lui consacrât un travail indépendant.

Mais que ce Livre se soit prononcé en même temps sur les fondements de la théorie morale, voilà la première question que nous nous sommes posée dans la présente étude, et à laquelle nous avons consacré le plus gros de notre effort.

Et nous croyons être en mesure d'annoncer, dès à présent, qu'à la question ainsi posée, nous avons trouvé une réponse claire, pleinement affirmative.

Le Kor'an ne se contente pas, en effet, d'avoir posé la règle de la conduite de la façon la plus étendue

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

"La Morale du Korân"

Par

DR. MOHAMMAD ABDULLAH DRAZ

(4)

—La philosophie, au sens usuel du mot, est l'œuvre d'une pensée discursive, appuyée sur les seules lumières naturelles, et où l'on passe d'un jugement à l'autre avec une certaine méthode pour arriver à établir un système capable d'expliquer les choses en général ou un certain ordre de choses. Or il est évident que cet effort intellectuel et cette démarche progressive ne cadrent pas avec la lumière d'une révélation qui, sans recherche ni attente, inonde, l'âme et lui fournit instantanément un bloc de connaissances dans lesquelles les prémisses ne précèdent pas la conclusion, ni l'antécédent le conséquent.

Le Kor'an n'est donc pas une œuvre philosophique, en ce sens qu'il n'est pas le produit d'une philosophie et n'utilise pas les procédés d'acquisition philosophique. Ajoutez qu'il ne suit pas non plus les procédés didactiques des philosophes. A leur méthode rationnelle d'exposer (définition, division, argumentation, objections et reponses) qui est d'une cohésion incontestable, mais qui n'affecte qu'un seul côté de l'âme, sa partie intellectuelle, le Kor'an substitue sa méthode à lui. S'adressant à l'âme tout entière, il lui fournit une nourriture complète, où la raison et le cœur ont leur part égale.

Ainsi l'enseignement Koranique et l'enseignement philosophique se séparent tant à leurs sources qu'à leurs méthodes. En est-il de même de leur objet et de leur but ?

L'admettre, ce serait proclamer, sciemment ou inconsciemment que le Kor'an n'est pas un livre de religion. Car, quelles que puissent être leurs différences — que l'une prenne sa source dans le tâtonnement de la raison, l'autre dans la pleine lumière de la révélation, ou que toutes les deux se laissent guider parfois par le mirage de l'imagination; que l'une consiste en un savoir pur et

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

FASTING IN ISLAM

By : IBRAHIM - M - EL-ASSIL
(Islamic Research Academi)

"O you who believe! Fasting is enjoined on you, as it was enjoined on those before you, that you may ward off (evil)".(2:183).

Fasting, the third of the five pillars of Islam, is of profound significance to Muslims all over the world. To regard it as a mere injunction ordained by God for Muslims to obey, will be to minimize its overwheming blessing. It has in itself its own vitality, which is revealed only to the person who undergoes the exercise and experience of the fast. In its every part, fasting is never void of its quintessence which amply bespeak its greatness as a divine ordinance.

The universality and the purpose of fasting are stated and stressed in unequivocal terms in the Holy Qur'an as mentioned in preceded verse.

The institution of fasting is not peculiar to Islam,. Before the advent of Islam, fasting, was practised for the atonement of sins or for the attainment of salvation, when a man committed any transgression, he felt that he had incurred the warth of his deity, whom he wanted to propitiate by abstaining from food.

Fasting, then, was one of the methods of self-immolation. The ancients realized well that surfeiting prevents man from making spiritual headway, so that he becomes a slave to his Carnal desires. So we find fasting to be an important part of all divine religions.

But Islam gave to humanity a new interpretation of all ancient institution. Unlike the fasting of other religions, Islamic fasting is more genuine, pure and solemn inasmuch as it is neither a penance nor a punishment. It is one of the basic rungs of the ladder that leads to Heaven. Its aim is to enable Muslims to guard against tempting evils-animal passions, wicked words and impure thoughts. It creates a remarkable degree of unity and discipline among the Muslims. Total abnegation of food and drink is the order of the day in glittering palaces and in tottering huts.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Quran and Freedom of Belief

BY : MOHIADDIN ALWAYE

لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم .
(٢٥٦ البقرة)

"There is no compulsion in religion, the right direction is henceforth distinct from error. And he who rejects satan and believes in Allah grasped a firm handhold which will never break. Allah is Hearer and Knower."

Surah 11 (*The cow*) *verse 256.*

In this verse Qur'an declares that there should be no compulsion in religion. The Qur'an has also repeated that the belief in all prophets is an essential part of Islamic faith. As the Holy Quran says :"

إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً. والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيما .
(١٥٠ ـ ١٥٢ النساء)

"Lo ! those who disbelieve in Allah and His messengers, and Say: We believe in some and disbelive in others and seek to choose a way in between ; Such are djsbelivers in trouth., and for disbelievers we prepare shameful doom. But those who believe in Allah and His messengers and make no distinction between any of them, unto them Allah will give their wages, and Allah was ever forgiving, Merciful."

Surah IV (Women) verses 150, 151, 152

After establishing the necessity of belief in all prophets imperatively the Qur'an declares that all believers are one community :

إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون .
فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون.
(٥٢ و ٥٣ المؤمنون)

"And lo ! this your religion is one religion and I am your lord, So keep your duty unto Me.

But they (mankind) have broken their religion among them sects, each group rejoicing in its tenets."

Surah XXIII (The belivers) Vorses 52,53

The above Quranic verses call the believers to work for communal amity and harmony. In this way Islam aims at to establish unity and brotherhood in humankind.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

to this responsibility. On the Day of Judgment, God will direct His speech to both spicies. The Holy Verse says :

" O community of the Jinn and men, did there not come to you messengers from among you relating to you My messages and warning you of the meeting of this Day of yours ? . . .

It is noteworthy here that the Qur'an in its speech about the Jinn, did not make the belief in their existence as a basic principle in Islamic faith, as it did with regard to the Angels. The belief in the Jinn is derived only from the belief in the truthfulness of the Qur'an in its speech about them.

QUESTION :

What is the third basic principle of Islamic faith ?

ANSWER :

The belief in God and the Angels requires the belief in the messages from God to His servants through the Angels.

The divine messages are contained in the Divine Books which include the bases of faith, the ways of worship and the lawful and unlawful things.

Therefore, Islam requires faith in the Divine Books which were revealed to the Prophets of God, including the Holy Quran which was revealed to the Prophet Muhammed, the Scriptures of Abraham, the Torah of Moses, and the Gospel of Jesus.

QUESTION :

What is the difference between the Holy Quran and previous scriptures ?

ANSWER :

This difference may be summerized in the following :

First : The original texts of the previous scriptures were lost. What remained of them were mere translations. But the Quran is the only Divine Book which is still preserved in all its original language, word by word.

Second : Other scriptures were mixed with commentaries of interpreters, so that it is difficult to distinguish in them between God's words and human interpretations. The case is not so with regard to the Qur'an.

Third : Other scriptures were not recieved by their followers through authentic and successive transfer from one generation to another, as in the case of the Qur'an. The Pentateuch of Moses were not all written in Moses days. Some of it were authored after him by five centuries, some by seven centuries and even some other parts by more

(See page 7)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

"And surely there are keepers over you. Honourable recorders. They know what you do".

These functions of the Angels are pertaining to the world of the unseen.

As we are not told about, the reality of the Angels and how they are created, but we are ordered to believe in their existence. It is not properly religious to initiate any information about their creation. It is a disbelief if we deny their existence, since the Holy Quran told us about them. One of the clear verses about the Angels is as follow :

"Praise be to God, the Creator of the heavens and the earth, who appointh the Angels messengers having wings two, three and four,

He increases in creation what He pleases. Surely God is possessor of power over all things".

QUESTION :

What is the difference between the Angels and the Jinn ?

ANSWER :

The Jinn are other kind of creatures pertaining to the world of the unseen. While the Qur'an did not tell us about the matter out of which the Angels were created, it speaks about the matter out of which the Jinn were created. It says:

"And He created the Jinn of a flame of fire."

On the other hand, while the Qur'an states that the Angels are in honourable close relation to God, and are immune from disobedience to God, it states that some of the Jinn are good and some are bad.

The Jinn differ from the Angels in that the latter convey the revelations of God to messengers and prophets, while the Jinn receive those revelations, like human beings, from messengers and prophets. We read in the Holy Qur'an :

"And when We turned towards you a party of the Jinn, who listened to the Qur'an ; so when they were in its presence, they said : Be silent. Then when it was finished, they turned back to their people warning them. They said : O our people ! We have heared a Book revealed after Moses, verifying that which is before it, guiding to the truth and to a right path. O our people ! Accept the Inviter to God and believe in Him.

He will forgive you some of your sins and protect you from a painful chastisment ".

Morevor, the Angels are not joined with human beings in the religious responsibility, while the Jinn are subject with human beings,

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

FIFTH :

The belief in those words, moreover, creates in man will of power, courage and patience, for he knows that above his power there is the power of God. Thus he is not dismayed by misfortune, and he always be a follower of the way of truth.

SIXTH :

To witness that there is no god but Allah honours man and creats in him content and satisfaction, and purifies him from greed, envy and meanness. He will follow the lawful ways towards his all aims. This is because he believes that God is the Sustainer and Providor of everything.

SEVENTH :

This witness, also obliges one to act according to God's laws and orders. For he is certain that God knows everything, that He is nearer to him than himself, and that He is the All-Knowing. Thus one could not commit any bad action that is prohibited by God. He will hasten to good deeds and act according to God's commandments and orders in all situations, as the Prophet said : "Serve your God as if you see Him, if you see Him not, He sees you".

QUESTION :

What is the second basic principle of Islamic faith ?

ANSWER :

The second basic principle of Islamic faith is the belief in the Angels. The Holy Quran speaks about the Angels as unseen and immaterial creatures carrying different functions, through which they realize God's will in His universe. Some of the Angels convey God's revelation to His Messengers and Prophets, as the Quran says :

"The faithful spirit (Gabriel) has brought it (the Quran) on your heart that you may be a warner".

Some of them are directed to aid the prophets and make firm the believers, according to this verse :

" When your Lord revealed to the Angels : I am with you, so make firm those who believe".

Some others are delegated to give glad tidings to the believers who did good in this life and were abiding by God's orders. The Quran says :

"Say : the Angel of death, who is given charge, of you, will cause you to die, then to your Lord you will be returned".

Still some others are assigned to register peoples' deeds in this life so that their works are to be shown to them on the Day of Judgement. We read in God's Book :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

The Fundamental Belief In Islam

(3)

By : Abdul Wadood Shalaby

What are the practical effects of the witness that "there is no god but Allah", in individuals and society?

This belief creates in man the following effects :

FIRST :

The belief in the oness of god generates in man dignity and self-esteem. If one believes that God is One; that He is the Real Owner of this universe; that there is no harm neither benefit except through Him; that authority and power are only to Him; and that He is the One Who brings all things to life and death-if one really believes in all these he undoubtedly will have no fear from anybody, and will not be subject to any authority but God's alone.

SECOND :

The belief in those words creates humility in the soul, because who believes that there is no god but Allah cannot feel pride over others, and he realizes that Who gave him power and distinction can withdraw them from him if he misuses the favours of God on him.

THIRD :

The believer in those words knows certainly that the only way to success and prosperity is the good deeds. For he knows that the approach to God, the One and the Self-Sufficient, is only through good action. Other religions teach their followers false wishes when they preach that the "Son of God" has redeemed people against sins, or that they are - as followers of those religions-the children of God or His beloved ones, and thus they are immune from punishment for their crimes.

FOURTH :

That who declares faithfully those words harbours no dispair. When he believes that God owns the treasures of the heavens and the earth, he will be sure that God is Full of Mercy for His servants. Even when he is tried with misfortune or poverty, he still is hopeful in the eternal mercy of God.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

your scientific Faculties, laboratories, and in the Faculty of girls, as Al-Azhar wishes you to be, that is to say the bearers of a glorious mission, and you must repay knowledge, because of its benevolence upon you, and this Country, for its kindness towards you and your university which provided for you all kinds of helps and instructions and take this opportunity of youth, before its departure and be keen in acquire knowledge, and make the book your best friend, because it is the pleasent companion in the lonliness and a best helper in company. May God bless you!

We cannot miss this occasion, as we are receiving this new academic- year, to beseech The Almighty God to protect the great President Jamal Abdul Nasser and to guide him to the path of success and victory.

Peace and God's blessing and mercy fall upon you!

(From page 11)

centuries. The case is the same in regarding the main four Gospels in the New Testment.

Fourth : The language of the scriptures were old and extinct while the language of the Quran is in the living Arabic.

Fifth : Creeds and laws of the old scriptures were pertaining to their respective followers. The message of the Quran, however, is directed to humankind in general and in all times.

Sixth : Other scriptures were not safe from change. Some shameful deeds were falsely ascribed to some of God's Messengers and Prophets, although they are immune from committing such things.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

your scientific Faculties, laboratories, and in the Faculty of girls, as Al-Azhar wishes you to be, that is to say the bearers of a glorious mission, and you must repay knowledge, because of its benevolence upon you, and this Country, for its kindness towards you and your university which provided for you all kinds of helps and instructions and take this opportunity of youth, before its departure and be keen in acquire knowledge, and make the book your best friend, because it is the pleasent companion in the lonliness and a best helper in company. May God bless you!

We cannot miss this occasion, as we are receiving this new academic- year, to beseech The Almighty God to protect the great President Jamal Abdul Nasser and to guide him to the path of success and victory.

Peace and God's blessing and mercy fall upon you!

(From page 11)

centuries. The case is the same in regarding the main four Gospels in the New Testment.

Fourth : The language of the scriptures were old and extinct while the language of the Quran is in the living Arabic.

Fifth : Creeds and laws of the old scriptures were pertaining to their respective followers. The message of the Quran, however, is directed to humankind in general and in all times.

Sixth : Other scriptures were not safe from change. Some shameful deeds were falsely ascribed to some of God's Messengers and Prophets, although they are immune from committing such things.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

By this, I do not mean that every one of those who received education from these schools and institutes was far from true patriotism and real nationalism, we find among the (men and women) who were bred up by these schools, some who bear high idealisms in themselves and whose behaviours are aiming at achieving good goals. And you may remember the martyr hero "Gawad Hussiny" in spite of his foreign culture and his English mother he has done his best in defending his country in "Port Said battle 1956".

I do not mean that all those who joined these schools were far away from Islamic spirit or patriotism, what I mean is that the aims of these schools and institutes could never be the Islamic teaching or patriotic training. Those who could overcome these methods, whether they were Muslims or good citizens, there is no doubt that they have good hearts and noble feelings because they were able, by the strong faith and confidence, to turned down the aims of the foreign plans and to foil the imperialistic targets through those methods and designs.

So, if the closing of doors of Al-Azhar before women, enabled many type of harmful culture to be entered to our homes, this harm has been doubled when Al-Azhar neglected the teaching of natural sciences and laboratory arts, then, it soon finds itself isolated from the society, and does not participate, in a way or other, in agriculture, industry, commerce or anything that concerns with man's conduct on this earth for his livelihood, and AL-Azhar's work became nothing but some words in a lesson or a preaching lecture in a pulpit.

Therefore, it was necessary in the view of the revolution, which was and is eager to the welfare of the nation, to develop Al-Azhar in a way that will provide our girls the same chance, what our boys are already getting in the field of knowledge and science, and by this way, it can also connect the scientific mission of Azhar with a laboratory mission. So Al-Azhar would, also be in a active position in the material sphere, as well as its persistent efforts in the spiritual field, and it will be able to deal with religious matters in the spirit of world matters and vice versa. And this is, in the just point of view, is the only way which enables Al-Azhar to serve man in his spirit and body, and to render good services to this country and to all humanity.

Student Girls and Boys !

You are our hopes, so you should be in your Universities, in

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

him, so, the Almighty God answered: "O! Zakaria you are asking me to do something for you which I did not do even for Myself".

Gentelmen:

There is no doubt that Al-Azhar University will follow her reverend father's methods and it will work for the achievement of the same goal. It will not be deviated from its Father's way except in what the changing modern life requires in changing methods and modifying means.

God has created man, firstly from blood and flesh and then soul and spirit, and each has its own characteristics and requirements. Al-Azhar has concentrated its endeavours in taking care with the spiritual side as much it has neglected the materialistic side, in other words, which are more closer to truth, Al-Azhar was directed to do so, for we knew that when the study circles of jurisprudence and literature were moved to Court yards of Al-Azhar free from the narrow sectarianism to the freedom of opinion and thought, it was the teaching centre of astronomy, medicine, mathematics, arithmetic and other sciences and special study circles-as history says-were held in many times for women folk. Women were getting their share in Al-Azhar circles until recently. Perhaps history has not forgotten to mention that great lady who had prepared to obtain the "Al-Azhar Alamia" Degree, and if that lady was allowed to pass the examination and if there were not some illusions in the minds of some people at that time, the system of women's education would have reached to a far and noble aim in Al-Azhar and we would have a more good society which understand the spirit of Islam and we would have saved our homes the evils of ignorance, or the evil of that knowledge, which was in many times, more dangerous than ignorance itself. Because, when Al-Azhar has shut its doors in the face of women, it opened, as much as it closed, doors to foreign schools and institutes, and our girls joined these institutes - girls are always the future mothers - so some of these schools and instituts were working to build homes and create generations which are closely connected with foreign civilization, and proud of it, because of the influence of the culture, that they have recelved through foreigners. This is not strange thing because people always believe in what thay knew and become enemies to what they donot know and the people are in resemblance with their culture more than their fathers and mothers.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

where malice and hatred can hide and to be loosen from time to time to destroy the unity by differences and kill the connection by seperation and to disturb the stability and peace by fear and confusion. The degree of what happend in the different ages was not more than a frivolity which was stirred and faded away, and the extend of what is going on or what will be in future is not more than an article written by a writer in a magazine or a speech delivered by a speaker from a pulpit. Even those, whose religion is different from the religion of overhelming majority of the people of this country, the Azhar was and is still training the refractory souls to be kind to them and pave the way for peaceful existence with them in all walks of life.

The second of these two great facts represented in our country's position among other nations. Al-Azhar has done and is still doing a great deal of good deeds in this field also and is rendering valuable services to this country.

It is Al-Azhar which has filled the hearts of the enemies of this country with fear and respect as it filled the hearts of friends by love and affection. The country that have enmities, in different parts of the world, with adulation, as well as it have intimacies that bound her with care for its benefit and goodness; No doubt that this is a strong and powerful country. It was the right of those who add or take part in making the glory of their country to be honoured and to be loved.

By this it is the right of Al-Azhar, which has added much to the glory of this country, and has provided her with means of leadership, to receive from its citizens what a cause of their progress and a pillar of their glory and dignity is already receiving, whether those are agree or disagree with it because all the citizens are taking their share in the benefit, betterment and world goodwill which Al-Azhar is trying to achieve for all the citizens of this country whether they are Christians or Muslims. If hatred denied right and malice ignored the gratitude, we find in God's reward the best recompensation.

The right and gratitude of Al-Azhar are not the first that are denied, for howmany times have people denied even their Creator and ignored His blessings and let loose their tongues to speak about Him. One of our proverbial literature says that the Prophet Zakaria (peace upon him) has asked his Lord to save him from saying people against

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

and useful effort, the other is based on the fanaticism with the proud of race, blood and relationship. The wisdom is keeping pace with Islam in this matter because the distinction of people must be based on possible way and man has no choice in getting his colour or race, for if so, can any black skinned man to be changed to a white? or can any indian to be a persian, or a persian to be an arabian? So the problem of blood, race and colour is one the problems which causes misery to people, a misery that they have no hope to get rid of it as long as they have not the ability of choosing.

In this way Al-Azhar, has rendered to this human society, many good things which encircle a round the helping of principles, regardless of destinies of races and colours. It made the following Quranic verse as the Axis of all meanings of distinction.

« يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

"O mankind! Lo! we have created you male and female and we have made you nations and tribes that ye may know one another; the noblest of you, in the sight of Allah, is the best in conduct".

By carrying this great and human mission, which is the message of the apostle, peace be upon him, Al-Azhar has done to all people these services and many like them, and by its great efforts it has taken out many people from darkness to light, and led them to the path of goodness it has, also, raised the dead alive, and made the slaves free in the broad meaning of world sphere. In this noble country the usefulness of Al-Azhar was very clear and the services of it were very valuable and perfect. Some selfish forces may be gathered on falsehood and some hearts may carry ill will and malice. Al-Azhar was unfortuntely, denied its right and ignored of its credit, perhaps some of the most closest people to it have said about it what Malik has said about wine or what freedom is saying about imperialism.

But those who bear illwill and malice can not hide two big facts which gave our country, through Al-Azhar, a great deal of immortal goodness and an unforgetable glory.

The first of these facts is represented in the intellectual similarity which our citizens enjoy and this country is living, peacefully, under its shadow, even it has become impossible for any narrow religious difference to find for herself a place,

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

The object of Al-Azhar, in its long history, was only to be a circle in the sphere of calling to Allah and spreading the Message of Islam. It is easy to sum up this Message in three points for which all human kind are looking for to attain and trying to utilise their gains.

The first point : is to chase suspicion, perplexity and restlessness in the human society. The track down of these things means the chase of misery, for there is no misery that is more clear than the misery of perplexity when the hearts are disturbed and the beliefs are shaked.

Al-Azhar has carried the Faith of Islam, in its simplicity, moderation and easiness and by this Faith it has paved for the people the way of spiritual tranquility and stability, and has taken away from their shoulders the burdens of perplexity, anxiety and restlessness.

The Faith of Islam, in its simplicity, moderation and easiness, can be summedup as : that this Universe has one God, who have no partner, and His will, in reforming, in making people happy and in elevating is attached with a great messenger, the prophet Muhammad, prayers and God's peace be showered upon him who is the essence of all prophets and messengers.

The second point : can be summed up in the following : that Al-Azhar, in communicating the Message of the apostle, was always calling people to make themselves free from their tempts and passions so that they may liberate themselves from their conquerors and enslavers. A great number of forces have gathered round it (Al-Azhar) every where, carrying the banner of real freedom which assures that slavery to any one except God is unbearable burden, so let the humanity be liberated from all other kinds of slavery and to make it only for Allah, Lord of the worlds. Because all people are equal, and there is no superiority for Arabs on non-Arabs, except by Virtue. In this way Al-Azhar was, by a direct or an indirect way, a strong impulse in the human society to set the slaves free and to help them to regain their human dignity in many fields, in the, far and near World sphere.

The third point : the glorious Al-Azhar was always calling people to despise fanaticisms, of colour and race because all people came from Adam and Adam was from dust. If one wants to be distinct, he has to be so by his good deeds and the great services he renders to the humanity. There are two ways for seeking distinction among people, the first is based on the good work

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYYAT

SHA'BAN 1384	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	JANUARY 1965

AL-AZHAR: Its Past and Present

By:

H.E. SHAIKH AHMAD HASSAN AL-BAQOURI

Rector of Al-Azhar University

The deliberations of the Academic-year of Al-Azhar University Commenced, this year, with a Conference held in the "Shaikh Muhammad Abduh" hall of Azhar. A large number of University professors and students were present. The Rector of the University, H.E. Shaikh Ahmad Hassan Al-Baqouri delivered a speech in the Conference.

It is not far from truth when we say that this speech is a historical document, as it will give the reader a clear idea of the message and the services of this great international Seat of learning.

The following is the English Version of the Arabic text of the speech — M. Alwaye.

"... On this day, by the preparation for the teaching of medicine, engineering and agriculture in faculties of these subjects, Al-Azhar University is taking a new step in its history. The University has already taken a step that made possible for it to pursue useful studies in the Faculty of Commerce and Faculty of girls, and it will take other steps in the near or far future which will help to begin many kinds of studies, and we do not know what or how it will be for it is still a hidden secret in the knowledge of All knowing Allah.

We beseech Almighty Allah that all the steps, which have been taken and what will be taken by Al-Azhar University should aim at acheiving the noble goal which was the aim of its great and reverend father "The glorious Al-Azhar Mosque".

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة

٦٤١ من رحلة لأندلس : من روائع فردوسنا المفقود للأستاذ أحمد حسن الزيات

٦٤٦ الناحية العلمية من إعجاز القرآن
للأستاذ أحمد محمد الفمراوى

٦٥١ الناحية الأدبية فى الأدب الصوفى
للأستاذ عبد الكريم الخطيب

٦٥٧ فرق مسيحية تقول بوحدانية الله وموقف الإسلام منها
للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى

٦٦١ نفحات القرآن : دعوة الله إلى الإسلام أثارت عجب المتكبرين وإعجاب المصدقين
للأستاذ عبد اللطيف السبكى

٦٦٦ إلى أى مدى تتغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان ـ ٣ ـ
للأستاذ بدر المتولى عبد الباسط

٦٧١ تيارات منحرفة فى التفكير الدينى المعاصر ـ ٣ ـ
للأستاذ على الشابى

٦٧٧ المرونة فى اللغة العربية ـ ٢ ـ
للأستاذ عبد الحميد حسن

٦٨١ المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام ـ ١٢ ـ
للأستاذ عبد الرحيم فودة

٦٨٥ القوم الصوفية تأليف أ . م . م ماكين
ترجمة الأستاذ فتحى عثمان

٦٨٩ مصابيح أبى العلاء المعاة
للأستاذ كامل السيد شاهين

٦٩٤ نسمات الأندلس فى ربوع النيل
للأستاذ محمد رجب البيومى

٧٠٣ فجر الفكر الإسلامى فى مصر
للأستاذ عبد الجليل شلبى

٧٠٧ فى مسئوليات الناقد المعاصر
للأستاذ أحمد كمال زكى

٧١١ الشعر الحديث وبساتين القرآن
للأستاذ عبده بدوى

٧١٣ الفراغ النفسى عند الشباب ـ ٢ ـ
للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

٧١٦ طرائف لغوية : الواو الزائدة فى الأساليب العربية للأستاذ طه الزينى

٧٢٠ حول نشأة الإسلام وما بقى عليه
للأستاذ على البولاقى

٧٢٢ التراث الإسلامى والحضارة الأوربية
للدكتور محمد مختار القاضى

٧٣٣ الإقليمية فى الأدب للأستاذ محمد كامل الفقى

٧٣٧ دور العرب فى نشر الإسلام فى الهند
للأستاذ محيى الدين الألوائى

٧٤١ من أباطيل البهرد للأستاذ محمود شبكة

٧٤٤ طبائع وشرائع للأستاذ على الخطيب

٧٤٧ ما يقال عن الإسلام : محمد فى مكة
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

٧٥٥ الكتب : للأستاذ محمد عبد الله السمان
المعراج القشيرى ـ الإسلام والطب ـ رجال حول الرسول ـ حياة آدم ـ مجتمعنا العربى كما ينبغى أن يكون

٧٥٨ الفتاوى : للأستاذ إبراهيم محمد الأصيل
شرب الدخان ـ قص الشعر للسيدات ـ الذبح عند الموت ـ الغناء والرقص والتصفيق فى العرس ـ المولد النبوى ـ تقديس بعض الأماكن ـ احتساب الثمن عند البيع لا السداد ـ التيمم مخافة تأخر البرء باستعمال الماء البارد ـ قطع الزائدة فى الإصبع ـ كتابة القرآن بالحروف اللاتينية ـ لبس البرنيطة ـ الاستماع للقرآن من الراديو ـ الزواج من مطلقة أبى الزوجة ـ بيع المصحف لشخص غير مسلم ـ الإرث مع اختلاف الدين

٧٦٣ أنباء وآراء :
بين الدكتور الأهوانى والأب الفريد جافنيث

٧٦٦ فى محيط العالم الإسلامى :
إيران للسلفة ـ نيجيريا ـ تركيا ـ الكويت

الثمن اربعون مليما

مطبعة الأزهر